

حجرات الإسلام

تأليف

المرحوم مصطفى بك نجيب

(الطبعة الثانية على نفقة)



مكتبة الجمهورية

بمصر بالسكة الجديدة

منطبعة السعادة بحوار محافظة مصر

Columbia University
in the City of New York

LIBRARY



Bought from the
Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896

Thompson's

Journal at -

Page 134

134

134

0.23/E 10 080



حجرات الاسلام

تأليف

المرحوم مصطفى بك نجيب

الجزء الاول

الطبعة الثانية على نفقة

مكتبة الازهرية

(الطبعة الثانية على نفقة)



مكتبة الازهرية

بصر بالسكة الجديدة

مطبعة النجادة بجوار محافظة تبصر

Mustafa Bey Najib

Cott

32-24148

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

893.791

M978

الى القراء الكرام

كتب سيدي الوالد المرحوم « مصطفى بك نجيب » هذا المؤلف
الجليل في تاريخ أبطال الأسلام وحماته وقام بنشره فقيد الوطن المرحوم
المبرور « مصطفى كامل باشا ».

ولما فتدت نسخه من المكاتب وألح على كثير من باعادة طبعه رأيت
براً بسيدي الوالد رحمه الله وبالقراء الافاضل وبأذن حضرة صاحب العزة
(على بك فهمي كامل) ان يظهر كتاب « حماة الاسلام »، ثانياً في ثوبه
القشيب مدبجاً بمقدمة جديدة كتبها الى خصيصاً من برلين فقيد البلاد
وخليفة مصطفى كامل باشا المرحوم محمد فريد بك

فألى القراء الكرام أقدم كتاب « حماة الاسلام »، ولا أنسى أن
أقدم واجب الشكر الى الاستاذ الشيخ محمد سعيد الرافعي الكتبي بمصر
بما قام به في اعادة طبع الكتاب مرة ثانياً ليد القراء والله الموفق الى
أقوم طريق

سليمان نجيب

١٤ ابريل سنة ١٩٢٣

1923



فقيه العلم والادب المرحوم مصطفى بك نجيب
— مؤلف كتاب حماة الاسلام وأحلام الاحلام —

أحمد الله وأصلى على نبيه الكريم سيد الانبياء والمرسلين . وبعد فقد رأيت أن المسلمين في تأخرهم وانحطاطهم وانشقاقهم وافتراقهم محتاجون الى عظات التاريخ وعبر الحوادث السابقة اكثر من غيرهم مفتقرون الى معرفة أسباب تقدم آبائهم وسبل نجاح اسلافهم . غير محيطين بمفاخر عظماء رجالهم تلك المفاخر التي يجب على كل مسلم أن يعرفها ويحفظها ويبذل جهده للاتيان بمثلا . وعلمت من سياحاتي في بلاد الغرب ورحلاتي اليه أن أهم الامور لدى أهل معرفة سير السالفين من عظماء الرجال الذين رفعوا للاوطان منارا عاليا وشيدوا من المجد صروحا لاتناهلها يد الحدثان وأقاموا للعلم والفضيلة بديانا وأي بنيان وان للقوم في ممالك أوروبا حرصا شديدا على تلك السير فتراهم يباهون بها الامم ويحلمونها لابنائهم وناشئهم الدروس الاولى والقصص التي بها يتفككون ومنها يتعلمون

فدفعني محبة الاسلام ورغبتي الاكيدة في خير بنيه ورفعة أهله الى دعوة كاتب من عليّة كتاب المسلمين ومؤرخ من كبار المؤرخين لوضع تراجم عظماء الرجال في الاسلام تزييها للغافلين . وارشادا للجاهلين . واحياء لتلك المآثر الباهرة والسير العطرة فاجاب الدعوة حبا للخدمة العامة واشترط علينا كتمان اسمه ليكون العمل خالصا لوجه الله الكريم

وقد نشر الكثير من هذه التراجم في اللواء تحت عنوان (حماة الاسلام) فكان لها من الدوى والرنين ما لم تنله ابداع رسائل المنشئين . وأجود منشآت الكتّابين . مما حجب اليها جميعا في هذا الكتاب ونشرها بين الامة الاسلامية الكريمة عماها اذا ذكرت بالمجد القديم والشرف الغابر تحيا منها نفوس هي بحمد الله مستعدة للحياة

والله المسئول أن يجزي المؤلف خيرا ويحقق ماثول من عز وارتقاء

للاسلام والمسلمين

(مصطفى كامل)

مصر في ٤ ذى الحجة سنة ١٣١٨

عشرة الاسلام بعد نهضته

« جاء بجريدة الشعب الغراء بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٨ شعبان سنة ١٣٣٢ —
٢١ يولييه سنة ١٩١٤ »

« تفضل صاحب العزة الاستاذ المحقق محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى
فكتب مقدمة موجزة بليغة لكتاب حماة الاسلام » تأليف فقيده العلم والوطنية
المصرية المؤرخ الكبير المرحوم مصطفى بك نجيب وكيل قسم الادارة سابقا
بنظارة الداخلية وهو كتاب تاريخى جليل ذو شهرة واسعة فى العالم الاسلامى
وكان قد طبعه صديق المؤلف فقيده مصر والشرق المغفور له مصطفى كامل —
فنقد جميع ما طبع منه

والآن قرت عزيزة حضرة الاديب الالمى الفاضل سليمان افندى نجيب على
إعادة طبعه وطبع غيره من مؤلفات والده الشائقة بواسطة بعض المكاتب الشهيرة
فى القاهرة فرأينا تكميلا للفائدة وتنويها بفضل مؤلف هذا السفر المحكم ان ننشر
هذه المقدمة قبل صدور الطبعة الثانية منه التى يرجى ظهورها قريباً
قال الاستاذ فريد بك حفظه الله

— كان افتتاح القرن الرابع عشر للهجرة النبوية مبدأ عصر محن ومصائب
نزلت بالعالم الاسلامي فقصمت منه الظهر وفككت منه الاوصال وانقصت
من أطراف الدولة الاسلامية البقية الباقية وكادت تقضى بتقلص ظل الاسلام
السياسى من هذا العالم لولا ان أتاح الله له عصبة ذات قوة وبطش قامت فى وجه
المهاجرين له من كل طرف . وبذلت المهج فى المحافظة على تلك البقية الباقية من
أن يكون حظها حظ ما سلب من الجامعة من الاقاليم والبلدان —

افتتح هذا القرن الهجرى ببسط فرنسا حمايتها على « بلاد تونس » بعد أن
فتحت بلاد الجزائر من قبل وباحتلال انجلترا لوادى النيل بعد ان احتلت قبرص
وسامت البوسنة والهرسك للنمسا وأعقب ذلك ببضع سنوات معاهدة الجزيرة

على ان تأخذ فرنسا مملكة مراکش أجراً على عدم معارضتها لاحتلال إنجلترا
للكنانة وما تبعها .

ثم ختمت هاته المصائب بالحرب البلقانية التي بلغ فيها الاعداء ابواب « فروق »
ولم تقفهم عن الدخول فيها الا أبطال العثمانيين الذين اسقطوا وزارة كامل المسببة
لسكل هذا الخراب ونصبوا مكانها وزارة البطل الشهير محمود شوكت باشا ولقد
افضت هذه الكارثة الى ضياع بلاد البانيا التي جعلتها اوربا أو بالاحرى دول
التحالف الثلاثي إمارة مستقلة يحكمها أمير مسيحي توطئة لتجزئتها فيما بعد بين
ايطاليا والنمسا والى تقسيم مقدونيا بين اليونان والصرب والبلغار حتى لم يبق للدولة
العثمانية في اوربا الا لسان صغير من الارض تحده من الشمال مدينة ادرنة
العاصمة القديمة لدولة آل عثمان التي لم يستردها العثمانيون من البلغاريين الا بعد
ان ارتكب الاخرون فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت من الفظائع والمنكرات
والفضائح والموبقات

ولقد صدق من قال « رب ضارة نافعة » لانه اذا كانت نتيجة هذه الحرب
سيئة من الوجهة المادية فانها أسفرت عن نتائج حسنة عظيمة من الوجهة الادبية
اذ كانت سببا في ظهور ما تمكنه قلوب المسلمين في جميع الاقطار من الميل الشديد
لدولة الخلافة والتعلق الثابت بها والمحافظة على ولائها وان كان هناك فريق من
الخوارج يعملون على التفريق بين عناصرها فهم لاشك خاسرون

انه في مثل هذه الآونة التي يتحتم فيها تقوية روابط الاخاء والتحالف
السياسي بين المسلمين يجب على الكتاب الصحفيين والمؤلفين ان يبينوا للعالم
الاسلامي فضل الاتحاد وما سببه للاسلام في مبدأ ظهوره من رفعة وقوة ومضار
التفرقة وما جرته عليه من الخراب والدمار وان ينصحوا المسلمين جميعاً بالالتفاف
حول خلافة آل عثمان ليكونوا عوناً لها على دول الصليب المتألبة عليها قاصدة
ان لا يبقى للاسلام دولة مستقلة يعتر بها

ومن كتبوا وأجادوا في هذا الموضوع وأظهروا جلياً مضار الاقسام المرحوم
مصطفى بك نجيب فقد أتى في كتابه « حماة الاسلام » على فلسفة التاريخ الاسلامي
مبيناً أسباب ارتقائه في عهده الاول ودواعي انحطاطه بعد أن دب الشقاق بين

ملوكه وحكامه وطمع كل منهم في الاستقلال بما ولى عليه من البلاد وقد سار
المرحوم في كتابه على الخطة المثل التي انتهجها المؤلف الفرنسي (مونتسكيو)
في مؤلفه أسباب ارتقاء وانحطاط دولة الرومان وهي الطريقة المفيدة التي يجمل
بالمؤلفين في هذا الباب أن يسيروا عليها ان أرادوا النجاح في تنبيه أفكار
المسلمين الى ما يحيق بهم ويتهددهم في كل وقت من الاخطار أو رغبوا في إلفات
أنظار الامراء المسلمين الى ما يجلبونه على الاسلام من الضرر بسعيهم في الاتصال
عن الجامعة العثمانية التي تمثل في هذا الحين الجامعة الاسلامية .

ولله در ولد المؤلف الذي عرف قدر مؤلفات والده النفيسة فشرع في اعادة
طبعها ولا غرابة في ذلك فان هذا الشبل من ذاك الاسد (وقد يخرج الفرع شبه
الاصل للناس)

وفق الله المسلمين الى ادراك حقائق أحوالهم ، وهدى أمراءهم سواء السبيل

محمد فريد

❦ مقدمة المؤلف ❦

ان الحكيم الذي ينصب نفسه لتربية الامة يجب عليه ان يدخل بها
في كثير من أبواب الرياضات ويريضها على صنوف من مكارم الاخلاق
ليتحقق من استعدادها الفطري ويظهر له الوجه الذي تصبو اليه والموطن
الذي تألفه والمقصد الذي تتوجه اليه حتى اذا دعاها الى الولوج معه من
ذلك الباب الذي رآه صالحا لها لبتة لأنه أصبح هو وشوقها عليها
وقد رأينا ان الذين نصبوا انفسهم لوعظ أمتنا هذه ونصيحتها قد
قلبوها على أوجه كثيرة من التربية والتهديب فأخذوها بالرفق والدعوة للخير
ثم واجهوها بالزجر والاعنات . وضربوا لها الأمثال . وحذروها عواقب
ما هي فيه ودعوها الى محاذاة الأمم ومجاراتها . وأهاجوا فيها نار الغيرة
وقدحوا لها زند الشوق لاسكل فضيلة . ثم رأينا ورأوا أنهم على طول هذا
الزمان لم يصلوا الى كل ما أرادوا بل قصرت بهم النتائج عن كثير من المبادئ
الشريفة التي نهجوها وأرادوها

تحقق لهم أنهم كلما اجتهدوا فسدوا وعليها بابا من أبواب الشر ففتح أهل
الشر عليها أبوابا من المفاسد ولم يأمن فيها العثور . ومزلة القدم والحيد عن
جادة الصديق . الا قليلا منهم

ظهر لهم ان الامة لم يكن لها نقطة وسط تركز عليها . بل هي في مهب ريح
الاعراض سائرة مع كل قائد وعلى الخصوص لو عزز الداعي لها دعوته بالبهتان
الذي أصبح منطليا على أكثرها فما أسرع ان تلبيه اذا دعاها وتضافر ه اذا سألها

ثبت لهم أن في الأمة عدداً عظيماً نسوا ملتهم ودينهم ووطنهم . بل
نسوا الله فانساها أنفسهم . فلا بد لهم من مذكر يقرع أسماعهم بصوت آخر
يكون له في القلوب رنة وفي النفوس صدى يبعث فيها ميت الهمة
تبين لهم أن في حواس الأمة خدراً جعلها لا تتأثر لمصابها . كصاحب
العاهة الذي تعيره الصبيان بها فيتألم منهم في أول أمره حتى يضرب قريبهم
ويشتم بعيدهم ريثما يعرف أن الناس تسامعت بعاهته واشتهر بها فيسكن
ويضحك على نفسه كما تضحك الناس منه

ولا عجب في هذا لأن فقدان الفضائل وارتكاب أصدادها . وسلوك
الطرق المبتدعة . وانتقاص الاخلاق . ونسيان العوائد الجميلة . والافراط في
أسباب الحضارة من الرياش والترف . والتناهي في عدم القناعة . بدل الخلق من
أصله . وحول العالم بأسره . وكأنما خلق جديد . ونشأة مستأنفة . وعالم محدث
نعم يجب على الناصح أن ينادي في الأمة بذلك الصوت من غير أن
يدعوه حالها لليأس . أو يسد عليه باب الأمل . أو يقطع عنه طريق الخير .
أو يمانعه في وصول النفع . فإن أبواب الصلاح لا تحصى ولا تستقصى يعرفها
الناصح الأمين . والواعظ المشفق يرجو بها تحقيق الخير والنفع إن شاء الله
وإن من أبواب التربية التي لم تقرر . وطرقها الجسيمة التي لم تسلك .
وشرعتها الغزيرة التي لم تقصد . دعوة الأمة للنظر في ماضي أمرها وأولية
شأنها لتعلم من هي عساها تخجل من أن تكون خاتمة سوء لذلك المفتتح
الشريف . عساها تأسف على حالها من كونها أصبحت بمنزلة السفينة ولّى
ملكاً فلم يحسن سياسته ورزق سعة من المال فلم يدبر أمر تنميته
هذا الباب من أحسن الابواب التي تثقف أفكار الأمة وأقرب ما تربي على

خير طبايعها فان تذكرها بمجدها القديم وتمثيل عزها السالف لها وتشخيص
مجدها الشامخ أمام عيونها يدعوها بلا شك للتنافس بخلافها الحميدة السابقة
أحسن رادع للانسان عن شهواته ان يلتفت وراءه فيرى في أمته وملته
العلماء والحكماء والعظماء والحكام والقواد عاشوا ولا شغل لهم الا بمجداً أقاموه
وعزاً شادوه. وشرفاً حفظوه. وأكبر مسهل له لاحتماله الضيم والذل جهله
بحالة نفسه ونسيانه مجد آبائه وأجداده حتى تسترت عنه كرامة أخلاقهم
وتحجب عنه جميل طبايعهم ولم يذكره مذكر بسابق أعمالهم الشريفة.
انه لا يأنف أبداً من إتيان الدينئة وعمل كل ما يخالف تلك الطبايع الجميلة
والاخلاق الطاهرة

لذلك ترى الدهاة من الفاتحين - خصوصاً رجال الممالك الغربية الآن
الذين لا يغفلون عن تجربة ولا يغضون عن فرصة - اذا فتحوا بلدة اسلامية
أو احتلوها تسلطوا على أهلها فانسوهم دينهم وعوائدهم ولغتهم وتاريخ حياتهم
ومجدهم واستبدلوهم بذلك شيئاً آخر. فتراهم اذا نسوا تاريخ حياتهم واشربوا
في قلوبهم تاريخ حياة غيرهم ذهب كل فريق منهم بما انتهى وشبت النفوس
على ما سيقنت اليه وبدت على الامة أخلاق منكورة مبتكرة بعوائد غريبة
لا تنسب بالمرّة لسوابق عوائدها وتقربوا من تلك الامم الطارئين بكل
طريقة وابتعدوا عن ذلك الاصل الشريف الذي هم منه

ثم يتبع ذلك تقلص ظل الدولة الحاكمة وفلّ حدها ووهن سلطانها.
وتنداعى للتلاشي والاضمحلال وينتقص من عمراتها ويندرس من سبلها
ومعالمها بمقدار انحراف رعيتهما عن عوائدها الشريفة

ثم تنبأى الامة في الفجور وتفانى في البغي والضلال حتي تعود باللائمة

على أصل دينها وعوائدها وأخلاقها . تقول وهي لا تستحي من الله ولا من
الخلق ولا من نفسها إنها ما أخذت الا من جهة تقصير دينها وتقاليده عن
مقتضيات الحياة المدنية ومستلزماتها وأفرادها يجهلون غاياته البعيدة في
الماخذ والمتارك يودون من صميم أفئدتهم ان لو استبدلوا بطباعهم وعوائدهم
شيئاً آخر ليخرجوا من ذلك الجنس كما هو واقع الآن من بعض أهالي هذه
البلاد المصرية ووقع من قبلها في كثير من بلاد الاسلام كالاندلس وغيرها
عذر أولئك انهم يغدون ويروحون بين رجلين إما عدو لهذه الملة يدعى
عدم ملائمة دينها للمدنية الجديدة (كبعض فلاسفة هذا الزمان) وإما جاهل
تاريخ حياتها فلا يعرف منه شيئاً لا خيراً ولا ضراً (كاغلب شبان هذا العصر)
لذلك هم يفرون من النسبة لهذا الدين ويتجنبون القرابة لامته وملته
لانهم أقل الناس دراية به ومعرفة بفضائله لا يعلمون وهم أهله مكرمة له
يعدها المنتسب منهم اليه مفخرة اذا نازعه منازع في الانتساب اليه
ينبغي لهم أن يتألموا من أن يكونوا مسلمين لانهم لا يدركون
للمسلمين فتحاً أبلوا فيه بلاء حسناً . ولا يعرفون لهم حرباً ولا ضرباً .
ولا يتحققون في أى بقاع الارض نشأ المسلمون وفي أى جهة كانوا شرقاً
أم غرباً . ولا يحصون لهم عدداً ليعلموا انهم وهم على قلتهم فاجأوا حصون
الممالك البعيدة ومعاقل العواصم النازحة فانزلوا حماهم من عروشهم وبثوا فيها
معالم دينهم وصيروها حنيفية بعد ان كانت جاهلية
كيف لا يأفنون من المسلمين وهم يمتقدون انهم قوم نشأوا وسط البداوة
لا يعرفون غير جوب القنار وقطع الاودية . عاشوا في جهالة وماتوا في جهالة
لا يعقلون ان جميع مكارم الاخلاق إنما هي منتزعة منهم مأخوذة عنهم

وان ما يدعيه المدعى من الخلال الحميدة كالدعة والرحمة والشفقة والعدل
والانصاف والاحسان انما هو مجاز بالنسبة له حقيقة بالنسبة اليهم وان هذه
الامة جاهلية كانت أو حنيفية لم تفارقها مكارم الاخلاق كحفظ الجار والجوار
ومراعاة الشرف والذمة واحقاق الحق وقول الصدق ومحاسن الاعمال
وجميل الخصال

من يعلمهم أن ملتهم هذه هي أول من تنافس أهلها في الخير وتحدوا
غيرهم بخلال الكرم كالغفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقوى
للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد
وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الخاملين
لها والوقوف عند ما يحدون لهم من فعل أو ترك وكرامة أهل الدين والحياء
من الاكابر وتوقيرهم واجلالهم والانتقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف
المستضعفين والتبذل في أموالهم والتواضع للمساكين واستماع شكوى
المستغِيثين والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد

من لهم بان يتحققوا ان ملتهم هذه نشأت على هذه الفضائل التي هي
أجمل واكمل خالق السياسة حتى استحقوا بها أن يكونوا ساسة للامم التي
تحت أيديهم ولم يوجد ذلك فيهم سدى ولا عبثاً وان الله قد تأذن بوجوده
فيهم لوجود علاماته في قبيلهم

من يدهم أن رجال الدين الاسلامي كانوا خير مجتمع لتأسيس قواعد
الحرية والاخاء والمساواة وان أهله هم الذين جابوا القفار وقطعوا الاودية
وركبوا ثبج البحر لفتح باب العلم والانتفاع به وانه لم يزهري في دولة ازهاره
في دولتهم ولم يعتز كعزته في سلطانهم حتى تقوت حجته وانتصر لواؤه

وأذعن الناس لقوته واشرقت عقولهم بنور برهانه

لأبد لهم من مذكر بذلك كله ليعلم المتوسدون سرير الملك والحاملون
للواء الدولة والمباشرون للأمر أنهم لم يتطاولوا لهذه المراتب عن تطفل ولم
يرثوها عن كلاله وليتحققوا أنهم أهلها وإن الفضائل التي أخذت في الذهاب
عنهم والملك الذي صارت الأعداء ترتقب زواله من بين أيديهم إنما سببه
جهلهم بتاريخ حياة قادتهم وسادتهم وعدم علمهم بفضيلة أصولهم وعشيرتهم
ورضوخهم لمن لا يناهضهم في الشرف والنسب وتجاذبهم حبيل الفخر
والمجد مع من لا يدانيهم وحبهم تقليد سوائهم واستبدالهم عوائد أممهم
واجيالهم بعوائد غيرهم

لهذا قد استخرنا الله سبحانه وتعالى في أن ننسق من أخبار هذه الأمة
الشريفة المكرمة شيئاً نجعله مسطراً على صفحات (اللواء) المحمود مندمجاً
في تاريخ عظمائها مبتدئين بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام والخلفاء
الراشدين بعده ثم برجال الدولة الأموية ممن قاموا في بدايتها ورفعوا لواءها
ورايها وظهروا في الفتوح آيتها وأتموا بالوقوف على قدم الخير غايتها —
ثم ما كان في الدولة العباسية من الخلفاء والقواد والعظماء الذين تولوا أمورها في
فتح وحرب وقتال وضرب وتدير في تدوين الدواوين وإعلاء كلمة السلاطين
وما كان من نشر الحضارة واتساع الملك . ثم ما كان من أعظم رجال دولة
الموحدين والمثمين . ثم ما كان من مدنية الدولة الأموية بالاندلس وعجائب
خلفائها في الآراء والأفكار . ثم ما كان من الدولة التركية صانها الله لنصرة
الدين واحترامه وتعزيز أهله وخلوها من بدعة مبتدعة أو شبهة مصطنعة وما
كان من استطاعتها على جميع النواحي والأمصار في جميع الأقطار معقبين ذلك بما

نراه من الحوادث صحيح العلل والاسباب فاتمحين للقاري في ساحة الاعتبار باباً
 ياله من باب كاشفين عن بصيرته غشاوة الحجاب بسر ما في هذا الجراب
 وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح
 ولا عار في ذلك ولا شئ فان هذا الباب لا يستحي ان يأخذ منه الملوك
 ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يبلغ بهذا العمل ما نرجوه من الخير والنجاح
 وترزق الامة بسببه بصيرة تراجع بها لأولية امرها فترى ما كان محتفياً بها
 من سياج العظمة وتحقق ما كانت متصفة به من الفضائل والكمال فتتشوق
 نفوسها لتجديده والا فهي مستحقة لما هي فيه . فانه اذا كان للعقاب اوقات
 مناسبة لقبول الاذي نفوس مستحقة فاحق امة بعقوبة الذل (امة ذات
 مجد قديم لا تستحي من إضاعة مجدها)

عساها لو نظرت في ذلك تجتهد في تهينة نفسها لقبول العدالة التي
 تحتاجها هذه الرتب السامية وتستلزمها حاجتها فان من اهمل حق نفسه ولم
 يطلبه فغيره في ايصاله اليه ابطأ واهمل

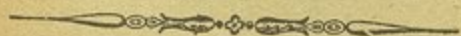
عساها تنظر فتجد فيها بقية من خيرة الملك والسلطان الذي لا يحتاج
 تأييدهما الا الى الاتفاق والوفاق والاتفاف حول علم الخلافة فتهب من
 رقدتها وتعمل في ما فيه الخير والصالح لنفسها

وقد اخذنا على انفسنا ان نكتب في جريدة (اللواء) كل يوم جمعة
 من كل اسبوع سيرة عظيم من عطاء الامة الاسلامية فكاهة بين
 اخباره ونكتة بين اغراضه واسراره مبتدئين من يوم الجمعة خامس
 شهر محرم الحرام مفتح سنة ١٣١٨

والله المعين على هذا العمل الذي لا نقصد به الا وجهه الكريم وإعادة

سلافة الذكر الجليل لأفعال حماة دينه القويم ودعوة اخواننا الى النظر للمقام
الكريم الذي كان لهم في الزمان القديم وما صاروا اليه من الاتقياد والتسليم
فقد أشفى الحال على الخطر وأصبح ذئب المغرب متهيئاً للافتراس مستديماً
النظر حديد البصر ونحن الى التعاضد والتناصر في حفظ هذا الملك مفتقرون
فان أكله الذئب ونحن عصابة انا إذاً نخاسرون

مصطفى نجيب



﴿ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

جعل الله سبحانه وتعالى النبوة في بيت واحد لا يشترك في فضيلتها مع أنبيائه أحد . قال تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المختار من ذرية سيدنا اسماعيل ابن سيدنا ابراهيم عليهما السلام من أكرم بيت من مضر خالق الله الخلق فجعله في خير خلقه . وجعلهم فرقة في أحسن فرقة ويوتا فاحله في أرفع بيت واسماه وأشرفه (ابن عبد الله) المعروف مكانه من بني عبد المطلب . من أفضل امرأة في قریش نسباً وموضعاً : (آمنه) بنت وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة نسباً وشرفاً تزوج بها عبد الله ونوره يتلاً لأبني عينيهِ كالغرة البيضاء .

مالبت عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات وأمه حامل به حتي كانت الليلة التي تمخض بها الزمان . وتكهننت بها اليهود ورصدتها الرهبان . الليلة التي أراد الله أن يخرج الانسان فيها الى نور الفلاح من ظلمات الجهالة الليلة التي ابتهجت فيها الخطائر القدسية وازينت فيها السماء فوق زينتها بأشراق الغزاة . استل فيها سيف الله من قرابه . وانتشل فيها سهمه من إهابه . وظهر ليثه من غابه . وهطل غيثه من سحابه . فتنادت الرهبان بظهور أكرم مولود في هذا الوجود

ولد صلى الله عليه وسلم في الليلة الثانية عشرة من ربيع الاول ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام في زمن كسرى انوشروان أشهر ملوك الفرس في ايامه ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم

حاكياً عن نفسه : « ولدت في زمن الملك العادل »

ولد صلى الله عليه وسلم يتيماً ولم يرث الا خمس جمال وبعض لقاح وجارية فتجافت الممرضعات عنه الا حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية ظئره لما أراد الله من تشریفها فدر لبنها وقد جف ، ولبن شارفها على حين لا يجد انسان قطرة في ضرع . وأخصب الله بلاد بني سعد ولا يعلم أحد من خلق الله أجذب منها وهذا من إرهاصات نبوته صلى الله عليه وسلم

شب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يكلؤه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد من كرامته ورسالته ، وان يكون أفضل قومه مروءة ، واحسنهم خلقا ، واكرمهم حسبا ، واعظمهم جوارا ، وأوجههم خلقا ، وارجعهم حملا ، واصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش ، والاخلاق التي تؤنس الرجال تنزهها وتكرماً حتى عرف بين أهل مكة وهو في ريعان شبابه بالأمين لانه استوفى من مكارم الاخلاق كل مكرمة لم يكملها في بشر

وكيف لا يسمونه بالأمين وما رأوا صبراً كصبره ولا حملاً كحمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجده ولا كصدق لهجته وكرم عشيرته ولا كتواضعه ولا كعلمه ولا كحفظه ولا كصمته اذا صمت ولا كقوله اذا قال ولا كعجيب نشأته ولا كقلة تلونه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقلة امتنانه

توفيت والدته فاختنضه جده عبد المطلب فكان يجلسه معه في ظل الكعبة بين أعمامه ثم مات فكفله عمه أبو طالب وكان كريماً غير انه كان فقيراً بحيث لا يملك كفاف أهله . وكان حاله صلى الله عليه وسلم كحال أحد

بنى عمه ، وصبية قومه ، ويزيد عليهم اليم بفقد الابوين
عاش بين قومه على هذا الحال بغير مؤدب ظاهر يعنى بتثقيفه ، أو
مرب بادٍ يقوم بتثديبه سوى طهارة العقيدة وشعار النفس الشريفة المشتملة
على معانى الادب التى يجد بسببها فى وجدانه الكريم شعورا بالفضيلة وتلبية
لندائها وعشراؤه أهل الوثنية وعبادها وخطاؤه أولياء الاصنام وخدامها .
وهو متحل بالادب الالهى الذى يبعد عن أن تترين به نفوس الايتام
والفقراء خصوصا مع بعده عن معتقد القوام عليه . كل هذا ليتجلى للناس
مظهر مبنى قوله للناس : « أدبني ربى فأحسن تأدبني »

خرج عمه الى الشام فى ركب للتجار فاخذه معه فلما نزل الركب
بُصرى وفيها بحيرا الراهب علم أهل النصرانية وامامهم فى علمهم الذى
يتوارثونه كبراً عن كبر صنع لهم طعاماً ونزل من صومعته ولم تكن تلك
عادته فلما أكلوا سأل بحيرا النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء فى حاله ونومه
وهيئته ونظر لعلامات فى بدنه الشريف ثم أوصى عمه أبا طالب ان يسرع
فيقدم به مكة وحذره من اليهود

تحدثت الناس بكرم أخلاقه وحسن خلقه وعظيم أمانيه وصدق حديثه
فعرضت عاينه خديجة بنت خويلد ان يخرج فى مالها للشام ومعه ميسرة
غلامها فرأى ظلل الغمام تظله من الشمس وهو يسير . ثم شاهد من أمانيه
ما شاهد . فلما قدما أخبر سيده بامانيه وطهارته وعين طائرته وبما رآه وما
ظهر له من البركة وكثرة الارباح وسهولة الامور . وكانت خديجة امرأة
حازمة فرغبت فيه بسبب ذلك لقرابته وسطته فى قومه وذكرت ذلك
لاعمامه فخطبها له عمه وهى ام ولده كلهم الا (ابراهيم فانه من مارية)

كان في هذه الاستزادة في الرزق مقنع لطالب دنيا تروق في عينه .
ويغفر بزخارفها . رفه في العيش . وعون على بلوغ الامل . ولكن الحال
غير هذا وكلما تقدمت به السن نما في قلبه حب الخلوة والانفراد الى أن
تجلى عليه النور الالهى وانكشف له العالم بأجمعه

ظهر الهدى الالهى في عمله صلى الله عليه وسلم فأزال الفتنة من بين
قريش وقد كاد تنازعهم يفضى الى تخاصم عظيم في اختصاص قبيلة منهم في
وضع الحجر عند بناء الكعبة وتحكيمه عليهم ليقضى بينهم فيه فاستدعي
ثوباً وأخذ الحجر فوضعه فيه وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم
ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى بلغوا به موضعه فوضعه بيده وبني عليه

بلغ سنه أربعين سنة الا ستة أشهر فبدأت الرؤيا الصالحة لا يرى رؤيا
في نومه الا جاءت كفلق الصبح وحبب الله اليه الخلوة فكان يجاور في حراء
يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع الى أهله فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق
وجاءت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالة ورحم الله العباد بكشف ما غاب عنه
من مصالح البشر فنزل عليه جبريل في غار حراء بقوله تعالى « اقرأ باسم ربك
الذى خلق » كما وردت به الاخبار الصحيحة وعاد وأخبر خديجة الخبر وقال
لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : « كلا . والله لا يخزيك الله أبدا
انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين
على نوائب الحق » ثم انطلقت به الى ورقة بن نوفل بن عمها فقالت له خديجة :
يا ابن عم . اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى :
فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة هذا
الناموس الذى نزل الله على موسى . ياليتنى فيها جذع ياليتنى أكون حياً

اذ يخرجك قومك . قال : « أومخرجي هم ؟ » قال نعم . لم يأت رجل بمثل ما جئت به الا عودى وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا
ثم فتر الوحي فشقه عليه حتى عاوده بقوله تعالى . « يا أيها المدثر قم فانذر »
فقام يدعو الناس الى الايمان بالله تعالى فأول من آمن به من النساء خديجة
ومن الرجال أبو بكر . ومن الصبيان علي . ومن الموالي زيد . ثم تتابع الوحي
وتتابع دخول الناس في الاسلام . وكان أبو بكر محببًا سهلاً وكانت رجالات
قريش تألفه فاسلم على يديه من وثق به

دخل الناس في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء وفشا الاسلام
وهم ينتحلون به ويذهبون الى الشعاب فيصلون وأمره الله ان يصدع بما
يؤمر فنادى في الناس بأمره ودعا اليه (وكان بين ما أخفى أمره واستتر
به الى ان أمره الله تعالى باظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه)

قام بدعوته وحده على فقره وضعفه وقارع أعداءه بالحجة وناضلهم
بالدليل وأبدى لهم نصحه وزجره وذكر آلهتهم بالسب وعابها وكل من حوله
ممن اسلم مستخف وأعداؤه يردون دعوته وهم بادون ظاهرون ويرفضون
رسالته وهم باغون معتدون سواء العامة منهم والخاصة يقولون . « لولا
أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وكيف يسلم أولئك
المغرورون بالعزة والسلطان في قبيلهم لدعوة فقير أمي لا ينبغي أن يتناول
الى هذه المقامات بالممكن من الكلام فكيف باللوم والتعنيف وسب
الآلهة وتضليل المتعبدين بها

أجمعوا على خلافه وعداوته وقام عمه أبو طالب دونه محامياً يحذب عليه
ويمنع وهو ماض على امر الله لا يردده عنه شيء فلما رأت قريش ذلك مشى

رجال من أشرفها إلى أبي طالب يقولون له إن ابن أخيك سب آل هنتاوعاب
ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا فاما تكفه عنا واما ان تحلى بيننا وبينه
فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فنكفيكه . فقال لهم ابو طالب قولا
رفيقا وردم ردا جميلا فانصرفوا ورسول الله على ما هو عليه مظهر لدين
الله داع اليه فها لم الامر حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وحض بعضهم بعضا
ومشوا إلى أبي طالب مرة أخرى يقولون الذي قالوه اولا ويخبرونه بانهم قد
استنوه بن أخيه فلم ينهه وانهم لا يصبرون على هذا الامر العظيم فاما
كفه عنهم او نازلوه .

اصبح ابو طالب في حيرة بين مفارقة قومه وعداوتهم وبين خذلان
ابن أخيه فتأطف معه ليستبقيه عليه وعلى نفسه ولا يحمله من الامر ما لا
يطيق ولكن القوة الالهية أيدته فأيأسهم من نفسه وقال لابي طالب يا عماء
لا أترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه وشمل الاشراق النبوي
عمه أيضا فقال له يا ابن أخي قل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء ابداً .
فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يضربونهم ويفتنونهم في دينهم
وافترق امر قريش فتعاهد بنو هاشم وبنو عبد المطلب مع أبي طالب على
القيام دون النبي واشتد العذاب على المسلمين فامرهم بالهجرة إلى ارض
الحبشة فهاجروا وتتابع المسلمون حتى بلغوا ثلاثة وثمانين رجلا

صار النبي غربياً في شعبه وقومه بعيداً عنهما يحول بينه وبين عشيرته
ما هو اعظم من كل عظيم وهو مجد على تقويم عوجهم وهدايتهم وهم أبعد من
ان يفقهوا دعوته او يعقلوا رسالته وطفقوا يرمونه عند الناس ومن يفد على
مكة بالسحر والكهانة والجنون والشعر . يرومون بذلك صدمهم عن الدخول

في دين الله وجلسوا للناس في المواسم لا يمر بهم احد الا حذروه منه
 وذكروا له امره فاذا عوا الدعوة للدين من حيث ارادوا كتمانها واعلنوا
 خبرها بين العرب وهم يبعدونهم عنها (والله مخرج ما كنتم تكتمون)
 ثم اشتد الامر واغرت قريش سفهاءا برسول الله وانتدب جماعة
 منهم لجاهرته بالعداوة والأذى وتعاهدوا على قتله في اللات والعزى ولم يبق
 رجل الا وقد عرف نصيبه من دمه الشريف ورسول الله ظاهر بظهر
 الحكيم في تربية قومه بحال يدهش المشاعر اذ يجدون منه سلطانا قاهرا في
 حكمه عادلا في امره شديد الحرص على مصالحهم رؤوفاً بهم في شدتهم
 رحيماً في سلطنتهم . وكيف لا تتحير الحواس وهم يرون قوة من ضعف وسلطانا
 من عجز ولما من امية ورشاداً من منبت جاهلية

حارت قريش في امرها . تعجب من صبرها على تسفيه احلامها وستم
 آباءها وسب آلهتها وإهانة دينها فاجتمعت اشرافها في الحجر يتشاكرون الصبر
 على هذا الامر فطلع عليهم رسول الله فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر
 طائفاً بالبيت وكلما طاف غمزوه ببعض القول فوقف ثم قال اتسمعون يا معشر
 قريش (اما والذي نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح) فاخذت القوم حالة حتى
 ما منهم الا كأنما على رأسه طائر واقع واشدهم فيه وطاة صار يرفؤه باحسن
 ما يجد من القول (يقول انصرف يا أبا القاسم ما كنت جهولاً) ثم يعودون
 على انفسهم باللامعة ويذكرون ما بلغ منهم وما بلغه فيهم وتركهم ياه فينماهم
 في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا له وثبة رجل
 واحد واحاطوا به يقولون له انت الذي تقول كذا وكذا من عيب آلهتهم
 وهو يقول نعم فاخذ رجل منهم بمجمع رداءه فاذا ابو بكر دونه وهو يقول

(اقتلوا رجلاً أن يقول ربى الله) ووقف ابو جهل لرسول الله وشتمه وبلغ حمزة فضربه حتى شج رأسه

أرادت قريش أن تخاصمه بعد ذلك بالحجة وتكلمه بالدليل فبعثت اليه عتبة بن ربيعة وكان سيداً في قومه فقال انك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جمعهم وسفحت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أموراً لعلك تقبل منها بعضها . فقال له رسول الله . قل يا أبا الوليد . قل ان أردت بالذى فعلت (مالا) جمعناه لك . أو (شرفا) سودناك علينا فلا تقطع أمراً دونك . وان كان يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذنا فيه أموالنا حتي نبرئك منه . قال أفرغت يا أبا الوليد . قال نعم فاسمعه آيات من سورة السجدة وسجد . فقام عتبة الى أصحابه بغير الوجه الذي ذهب به فقالوا له ما وراءك يا أبا الوليد قال ورأى انى سمعت قولاً ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة أطيعونى يا معشر قريش وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكون لقوله الذى سمعت نبأ قالوا (سحرك يا أبا الوليد) فقال لنجمع أشراف كل قبيلة عند ظهر الكعبة ونبعث اليه ففعلوا فجاء ثم حتى جلس اليهم فقالوا انا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه الذى أدخلت الى آخر ما قل له عتبة فقال ما بى ما تقولون . ما جئت بما جئت لأطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن بعثنى الله اليكم رسولاً وانزل على كتاباً وأمرنى ان اكون لكم بشيراً ونذيراً فباغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم . فألجمهم بهذا الخطاب وأخفهم بهذا الكلام

فعلت قریش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا ما فعله كفار كل زمان مع أنبيائهم فقطعت لما هو اكبر كما هي العادة في شره العقول وأخذت تفكر وتقرح وتطالب أشياء قضت الحكمة الالهية بأن تكون مستحيلة في ذاتها تطلب منه تسيير الجبال عن بلادها لتنبسط ثراها . وتسيير الأنهار فيها لتخصب أرضها . وتكلفه بأن يأتي بملك معه من السماء فيصادقه على ما يقول . وتهكم عليه بأن يسقط عليهم كسفا من السماء أو يأتيهم بالملائكة قبيلا . أو تكون له جنات . وقصور . وكنوز من ذهب أو فضة تغنيه عما يبتغيه . فانصرف رسول الله الى قومه أسفا لما فاتته مما كان يطمع فيه من طاعة قومه

ان الناظر في هذا الهذيان يحكم بأن الذي منع العرب من الاقرار هو الهوى والحمية دون الجهل والخيرة لانهم يرون في كل وقت ويسمعون في كل حال من أحواله عجبا لم تجر به العادة أبداً وفيهم العقلاء وأهل النظر الصحيح والمزاج المعتدل ومن يمكنه اصابة وجه الحق في معرفة ذلك تواتر الخبر بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم والتماسهم الوسائل قريبتها وبعيدها لابطال دعواه وتكذيبه في الاخبار عن الله سبحانه وتعالى . فجاءهم رسول الله من الطريق الذي يشمخون فيه بأنوفهم ويتنافسون فيه بثمار عقولهم ونتائج فطنتهم وذكائهم ويدعون ان جميع الناس لهم في كل أبوابه تبع . الا وهو طريق البلاغة والفصاحة . جاءهم بالقرآن وفيهم الشاعر المفلق والخطيب المصقع وهم أحكم خلق الله لغة وأشدهم عدة والكلام سيد عملهم فدعا القريب والبعيد منهم لتوحيد الله وتصديق رسالته محتج عليهم وعلى غيرهم بسورة من ذلك الكتاب

الذي لا ريب فيه . ينذرهم بقتل عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم
ويدعوهم صباح مساء أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة واحدة أو بآيات
يسيرة منه

كيف يمكن لأحد سوى الله العليم الخبير أن يشترط في التحدى
الشرط الذى اشترط (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو كان من عند
غير الله لكان من غلبة الظن عند من له شئ من العقل أن لا تخلو الارض
من صاحب قوة مثله

عجزوا وكيف يصابون بالعجز ويرمون بالجبن مع كثرة كلامهم
واستفحال لغتهم وسهولة ذلك عليهم ووفرة شعرائهم وكثرة من هجاه
منهم ويرضون بالقتل المستمر فى أنفسهم وذوى قرابتهم وتسفيه أعلامهم
ونفسيق معتقداتهم وكسر أصنامهم أما كان الأولى بهم أن يأتوه بسورة
واحدة فينقضون قوله ويفسدون عليه أمره . ويسرعون في تفريق أتباعه
عنه صونا للنفوس الشريفة المبذولة والخروج عن الاوطان العزيزة المحبوبة
وانفاق الاموال الجزيلة . إن هذا لبعض ما يعرفه عامة الخلق فكيف
بقريش التي لها من جليل التدبير وصدق الرأي والعقل ماضرت به الامثال
ما هذا العجز الظاهر وقد احتاجوا لما عندهم من الكلام . والحاجة
تبعث الحيلة فى الامر الغامض المفقود . فكيف بالظاهر الموجود . محال
أن يطيقوه ثلاثا وعشرين عاما على الغلط فى الامر الجليل . ومحال ان
يتركوه وهم يعرفون ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون أكثر منه
أى دليل على دعوى النبوة بعد هذا وأى برهان على صدقه صلى الله

عليه وسلم أشد من أن يروا يتما فقيراً أمياً لا عون له ولا جاه وقد تربي
ينهم وهو من أول نشأته وعقله متأثر بسماع ما يسمعه ممن يخاطبهم منهم
من حديث الوثنية فإذا به مبغض لها من مبدأ عمره من قبل أن يبلغ
مبلغ الرجال . من قبل أن يكون لفكره ونظره فيها مجال من قبل أن
يرجمه عنها الدليل ويصرفه عن ضلالها البرهان ولا كتاب يرشده
ولا أستاذ ينبهه ثم يكون منه الذي كان

يرون رجلاً منصرفاً بطبيعة الحال عن مناصب الملك والسلطان متأيماً
عنهما وقد عرضا عليه « ومقابلة القائل بذلك بالاعراض والاعتراض »
خالياً من الجند والمال والجاه والعون ثم ينهض وحيداً فريداً داعياً للتوحيد
والاعتقاد بالله وهو يعلم منهم قدر تعظيمهم لآوثانهم ومقدار تنطسهم في
زندقتهم ومنآوتهم بعبوداتهم أليس من فكر يفكر في هذه القوة التي
سمت بنفسه إلى أعلى عليين فجعلته داعياً مرشداً ولو كره الكافرون
يرون داعياً أو ذى بضروب الأيذاء وأقيم في وجهه ما لا يذلل من
الصعاب وعناية الله محيطه به ويرون المستجيبين له أخرجوا من ديارهم تسفك
منهم الدماء ويفتنون وهم لا يفتنون

يرون عارفاً بالله كما يجب أن يعرف مدركاً من أمر الدار الآخرة ما ينبغي
أن يدرك مع كمال في العقل ونور في البصيرة فصل بهما اللذائذ والآلام في
هذه الدنيا وطرق الاجر والعقاب عليهما وجعل للانسان شعوراً بيوم بعد
يومه هذا وكل هذا الضرب من الكلام بعيد عن التخيل والفكر ولا بد له
من هدى الهي وفتوق في البصر والبصيرة يؤديان إلى مشاهدة قدرة الله
وآياته في هذه الامور الغامضة عن العقول الساذجة

يرون حكماً جاء لكل طائفة مزيلاً للرجس القائم بها مخلصاً لها
من معارض الشرك المشتعل عليها يأمر الوثنيين بترك الاصنام والأوثان
والمشبهة بالانصراف عن الاجسام والثانوية بالتوحيد والطبيين بالنظر
الى ما وراء حجاب الطبيعة وأهل السيطرة بترك العقوق ليعلمهم أنهم
لا يتفاوتون عن كل نفس الا بما فضل الله من علم وفضيلة (ان اكرمكم
عند الله اتقاكم)

يرون ناصحاً يأمرهم بصدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعقود والمحافظة
على العهود وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم واحترام الدماء
البشرية والاعراض والرحمة بالضعفاء وينهاهم عن الفواحش وقول الزور وأكل
مال اليتيم وقذف المحصنة . ثم يرون انفسهم عباداً للاصنام (وهو يعبد الا)
ياكلون الميتة (وهو بعيد عنها) يأتون الفواحش (وهو يرى منها) ويقطعون
الارحام (ويصلها) ويسبون النساء (ويحسنه) ويسبون النساء ويسلبون
الاموال (وهو يأمر بالكف عنهما) فكانهم كانوا من عماء الجهالة بحال
لا يكادون يفرقون بها بين هاتين المنزلتين (الحق والباطل والحسن والقيبح)
وهو بهذا الظهور عما هم عليه من صدق الاحلام (انك لا تهدي من أحببت
ولكن الله يهدي من يشاء)

ثم رأت قریش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا بلداً
(الحبشة) أصابوا به مأمناً وقراراً وان النجاشي أكرم من لجأ اليه منهم وان
عمر ابن الخطاب أسلم واعز الله الاسلام باسلامه وهو وحمة بن عبد
المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والاسلام أخذ يفشوفي
القبائل فاجتمعوا واثمروا وتعاقدوا على بني هاشم وبني عبد المطلب

ان لاينا يحوم ولا يبايعوم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم وكتبوا الصحيفة ووضعوها في الكعبة توكيذا لانفسهم وانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب الى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه (الا بالهب) واقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لايصل اليهم شيء الا سرا مستخفيا به من أراد صلتهم ورسول الله يدعو قومه ليلا ونهارا سرا وجهارا مناديا بأمر الله لا يتقي فيه أحدا من الناس وحال رجال الله بينه وبين ما أرادت قريش من البطش به وان همزوه أو استهزؤا به أو خاصموه نزل القرآن بأحذانهم وفيمن نصب لعدوانه منهم

ثم كشف الله لنبيه عن أمر الصحيفة وان الله سلب الأرضة عليها فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأبي طالب فقال: أربك اخبرك بهذا؟ قال نعم. فخرج الى قريش فقال يا معشر قريش ان ابن أخي أخبرني بكذا وكذا (وذكر ما قاله له رسول الله صلى الله عليه وسلم) فهاهموا الى صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخي فانتهاوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخي فقال القوم رضينا وتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا وصنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا

ثم أسرى رسول الله ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (وهو بيت المقدس ايلياء) فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بها عجبوا وقالوا له وما آية ذلك يا محمد فدلهم على أشياء في الطريق وأمارات ظاهرة سألوها عنها فوجدوها كما قال ولكن أبي الله أن يصدقوه وهو صادق

أُوبِعِلْمُوا أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ

ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ مُحْتَسِبًا مُؤَدِّيًا إِلَى قَوْمِهِ النَّصِيحَةَ عَلَى مَا يَلْقَى مِنْهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْإِذَاءِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ وَقَرِيشَ تَتَنَقَّلُ مَعَهُ فِي طَرِيقِ الْإِذِي مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ وَتَتَقَلَّبُ مِنْ فِكْرٍ إِلَى فِكْرٍ فَمِنْ الْمَجَاهِرَةِ بِالْعَدَاوَةِ وَالْمُكَاشَفَةِ بِالْبَغْضَاءِ إِلَى النِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ وَنِيلَ مِنَ النَّفْسِ بِالْكِيدِ وَالْمَدَاهِنَةِ بَاقِيَةً عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُسْفِ وَالْقَسْوَةِ وَالْجُورِ وَضُرُوبِ الشَّرُورِ وَالْإِسْوَاءِ شَقَّ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَبْكِي فَمَا زَالَتْ بِهِ حَتَّى ضَيَّقَتْ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَأَجْلَتْهُ عَنْهَا مُهَاجِرًا خَوْفَ الْفِتْنَةِ وَقَطْعًا لَذَرِيعَةِ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ الْعَرَبِ

ثُمَّ مَاتَتْ خَدِيجَةُ وَأَبُو طَالِبٌ فِي عَامٍ وَاحِدٍ فَتَتَابَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَصَائِبُ بِمَوْتِهَا وَنَالَتْ قَرِيشَ فِيهِ مِنَ الْإِذِي مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ فَفَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَحْدَهُ إِلَى الطَّائِفِ يَلْتَمِسُ النَّصْرَةَ مِنْ « ثَقِيفٍ » فَلَمَّا عَمِدَ إِلَى سَادَتِهِمْ اسْتِهْزَأَ بِهِ وَكَذَّبُوهُ فَعَادَ إِلَى مَكَّةَ وَقَوْمُهُ أَشَدَّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ وَأَصْحَابِهِ مُسْتَضْعَفُونَ وَهُوَ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيُخْرِجُهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ فَأَتَى « كِنْدَةَ » فِي مَنَازِلِهِمْ فَلَمْ يَقْبَلُوهُ . وَ« بَنِي حَنِيفَةَ » فَدَعَاهُمْ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ أَقْبَحَ عَلَيْهِ رَدًّا مِنْهُمْ . وَأَتَى « بَنِي عَامِرٍ » فَاسْتِهْزَأَ بِهِ

ثُمَّ كَانَ الْمَوْسِمُ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَّفَرَ مِنَ الْإِنصَارِ وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ كَمَا كَانَ يُصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعُقْبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزَرَجِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَأَمْنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ

موافقا لما أخبرهم به أهل الكتاب والعلم من قومهم وقدموا المدينة
وذكروا القومهم مارأوه ودعوههم الى الاسلام وفشا فيهم ولم يبق دار من
دور الانصار الا وفيه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان العام المقبل فوافي الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وبايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث معهم مصعب بن عمه يعلمهم الاسلام
ويتلو عليهم القرآن

ثم تواعدوا مع رسول الله فلما كانت الليلة المعروفة وقد مضى ثلث
الليل خرجوا من رحالهم لميعاده يتسللون تسلل القطا مستخفين حتى
اجتمعوا في الشعب عند العقبة وهم ثلاثة وسبعون رجلا وجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه العباس فبعد أن تكلم وتكلموا في ان يحموه
حمايتهم لنسائهم وابنائهم وما هم بخاذليه ولا مسلميه ابدا اخرجوا منهم اثني
عشر رجلا سماهم رسول الله نقباء وقال لهم انتم على قومكم بما فيهم كفلاء
ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وانا كفيل على قومي (يعني المسلمين)
قالوا نعم

ثم عرفت جلة قریش بالامر وتنطست ووجدت الخبر كما ظنت
فخرجت في طلب القوم فأدركت سعد بن عباد والمندر بن عمر وكلاهما كان
نقيبا فأما المندر فأعجز القوم وأما سعد فأخذوه الى أن دخلوا به مكة يضربونه
حتى استجار برجلين فأجراه فانطلق ولحق القوم فلما قدموا المدينة أظهروا
الاسلام وفي قومهم بقايا من سادات بني سليمة وشریف من اشرافهم وكان
اتخذ في داره صنما من خشب فآزالوا به حتى كسره واسلم

عامت قریش بشيعة رسول الله وانصاره وادركت انه مجمع على اللحاق

بهم وتحققت ان أصحابه من المهاجرين سبقوه فاجتمعت في دار الندوة تتشاور
في ما تصنع فقالت نجبسه ولا نخرجه ثم اتفقت على ان يقوم من كل قبيلة
فتي شاب جلد فيقتلونه جميعا ليتفرق دمه في القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف
على حرب جميعهم

أوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم بكيدهم هذا فأمر على بن أبي
طالب أن ينام على فراشه ويتوشح ببرده ثم خرج وأرصدهم على باب منزله
فطمس الله على أبصارهم فوضع على رؤوسهم ترابا وأقاموا طول ليلهم فلما
أصبحوا خرج عليهم « على » وعلموا ان النبي صلى الله عليه وسلم نجا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجراً من خوخة في دار أبي بكر
تعددت معجزاته في هذه الهجرة فمنها انه هو وأبو بكر دخلا الغار
الذي في جبل ثور بأسفل مكة فلما فقدته قريش اتبعته ومعها القائف فوقف
عند الغار وقال هنا انقطع الأثر واذا بنسيج من العنكبوت على فم الغار
فاطمناوا لذلك ورجعوا ومنها ان سراقه اتبعهما ليردهما فلما رآياه دعا عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه في الأرض فنادى
بالأمان وقال يا محمد ادع الله ان يخلصني ولك على عهد ان أرد عنك الطلب
فدعا له نخلص (فعل ذلك معه مرتين أو ثلاثا) فلما أراد ان يعود قال له
رسول الله كيف بك ياسراقه اذا سورت بسواري كسرى قال كسرى
ابن هرمل قال نعم^(١)

(١) قال في أسد الغابة في ترجمة سراقه فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته
وتواجه دعا سراقه وألبسه اياها وقال له ارفع يديك وقل الله اكبر الحمد لله الذي
سلبها كسرى وألبسها سراقه

ومنها أنه لما وصل المدينة مرَّ بدور لبني سالم وبني بياضة وبني ساعدة
وبني حارثة . وكلما مرَّ بدار لآحد من هؤلاء تلقاه رجال منها يرغبون أن
يقيم عندهم وتبادروا خطام الناقة اغتناماً لبركته فما زالوا يتبادرون والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول لهم خلوا سبيلها فإياها مأمورة حتى أتت دار بني
مالك بن النجار فبركت حيث مسجد الرسول اليوم . ثم بقى على ظهرها
ولم ينزل فقامت ومشت غير بعيد ولم يثنها ثم التفتت الى مكانها الاول فبركت
واستقرت ونزل رسول الله وحمل أبو أيوب رحله الى داره فاشترى المربد
من بني النجار بعد أن وهبوه إياه فأبى قبوله وبني المسجد باللبن وعضاديه
الحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد وبني فيه المسلمون بغير
أجر لوجه الله

ثم وادع اليهود بكتاب صالح شرط لهم فيه مالهم وعليهم . وأخى بين
المهاجرين والانصار . بين جعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة ومعاذ بن جبل
وبين أبي بكر الصديق وخارجة . وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك
حتى أخى بين خمسة عشر من المهاجرين ومثلهم من الانصار
ثم فرضت الزكاة فاستلت ضغائن أهل الفاقة بما فرض لهم في أموال
الاغنياء وتخلصت الصدور من الاحقاد وأشعرت بالحبة وأصبحت تساق
بعامل الرحمة لرحمة أولئك البائسين وأصبح الغنى مدافعاً عن نفس الفقير
والقوى آخذاً بيد الضعيف

ابتدأت الغزوات في شهر صفر بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
مخرج الى غزوة (الابواء) في مائتين من أصحابه يريد قريشاً و (بواط) لما
بلغه أن عيراً لقريش ذاهبة الى مكة ثم غزوة (العشيرة) غازياً لقريش
(٣ - ل)

و (بدر الاولى) وفي كل ذلك لم يلق حرباً . وبعث فيما بينها بعوثاً فيها
 (بعث حمزة) و (بعث عبيدة بن الحرث) متقاربين حتى اختلف في أيهما
 كان الاول الا أنها أول راية عقد هار سول الله صلى الله عليه وسلم (ولم يكن
 بينها وبين المشركين قتال) و (بعث سعد بن أبي وقاص) و (بعث عبد الله
 ابن جحش) وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين (١)
 فلما قرأ الكتاب وجد فيه أن ينزل نخله بين مكة والطائف ولا يستكره
 أحداً فضوا كلهم وضل لسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعير فتخلفا
 في طلبه فموت بهم عير لقريش تحمل تجارة وذلك آخر يوم من رجب
 فتخرج بعض المسلمين الشهر الحرام ثم اتفقوا . وقتل عمرو بن الحضرمي
 وأسرعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وقد مواباليعير والاسيرين فأنكر
 النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم ذلك في الشهر الحرام وما سرى عنهم حتى
 أنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصدعن
 سبيل الله وكفر به) فقبض النبي صلى الله عليه وسلم الخمس وقسم الغنيمة
 وقبل الفداء في الاسيرين وأسلم الحكم بن كيسان ورجع سعد وعتبة
 سالمين الى المدينة وهذه أول غنيمة غنمت في الاسلام وأول غنيمة خست
 ثم صرفت القبلة عن بيت المقدس على رأس سبعة عشر شهراً من
 مقدمه المدينة وخطب بذلك على المنبر وسمعه بعض الانصار ونزلت آية
 (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله
 المشرق والمغرب) . كان من قوة دهاء العقل وأضالة الحكم أن تسر

(١) كتمان الاوامر وفتحها بعد حركة الجند من مراكزها أو الاساطيل من
 الثغور مما يعد من محاسن السياسة الاور وباوية الغامضة

جماعة المشركين ذلك في نفسها فلا تتقدم له بالسؤال عن صرف القبلة ولا تسمع منه ذلك الجواب الذي لقنه به بارئه لان في سكوتها تكذيبه وبطلان حجته وهم بذلك مغرمون اليه مضطرون وفي السؤال عنه تصديق خبره في اظهار سر القهر الالهى المحيط بهم الملجئ لهم على السؤال ولو كان في ذلك تسجيل لوصف السفاهة عليهم ولكنهم فعلوه لان الخبر السماوى والوعد النبوى لا يتخلفان قطعا

هاج مقتل عمرو نفوس قريش وشعر كل طرف بيوم بعد يومه فأقام رسول الله بالمدينة الى رمضان من السنة الثانية ثم بلغه أن عيراً لقريش فيها أموال مقبلة من الشام الى مكة معها ثلاثون او اربعون رجلاً (عميدهم ابو سفيان) فندب عليه السلام المسلمين الى هذه العير وامر بخروج كل من له ظهر حاضر ولم يحتفل في الحشد لانه لم يظن قتالا اتصل خروجه بأبي سفيان فاستنفر اهل مكة لعيرهم فنفروا وبعث رسول الله من يتحسس اخبار ابي سفيان وعلم ان القوم صاروا بين التسمئة والالف فاستشار الاصحاح من المهاجرين والانصار فقالوا وأحسنوا. قالوا (لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك)

عرف اهل قريش بمقدم المسلمين ايضا ولكنهم مع كثرتهم هذه اصبحوا لا يشتدون على مقاومتهم كانوا اصاب مكان الوجدان من قلوبهم شيء ولم يكف ابو سفيان انه تنكب بالعير الى طريق الساحل ونجا بل جد في حمل الناس على مذهبه فقال (ما بالنا لا نرجع وقد نجونا بالعير) ورجع الاخنس بن شريق بجميع بنى زهرة وكان مطاعا فيهم وقال (انا خرجنا لنمنع اموالنا وقد نجبت فارجمعوا) فرجعوا ولم يشهد بدراً من قريش عدوى ولا زهري

ربما كان للقوم بنجاة العير مقنع ولكن شدد أبو جهل وصار يستصرخ
العرب ويهيج عواطف إحساساتهم يقول (لا ترجع حتى نرد ماء بدر ونقيم
به ثلاثاً وتهابنا العرب)

سبقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ماء بدر وثبطهم عنه مطر
نزل وبله مما يليهم وأصاب مما يلي المسلمين دهم الوادي وأعانهم على السير
ثم نزل حيث أشار الحباب بن المنذر وبنوا حوضاً فملؤه ثم بنوا له عريشاً
يكون فيه رسول الله ومشى يريهم مصارع القوم واحداً واحداً وكان
أصحاب رسول الله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم فارسان الزبير والمقداد
توافقت الفتتان وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف
ورجع إلى العريش وأقبلت قريش بخيلائها ونفخها فلما رآها قال (اللهم
هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ونفخها تحادك وتكذب رسولاك اللهم
فمنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة)

ما زال الكلام يستوثق الناس على الشر (وان الحرب أولها الكلام)
حتى قام عامر وصرخ وأمره وأمره أغميت الحرب ونادت الرجال على
الرجال والنبي يدعو ويلح ويقول في دعائه (اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الأرض اللهم انجز لي ما وعدتني ثم أخفق (١) ثم انتبه فقال
(ابشري يا أبا بكر قد أتى نصر الله) ثم خرج يحرض الناس ويرمي في وجوه القوم
بحفنة من حصي وهو يقول (شاهت الوجوه) ثم تزاحفوا وجال القوم جولة
هزم المشركون فيها وقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً فيهم نحو العشرين من
مشاهيرهم وأسروا نحواً من عشرين رجلاً من كبرائهم كما هو مذكور تفصيله

(١) أخفق فلان خرك رأسه من نعاس

في كتب السير واستشهد من المسلمين ثمانية خمس من المهاجرين وواحد من
الانصار وواحد من الأوس وواحد من الخزرج . وانجلى الحرب وقسمت
الغنائم كما أمر الله . ورجع رسول الله الى المدينة ودخلها الثمان بقين من رمضان
حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له بعدان دعاهم
بالحجة وقطع العذروا زال الشبه وضار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية
دون الجهل والخيرة كما قدمنا فأخذ السيف منهم ما أخذ

ثم افتدت قريش أكثر أسارى بدر . وأمر بقتل كعب بن الأشرف
من أكابر اليهود وكان من المحرضين على رسول الله فقتله الأوس ثم وقعت
غزوات لم يلق فيها رسول الله حرباً وهي (غزوة الكدر) و (السويق)
و (ذي أمر) و (بحران)

تظاهر اليهود بالحسد لما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين وبغوا
وقضوا العهد وجأهروا بالكفر وقالوا واساؤا الرد ونبذوا العهد فانزل الله
(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ الهم على سواء) فكانت (غزوة بني
قينقاع) سار اليهم رسول الله وكانوا في طرف المدينة في سبعمائة مقاتل
منهم ثلاثمائة دارع فحصرهم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يكلم أحداً
منهم حتى نزلوا على حكمه فأمر بهم ان يقتلوا فشفع فيهم عبد الله بن أبي بن
سلول فحقن رسول الله دماءهم ثم أجلاهم وأخذ ما كان لهم من سلاح وضياع
ولحقوا بخيبر وأخذ صلى الله عليه وسلم الخمس من الغنائم ثم انصرف الى
المدينة وحضر الاضحى فصلى بالناس في الصحراء وذبح بيده شاتين ويقال
انهما أول أضحيته صلى الله عليه وسلم

وغنمت سرية زيد بن حارثة وظفرت بالير والمال وأتت بهرات بن

حيان العجلي أسيراً فتعوز بالاسلام واسلم وكان خمس هذه الغنيمة عشرين ألفاً
ثم استأذن الخزرج في قتل (ابن أبي الحقيق) وكان نظير ابن الاشرف
الذى قتله الاوس في الكفر والعداوة فأذن لهم فقتلوه في داره بخير وما
زال الاوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحاحين في طاعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذب عنه والنيل من أعدائه لا يفعل أحد القبيلتين شيئاً من
ذلك الا فعل الآخرون مثله

ثم كانت غزوة «أحد» وكان الذي أهاجها وقعة «بدر» فقد مشى كثير ممن
أصيب آبؤهم وأبنائهم واخوانهم بها فكلّموا أبا سفيان ومن كان له في تلك
الغير تجارة وسألوه ان يعينهم على حرب رسول الله ليذكروا الثار
اجتمعت قريش بأحابيشها (١) ومن أطاعها من قبائل كنانة وتهمامة .
وكان أبو سفيان قائد الناس والنساء بالدخول في بئر بدر ويحرضن بذلك
المشركين فلما علم بذلك رسول الله أشار على اصحابه بان يتحصنوا بالمدينة
ولا يخرجوا وان جاؤا قاتلوهم على أفواه الازقة وألح قوم من فضلاء المسلمين
فلبس لامة، وخرج وقال آخرون يا رسول الله ان شئت فاقعد . فقال ما ينبغي لنبي
اذا لبس لامة ان يضعها حتى يقاتل وخرج في الف من اصحابه فلما كانوا بين المدينة
و«أحد» عاد عبد الله بن أبي بنمات الناس وكان من تبعه أهل النفاق وبقي رسول
الله في سبعمائة فيهم خمسون رامياً فساروا حتى نزل الشعب من «أحد» وجعل
ظهره وعسكره اليه والمشركون ثلاثة آلاف منهم سبعمائة دارع وفي المسلمين
مائة وفرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة . وقاتل

(١) أحابيش قريش جماعة تحالفوا بالله انهم ليدعوا غيرهم وهم من جبل بأسفل
مكة اسمه حبشى بالضم

المسلمون واشتد القتال وانهمزمت قريش أولاً ثم خلت الرماة عن مراكزهم وكر
المشركون كرة وقد فقدوا متابعة الرماة فانكشفوا واستشهد منهم من أكرمه
الله ووصل العدو الى رسول الله وقاتل دونه مصعب بن عمير حامل الراية
فقتل . وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى
السفلى بحجر وشقت شفته وكلم في وجنته ووجهه في أصول شعره وعلاه ابن
فخته بالسيف وهشمت البيضة في رأسه واكبت الحجارة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى سقط في بعض حفر هناك فأخذ «على» ييده واحتضنه طلحة حتى
قام ومص الدم من جرحه مالك بن سنان الخدرى ونشبت حلقتان من
حلق المغفر في وجهه صلى الله عليه وسلم فانزعجما أبو عبيدة بن الجراح فبذرت
ثنيته وكر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المسلمين فقتلوا كلهم
آخرهم عمار بن يزيد ثم قاتل طلحة حتى أجهض المشركين وأبودجانة يلي
النبي بظهره وتقع به النبلة فلا يتحرك . وانتهى الضر بن أنس الى جماعة
وقد دهشوا وقالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما تصنعون في
الحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل الناس وقاتل حتى قتل
وبه سبعون ضربة وجرح وقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم
وهن المسلمون وظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل واذا
كعب بن مالك الشاعر من بني سلمة يبشر الناس فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا
معه نحو الشعب ثم جاء بقاء فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه
ونفض فاستوى على صخرة من الجبل وكانت حانت الصلاة فصلى بهم
فعودا وغفر الله للمنهزمين ونزلت آية (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان)
ثم صعدا يوسفيان الجبل وأطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

ونادى الحرب سجال يوم أحد بيدر وانصرف وهو يقول موعدكم العام القابل فقال عليه السلام قولوا له هو بيننا وبينكم ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة والمشركون الى مكة

مثل المشركون في هذه الواقعة بسيدنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت هند وصاحباتها قد جدعنه وبقرن عن كبده ولا كتبها ولم تسفها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في حمزة وأقبلت أخته صفية بنت عبد المطلب أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنها الزبير أن يردّها لكيلا ترى ما بأخيها فلقبها وأعلمها فقالت (بلغني انه مثل بأخي وذلك في الله قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولا صبرن) ثم أتته وصلت عليه واسترجعت وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدفن

ان بعض هذا الصبر لما تضعف العزائم البشرية عن احتماله وتضييق الذرائع عن الوقوف عند حدوده ولكن الهدى هدى الله

ثم أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صبيحة يوم «أحد» بالخروج لطلب العدو وأنه لا يخرج الا من حضر معه بالامس فخرج وخرجوا على ما بهم من الجهد والنصب وصار عليه السلام متجلدا مرهبا للعدو حتى انتهى الى حمراء الاسد وأقام بها ثلاثا وبلغ أبا سفيان وكفار قريش ذلك وكانوا يرومون الرجوع الى المدينة ليستأصلوا المساميين بزعمهم ففت ذلك في اعضائهم وعادوا الى مكة

ما أشنع شأن قوم انقلب بهم الحال وأدر كم قصم الظهر وانهار النفس بعد أن كانوا من الزعم بأنفسهم في شأن أزيد مما يليق بالنفوس البشرية فقد مال المشركون بعد هذه الحروب الى الكذبة والفرية . واعمال الخونة

فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر تمام الثلاثة من الهجرة نفر وذكروا أن فيهم إسلاما ورغبوا أن يبعث فيهم من يفقههم في الدين فبعث معهم ستة رجال من أصحابه حتى إذا كانوا قريبا من عسفان غدروا بهم ومنهم من قتل هناك ومنهم من حمل إلى مكة وقتل صبورا وكذلك قتلوا بعث المنذر بن عمر من بني ساعدة وهم أربعون من المسلمين وقيل سبعون طلب ملاعب الاسنة أبو براء عامر بن مالك أن يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى نجد فبعد أن تردد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو براء أنا لهم جار فسار وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل فقتله ولم ينظر في كتابه واستعدى عليهم وقتلوه عن آخرهم

ثم نهض رسول الله إلى (غزوة بني النضير) وأرادوا يؤذون رسول الله ويصعدون إلى ظهر البيت رجلا ليلقى على النبي صخرة فأوحى الله إليه بما أراد به اليهود ونهيا لحربهم فتحصنوا بالحصون فحاصروهم ست ليال وانتهت بالكف عن دمهم واجلاهم لخير بما حملت الأبل من الاموال الا السلاح ثم كانت (غزوة ذات الرقاع) و (غزوة بدر الموعدة) التي خرج فيها رسول الله لمياعده واعتذر أبو سفيان بجذب العام و (غزوة دومة الجندل) ولم يلق المسلمون في كلها حربا وواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حفص أن يرعى باراضى المدينة لان بلاده أجذبت وهذه أخصبت

ثم كانت غزوة الخندق وسببها خروج جماعة من اليهود إلى مكة يحزبون الاحزاب ويحرضون على حرب رسول الله ويرغبون من اشرب إلى ذلك بالمال فاجابهم أهل مكة وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ابن حرب في ١٠٠٠٠ آلاف من أحايشهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم

فلما سمع رسول الله أمر بحفر الخندق وعمل فيه بيده والمسلمون معه وأقبلت الأحزاب ونزلوا بظاهر المدينة بجانب «احد» وخرج عليه السلام بالمسلمين والخندق بينه وبين القوم ونقضت بنو قريظة العهد وكانوا مواعدين فعظم الامر واحيط بالمسلمين من كل جهة ودام الحصار شهراً ولم تكن حرب ثم بعد ان اشتد الحال اتى رجل اسمه نعيم بن مسعود بن عمار وقال يا رسول الله انا اسلمت ولم يعلم بي قومي فرنى بما تشاء فقال انما انت رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج يدبر في امره فأتى بنى قريظة وكان صديقهم فنقم لهم في قريش وغطفان وقال لهم (انهم ان لم يظفروا لحقوا ببلاذهم وتركوكم ولا تقدر على التحول عن بلدكم ولا طاقة لكم بمحمد واصحابه فاستوثقوا منهم برهن ابنائهم حتى يصابروا معكم) ثم اتى ابا سفيان في قريش وقال (ان اليهود ندموا وراسلوا محمدا في المواعدة على أن يسترهنوا ابنائكم ويدفعوهم اليه) ثم أتى غطفان وقال لهم مثل ما قال لقريش

دخل بين القوم من باب الاختلاف والمشاقة فيما اتفقوا عليه فارسل أبو سفيان وغطفان الى بنى قريظة في ليلة سبت يقول (انا لسنا بدار مقام فاعدوا للقتال) فاعتذر اليهود بالسبت وقالوا (ومع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا ابنائكم فصدق القوم خبر «نعيم» وردوا اليهم) (بالاباية من الرهن والحث على الخروج) فصدق أيضا بنو قريظة خبر «نعيم» وأبو القتال فكان هذا الكلام عند هبوب ريح التخالف من أعظم واكبر الاسباب التي تراجعت بها القلوب الى نقض العهد ولم يقف الحال عند ذلك بل أرسل الله على قريش وغطفان ريحاً عظيمة اكفأت قدورهم وآيتهم وقلعت أبنيتهم وخيامهم فأصبح المسلمون

وقد ذهب الاحزاب . ثم نهض رسول الله الى (بنى قريظة) بعد صلاة
الظهر من ذلك اليوم فأمر المسلمين ان لا يصلى احد العصر الا في بنى قريظة
وأعطى الراية على بن أبي طالب وبعد أن حاصرهم خمسا وعشرين ليلة ضربت
اعناقهم وقسمت اموالهم وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارسا
ثم كانت غزوة الغابة وذى قرد وكان سببها انه بعد قفول المسلمين
الى المدينة بليال اغار عيينة بن حصن الفزاري في بنى عبد الله من غطفان
على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة وكان فيها رجل من بنى غفار
وامرأته فقتلوه وحملوا المرأة ووقعت الصيحة بالمدينة وركب رسول الله في
أثرهم حتى ادركهم فكانت بينهم جولة قتل فيها من قتل ثم ولى المشركون
منهم مينا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء يقال له (ذو قرد) فأقام
عليه ليلة ويومها ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة ثم قفل الى المدينة
أقام رسول الله الى شعبان من السنة السادسة وغزا (بنى المصطلق)
من خزاعة لما بلغه من انهم مجتمعون له وقائدهم الحارث بن ضرار أبو
جويرية أم المؤمنين فخرج اليهم واقبهم بالمريسيع من مياههم فتراخفوا
وهزمهم الله .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السادسة وفي ذى القعدة
منها معتمرا (عمرة الحديبية) واستفز الاعراب وساق الهدى وأحرم من
المدينة ليعلم الناس انه لا يريد حربا وبلغ ذلك قريشا فاجمعوا على صده من
البيت وقتاله دونه فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة بركت
ناقته وقال الناس (خلأت) فقال ما خلأت وما ذاك لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل .

ثم جرت السفراء بين رسول الله وبين كفار قريش وقاضى رسول الله على امور. ينصرف عامه ذلك ويأتى من قابل معتمراً ويدخل مكة والسيوف فى القرب فيقيم بها ثلاثاً ولا يزيد. يتصل الصالح عشرة أعوام يتداخل فيه الناس ويأمن بعضهم بعضاً. من هاجر من الكفار الى المسلمين من رجل أو امرأة يرد الى قومه. ومن ارتد من المسلمين لا يرد.

انهم هذا الامر على المسلمين وكبر عليهم وتكلم فيه بعضهم شأننا فى عالم الشهادة وعدم اهتداء الافكار الى كشف الغائب من الامور الالهى واشراق مخصوص

اهتدى النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصالح وعلم انه سبب لا من الناس وظهور الاسلام وان الله سيجعل فيه فرجا قريباً للمسلمين وهو أعلم بما علمه ربه

كتبت الصحيفة كما قالوا (ولم يذكر فيها رسول الله) ثم أتى أبو جندل ابن سهيل يرسف فى قيوده فردده رسول الله الى أبيه وأخبره ان الله سيجعل له فرجا وبينما هم يكتبون الكتاب عنه جاءت أيضاً سرية ما بين الثلاثين والاربعين يريدون الايقاع بالمسلمين فأعتقهم رسول الله واليهم بنسب العتيقيون عظم هذا الامر على المسلمين من كل وجه حتى أنهم أغضبوا النبي صلى الله عليه وسلم فى عدم متابعتة أولاً عند ما أمر بالخلق والنحر ثم نحر فتابعوه ورجع رسول الله الى المدينة معهم

مافتح الله بفتح قبل هذا أعظم منه أبداً. كان القتال سداً فى وجوه القوم فلا تلتقى الناس دونه ثم كانت هذه الهدنة والناس على شوق من ان يأخذوا لانفسهم بالأحوط فما بشرى باطلاق هذه الهدنة وأمن الناس

بعضهم بعضاً حتي التقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد
بالاسلام أحداً أو يرشده اليه الاً دخل فيه فلقد دخل في تينك السنتين
في الاسلام مثلاً كان قبل ذلك واكثر

واعجب منه رد (من يهاجر من الكفار الى قومه) (ومن ارد من
المسلمين لا يرد) خفي عليهم أيضاً أمره ولم يدركوا ان رد المسلم المهاجر الى
العرب داع لا انتشار الدين بينهم لأنه مسلم ولا يزال قلبه الاسلام أبداً . ومانح
للنظر في مكنون أسرار المرتد من المسلمين ليعلم ما هو عليه وهو بعيد عن
محابس الخشية وخالص من قيود الاوامر والنواهي فيعلم الناس المناققين ويعلم
النبي من ينصره بالغيب

ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجالا من أصحابه الى ملوك العرب
وسلاطين العجم فبعث سليط بن عمر الى صاحب البمامة . والعلاء بن الحضرمي
الى صاحب البحرين . وعمر بن العاصي الى صاحب عمان . وحاطب بن
أبي بلتعمة . الى صاحب الاسكندرية . وشجاع بن وهب الى صاحب
دمشق . وعمر بن أمية الضمري الى النجاشي

وكتب الى كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه استكباراً فبلغ النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اللهم مزق ملكه كل ممزق (وكان ذلك) فقد جزأ الله
أصله وقطع دابره لان كل ملك أخرج من معظم ملكه يقيم على بقية منه
ولكن الاسلام لم يترك لهذا الملك ملكاً تناله الحوافر والاقدام الاأزاله عنه .
ثم كتب كسرى الى « باذان » عامله على اليمن يأمره بأن يبعث الى النبي رجلين
جلدين من عنده يأتیان به فبعث اليه بقهرمانه وآخر معه فلما قدما على النبي
صلى الله عليه وسلم جاءه الوحي بأن الله سلط على كسري ابنه شيرويه فقتله

ليلة كذا من شهر كذا فأخبرهما وقال لهما (ان ديني وسلطاني يبلغ ما يبلغ ملك كسرى) فأنصرفا وأخبرا « باذان » الخبر ولم ينشب « باذان » ان جاءه كتاب شيرويه يقتل كسرى وهكذا دعواته المستجابة حين ما تلقى من شدة أذى العرب وتكذيبهم إياه واستعانتهم عليه بالاموال والرجال دعا الله عز وجل أن يجذب بلادهم وأن يدخل الفقرييوتهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم سنين كسنى يوسف اللهم اشد وطأتك على مضر . فامسك الله عز وجل المطر عنهم حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلت المزارع . حتى اذا بلغت الحجة مبلغها وانتهت الموعدة منها عا د بفضلها فسأل ربه الخصب وادرار الغيث فأنهم منه ما هدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم فكلموه في ذلك فقال اللهم حوالينا ولا علينا فأمر الله عز وجل ما حولهم وامسك عنهم

ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم غازيا الى خيبر وحال الله بين غطفان وبين يهود خيبر برعب قذفه في قلوبهم فاقعدم في مكائهم بعد ان كانوا ارادوا مددكم وافتتح رسول الله حصون خيبر حصنا حصنا وبعض خيبر عنوة وبعضها وهو الاكثر صلحا على الجلاء فقسمها رسول الله وأقر اليهود ان يعملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف في كل ما يخرج

وفي هذه الغزوة أهدت اليهودية زينب بنت الحارث امرأة سلام الى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية وجعلت السم في الذراع منها وكان أحب اللحم اليه فتناوله ولاك منه مضغة ثم لفظها وقال ان هذا العظم يخبرني انه مسموم وأكل معه بشر بن البراء بن معرور وازدرد لقمة فمات منها ثم اعترفت اليهودية ودفعت لأولياء دم بشر فقتلوها

ثم قدمت مهاجرة الحبشة الى مكة وهاجروا منها الى المدينة وفيهم

جعفر بن أبي طالب وكان يوم فتح خيبر فقبل ما بين عينيه والتزمه وقال
ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدم جعفر

اتصل شأن أهل خيبر بأهل فدك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الامان على ان يتركوا الاموال فأجابهم الى ذلك فكانت خالصة لرسول الله
مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فلم يقسمها ووضعها حيث أمره الله ثم
افتتح وادى القرى عنوة وقسمها ورحل الى المدينة

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خيبر الى انقضاء شوال من
السنة السابعة ثم خرج في ذى القعدة لقضاء العمرة التي عاهدته عليها فريش
يوم الحديبية وعقد لها الصباح وخرج ملاً من قريش عن مكة عداوة لله
ورسوله وكرها في لقائه ففضى عمرته وتمت الثلاث التي عاهدته فريش على
المقام بها وأوصوا اليه بالخروج وأعجلوه

أمضى عهده صلى الله عليه وسلم وخرج وأقام بعد منصرفه من هذه
العمرة الى جمادى الاولى من السنة الثامنة ثم بعث الامراء الى الشام وأمر
على الجيش وكان نحو من ثلاثة آلاف مولاه (زيد بن حارثة) وقال وان
أصابه قدر فالامير (جعفر بن أبي طالب) فان أصابه قدر فالامير (عبد الله
ابن رواحة) فان أصيب فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه أميراً
عليهم وشيعهم صلى الله عليه وسلم

هذه الغزوة هي التي مثلت المساواة بين أفراد الصحابة في الشجاعة
وكادت أن ترفع من بينهم الامتياز (الا بما فضل الله) فقد ظهر الكل في
معرض الشجاعة متجردين عن حب الحياة الدنيا غير غافلين عن شأن الله
فيهم فأقاموا الدين وما تفرقوا فيه شيعة

انتهى هذا الجيش الى معان من أرض الشام فاتاهم الخبر بان هرقل ملك
الروم قد نزل بارض البلقاء في ١٠٠٠٠٠ فارس من الروم و ١٠٠٠٠٠٠ فارس
من نصارى العرب من نخم وجذام وغيرهم فأقام المسلمون في معان ليلتين
يتشاورون في الكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظاراً أمره
ومدده . ثم قال لهم عبد بن رواحة : أنتم انما خرجتم تطلبون الشهادة
وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به .
فانطلقوا الى جموع هرقل ورتبوا الميمنة والميسرة واقتتلوا فقتل (زيد بن
حارثة) ملاقيا بصدرة الرماح والراية في يده فأخذها (جعفر بن أبي طالب
فمقر فرسه ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذها بيساره فقطعت كذلك وكان
ابن ثلاث وثلاثين سنة فأخذها (عبد الله بن رواحة) وتردد عن النزول بعض
الشيء ثم صمم الى العدو فقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أقرم من بني
العجلان وناولها (خالد بن الوليد) فاحاز بالمسلمين وقد استشهد منهم
ما يزيد على العشرة أكرمهم الله بالشهادة

أنظر لهذه الحجج والقوارع العظمى ونداء العناية العليا من الجبروت
الاعلى واعجب لهذه الشجاعة التي وسعت كل شيء من القوى ولتلك
المعجزات الباهرة . انذر النبي صلى الله عليه وسلم بأصايبه وقاتل هؤلاء
الامراء قبل يومهم هذا بما فيه مقنع لمن وهبه الله صحة العقل

كان اشتغال العرب بهذه الحروب شغلا شاغلا لهم نسوا به دماء بينهم
فلما وقع صالح الحديبية أمن الناس بعضهم بعضا وفرغوا من مشاغل
الحروب وحلوا الاغلال التي كانت أخذت بأيديهم ومالوا الادراك الثار
وكان من الدماء المسفوكة التي لم يتم فيها التنازع والتجالد دم بين بني بكر

وخزاعة مضت عليه الازمنة والأعصار حتى جاء الاسلام ودخلت خزاعة
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بكر في عهد قريش في
صالح الحديبية

أراد الله أن يلوح من خلال هذا الظلم القديم نور فتح جديد مبين فقام
رجل من بكر ينشده جاء النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه رجل من خزاعة
فشجبه فهاج الشر بينهم وانتقض العهد الذي بين قريش وبين النبي صلى الله
عليه وسلم فقدم وفد من قومهم مستغِيثين برسول الله صلى الله عليه وسلم مما
أصابهم فأجاب صريحهم وأخبرهم أن أبا سفيان سيأتي يشد العقد ويزيد في
المدة ولكنه يرجع بغير حاجة وإن الذي فعلته قريش ستندم عليه وسيكون
ذلك سببا للفتح وكان ذلك جميعه

صدق الله رسوله وخرج أبو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد ويزيد في
المدة فرجع بغير حاجة ثم أعلم رسول الله أنه سائر إلى مكة وأمر الناس بأن
يتجهزوا ودعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش وكتب إليهم حاطب بن
بلتعمة بالخبر مع ظعينة قاصدة إلى مكة فأوحى الله إليه وبعث عليا والزبير
والمقداد إلى الظعينة فأدركوها فأخرجته من بين قرون رأسها

خرج رسول الله لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة في ١٠٠٠٠
نفس من قبائل من سليم . وغفار . ومزينة وطوائف من قريش وأسد .
وتميم . وغيرهم من سائر القبائل وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن
قريش حتى نبغتها في بلادها فطوى الله أخباره عن قريش إلا أنهم يتوجسون
الخيفة . قال العباس والله إن بغتها في بلادها فدخل عنوة أنه لهلاك قريش
آخر الدهر وخشي تلاف قريش أن فجاءهم الجيش قبل أن يستأمنوا
(٤ - ل)

فركب العباس بنملة النبي صلى الله عليه وسلم وذهب يتحسس وكان أبو سفيان
وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتحسسون الخبر أيضاً فسمع العباس صوت
أبو سفيان وبديل وقد أبصرا نيران العسكر فيقول بديل نيران بني خزاعة
فيقول أبو سفيان خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فقال
العباس هذا رسول الله في المسلمين أنا كم في ١٠٠٠٠ نفس قال ما تأمرني به
قال تركب معي فاستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله إن ظفر
بك ليضربن عنقك فردفه خلفه ونهض به إلى المعسكر ومر بعمر رضي
الله عنه فخرج يشتد إلى رسول الله يقول الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد
ولا عهد (١) فسبقه العباس على البغلة ودخل هو على أثره فقال يا رسول الله
هذا عدو الله أبو سفيان أمكن الله منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه فقال
العباس (قد أجرته) فزار عمر فقال العباس لو كان من بني عدى (٢) ولكنه
من عبد مناف (٣) فقال عمر والله لا سلامك كان أحب إلى من اسلام
الخطاب لأنني أعرف أنه عند رسول الله كذلك فأمر رسول الله العباس أن
يحمّله إلى رحله ويأتين به صباحاً فلما أتى به قال له صلى الله عليه وسلم (ألم يأن
لك أن تعلم أن لا إله إلا الله) فقال (بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك
وأوصلك والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنا) قال (ويحك ألم
يأن لك أن تعلم أني رسول الله) قال (بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك
وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء) فقال له العباس ويحك أسلم قبل أن
يضرب عنقك فأسلم . فقال العباس يا رسول الله (إن أبو سفيان رجل يحب
الفخر فاجعل له شيئاً) قال نعم (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ومن
(١) يريد انتقاض عهد الحديبية (٢) جد سيدنا عمر بن الخطاب (٣) يعني جد نفسه

أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن) ثم أمر العباس أن يوقف أباسفيان بخطم الوادي ليرى جنود الله ففعل ذلك ومرت به القبائل قبيلة قبيلة الى أن جاء مركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار عليهم الدروع البيض فقال من هؤلاء (فقال العباس) هذا رسول في المهاجرين والانصار (فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما) فقال يا أباسفيان انها النبوة (فقال هي اذن . أو قال نعم اذن) ثم قال له التجئ الى قومك فأتى مكة وأخبرهم بما أحاط بهم وبقول النبي صلى الله عليه وسلم (من أتى المسجد فهو آمن . الخ)

ثم رتب النبي صلى الله عليه وسلم الجيش وكان على اليمينه خالد بن الوليد وعلى اليسرة الزبير وعلى المقدمة أبو عبيدة بن الجراح وسرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش « من ذى طوى » وأمرهم بالدخول الى مكة « الزبير » من أعلاها « وخالد » من أسفلها وان يقاتلوا من تعرض لهم ولم يكن الا جولة وانهمز المشركون وكان الفتح لعشر بقين من رمضان وأهدر دم جماعة من المشركين يومئذ أتت على أسمائهم كتب السير

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالكعبة وأخذ المفتاح من عثمان بن طلحة بعد أن مانعت دونه أم عثمان ثم أسلمته فدخل الكعبة ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة وأبقى له حجاب البيت ^(١) وأمر بكسر الصور داخل الكعبة وخارجها وبكسر الاصنام حوالها وأمر بلالا فأذن على ظهر الكعبة

ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب الكعبة ثاني يوم الفتح

وخطب خطبته المعروفة ووضع ماثر الجاهلية الاسدانة البيت وسقاية الحاج
وأخبر أن مكة لم تحل لاحد قبله ولا بعده وانما أحلت له ساعة من نهار ثم
عادت كحرمتها بالامس ثم قال . لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده
وصدق عبده وهزم الاحزاب وحده الا ان كل مأثورة أو دم أو مال يدعى
في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين الاسدانة الكعبة وسقاية الحاج . ألا
وان قتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا فيهما الدية مغلظة منها أربعون
في بطونها أو لادها

يا معشر قريش . ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء
الناس من آدم وآدم من تراب (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)
يا معشر قريش ويا أهل مكة ماترون اني فاعل فيكم قالوا خير أخ
كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء واعتقمهم على الاسلام وجلس لهم فيما
قيل على الصفا فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا وبايع
النساء سيدنا عمر بن الخطاب

مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعله هذا (الكمال) في أبلغ صورته
ومنتهى درجاته بمقابلته كفران أهل مكة باحسانه وانعامه . على ان الذي لاقاه
عليه الصلاة والسلام منهم من أول دعوته لحد هذا الفتح مما لا يسمعه حلم
ولا يحيط به كرم ولكن رسول الله أشفق الناس على أمته . نام في فؤاده
الشريف حب انتقاد الهالكين وارشاد الضالين منهم ولو انهم كانوا من
العناد بالمقدار الذي يبنوه أصحاب السير . قابلهم وهو في أشد مظاهر القوة
والعظمة بحمائه . وكرمه ولطفه واحسانه وعفا عنهم وكذا شيمته عليه الصلاة

والسلام وكفى بنعمت الله له في كتابه الكريم بقوله (لقد جاءكم رسول من
أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)
أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا خمسة عشر ليلة وهو
يقصر الصلاة فبلغه ان هوازن وثقيف جمعوا له وهم عامدون الى مكة وقد
نزلوا (حينئذ) فبعث النبي يستعلم خبر القوم فجاءه الرسول وأطلعهم على جلية
الخبر وانهم قاصدون اليه فجهز رسول الله الجيش ومر به حتى أتى وادى
حنين من أودية تهامة أول يوم من شوال من السنة الثامنة وهو وادى حزن
فتوسطوه في غبش الصبح وقد كمنت هوازن في جانبيه فحملوا على المسلمين
حملة رجل واحد فولى المسلمون لا يلقى أحد على أحد وناداهم صلى الله
عليه وسلم فلم يرجعوا وثبت معه أبو بكر وعمر وعلي والنبي على بغلته
البيضاء والعباس أخذ بشكاعها فأمره رسول الله أن ينادى بالانصار وأصحاب
الشجرة وبالمهاجرين وكان جهير الصوت فنادى فاقتحمت الناس الرواحل
راجمين وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا «هوازن» والناس
متلاحقون واشتدت الحرب وحمى الوطيس وقذف الله في قلوب «هوازن»
الرعب حين وصلوا الى رسول الله فلم يملكوا أنفسهم فولوا منهزمين ولحق
آخر الناس وأسرى هوازن مغلوله بين يديه وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم
واستحرق القتل في بني مالك وثقيف

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والاموال فخبست وسار
من فوره الى الطائف فحاصر بها ثقيف خمس عشرة ليلة ورامهم بالمنجنيق.
ثم انصرف رسول الله بعد ما دخل الطائف وجاءه وفد «هوازن» بالجرأة
وخيرهم بين العيال والابناء والاموال فاختراروا العيال والابناء ثم رد عليهم

نساءهم وابنائهم بأجمعهم وقسم الاموال بين المسلمين وأعطى قوما يستألفهم على الاسلام يسمون المؤلفه مذكورون في كتب السير يقاربون الاربعين وجد الانصار في انفسهم من ذلك فتكلم شبانهم مع ما كانوا يظنون انه اذا فتح الله عليه بلده مكة يرجع الى قومه ويتركمهم . فجمعهم ووعظهم وذكركم وقال انما أعطى قوما حديثي عهد الاسلام انا لفهم عليه اما ترضون ان ينصرف الناس بالشاء والبعير وتنصرفون برسول الله الى رحالكم لولا الهجرة لكنك امر امن الانصار . ولو سلك الانصار شعبا وسلك الناس شعبا سلكت شعب الا نصار ففرحوا

اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة الى مكة ورجع الى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن أسيد شابا ينيف على العشرين غلبه الورع والزهد وهو أول أمير أقام حج الاسلام وحج المشركون على مشاعرهم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شهر رجب من السنة التاسعة وأمر الناس أن يتهيأوا للغزو الروم وكان في غزواته كثيرا ما يورى بغير الجهة التي يقصدها على طريقة الحرب الا ما كان في هذه الغزاة لعسرها بشدة الحرب وبعد البلاد وقلة الظلال وكثرة العدو الذين يصدون وتجهز الناس على ما في انفسهم من استئصال ذلك والمنافقون لا يفتأون يثبطون الناس عن الغزو وتقدم كثير من المسلمين بالانفاق كسيدنا عثمان بن عفان فانه أنفق فيها ١٠٠٠٠ دينار وحمل على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهاز ركابا وجاء بعض المسلمين يستحملون النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما يحملهم عليه فنزلوا باكين لذلك . وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى تبوك فاتاه (صاحب آيله) (و) (أهل جرباء واذرعات) . فصالحوا على الجزية وكتب لكل كتابا وبعث

خالد بن الوليد فصالح صاحب (دومة الجندل) على الجزية أيضا . ثم أسلم
عروة بن مسعود وجاء وفد ثقيف بعد ما ضيق عليهم مالك بن عوف
واستباح رحمتهم وقطع سابلهم فأسلموا وأمر عليهم عثمان بن أبي العاصي
اصغرهم سنًا لحرصه على الفقه وتعلم القرآن

ثم هدمت اللات والعزي : هدمها المغيرة بن شعبه وقام قومه من بني
شعيب دونه خوفا من أن يرى بسهم وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها
وجاء أبو سفيان فأخذ حليها ومالها وقضى منه دين عروة والأسود بن
مسعود كما أمر رسول الله

كانت العرب تتربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر النبي
صلى الله عليه وسلم ولان قريشا كانوا أمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم
وضريح ولد اسمعيل وقادتهم لا ينكرون لهم وكانت قريش هى التى نصبت
لحربه وخلافه فلما استفتحت مكة ودانت قريش ودخلها الاسلام عرفت
العرب انهم لا طاقة لهم بحربه وداوته فدخلوا دينه أفواجا يضربون اليه من
كل وجه مصداقاللخبر الالهى الذى لا يتخلف (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت
الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)
ضربت اليه وفود العرب حتى سميت هذه السنة (سنة الوفود) وجاءته
الكتب والرسل تترى من الملوك (حكمير) و (ابن ذى يزن) وغيرهما
باسلامهم ومفارقة الشرك وأهله . وكما جاء وفد أكرمهم النبي صلى الله عليه
وسلم وأرشدهم وعرفهم أمر دينهم وبشرهم بالخير وأمرهم به وشدد عليهم
فى الظلم ونهاهم عنه وفهمهم وأخبرهم بالذى لهم وعليهم وكتب صلى الله عليه
وسلم العهد والكتب

ثم خرج رسول الله الى حجة الوداع لموافقة الحج فيها عاشر الحجة^(١)
ومعه أشرف الناس وخطب بعرفة خطبته المشهورة التي بين للناس فيها
ما بين قال عليه الصلاة والسلام
« أيها الناس اسمعوا لي فاني لا أدري لمي لا ألقاكم بعد عامي هذا
بهذا الموقف أبداً

أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم
كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألکم عن
أعمالکم وقد بلغت فن كان عنده أمانة فليؤدها الى من أئتمن عليها وان كان
رباً فهو موضوع ولكم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون . قضى
الله ان لا رباً وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وان كل دم
في الجاهلية موضوع كله . وان أول دم يوضع دم ريعة بن الحرث بن

(١) كانت العرب تستعمل شهور الالهة وكان حجهم وقت عاشر الحجة كما رسمه
سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام فأدى الاختلاف بين شهور السنة الهلالية
وبين فصول السنة الشمسية الى وقوع الحج في وقت يصعب عليهم فيه السفر لمدام
اعتدال الزمن وموافقته للادراك فاجتمعوا ونسوا السنة شهراً فوق في السنة
محرم ان الاول رأس السنة والآخر في الذىء فلما انتهت النوبة في آخر أيام النبی
صلی الله عليه وسلم الى وقوعه في ذی الحجة وتم دور الذیء على جميع الشهور حج
صلی الله عليه وسلم في تلك السنة حجة الوداع لوقوعها في عاشر ذی الحجة كما كانت
وخطب وأمر الناس بما شاء الله أن يأمر ومن جملة ذلك قوله الا أن الزمان قد
استدار كهیئة يوم خلق الله السموات والارض يعنى رجوع الحج الى الموضع
الاول كما كان في زمن سيدنا ابراهيم ثم ثلث قوله تعالى (ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهراً في كتاب الله)

عبد المطلب^(١) فهو أول ما أبدأ من دم الجاهلية
أيها الناس ان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه
رضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم
انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله

ألا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات
والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليه ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
الفرد الذي بين جمادى وشعبان

أيها الناس فان لكم على نساءكم حقاً ولهن عليكم حقاً لكم عليهن
ان لا يواطئن فرشكم أحداً وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن
فان الله قد أذن لكم ان تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير
مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء
خيراً انهن لا يملكن لانفسهن شيئاً وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي فاني قد بلغت قولي
وتركت فيكم ما ان استعصمتم به فلن تضلوا أبداً . كتاب الله وسنة نبيه
أيها الناس اسمعوا قولي واعلموا ان كل مسلم أخو المسلم وان المسلمين
أخوة فلا يحل لامرئٍ من مال أخيه الا ما أعطاه إياه عن طيب نفس
فلا تظالموا انفسكم

ألا هل بلغت اللهم اشهد »

(١) وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله بنو هذيل

اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما قضى حجة الوداع فطارت
 الاخبار بذلك فوثب الاسود باليمن ووثب مسيلمة باليمامة وطلحة بن
 خويلد في بني أسد يدعى كلهم بالنبوة وحاربهم رسول الله بالرسل والكتب
 الى عماله ومن ثبت على اسلامه من قومهم ان يجحدوا في جهادهم فأصيب
 الاسود قبل وفاته بيوم ولم يشغله ما كان فيه من الوجد عن أمر الله والذب
 عن دينه فبعث الى المسلمين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء
 الكاذبين يأمرهم بجهادهم

ثم بدأ به المرض صلى الله عليه وسلم واول ذلك ان الله نعى نفسه الشريفة
 اليه بقوله (اذا جاء نصر الله والفتح) ثم بداه الوجد لليلتين بقيتا من صفر
 وتمادي به وجمعه وهو على يدى نسائه حتى استقر به في بيت ميمونة فاستأذن
 نساءه ان يمرض في بيت عائشة فاذنه وخرج على الناس فخط بهم وتحمل منهم
 وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم ثم قال (ان عبدا من عباد الله خير الله
 بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده) فهمها ابو بكر فبكى وقال بل نفديك
 بانفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر

جمع رسول الله أصحابه ودعاهم كثير أو أوصاهم بتقوى الله وأوصى الله
 بهم واستخلفه عليهم وأودعهم اليه ثم سألوه عن مغسله . وكفنه . والصلاة
 عليه . وعمن يدخله القبر فقال لهم في كل ذلك ثم أوصى بالانصار خيرا .
 وأمر بسد الأبواب التي في المسجد الا باب أبي بكر وقال اني لا أعلم امرأ
 أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت
 أبا بكر خليلاً ولا يكن صحبة اخاء وإيمان حتى يجمعنا الله عنده

ثم نقل به الوجد وجاء وقت الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس

فصلى ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة نخرج فلما أحس أبو بكر تأخر فجذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقامه مكانه وقرأ من حيث انتهى أبو بكر ثم كان أبو بكر يصلي بصلاته والناس بصلاة أبي بكر (صلوا كذلك عشر صلوات على المشهور) فلما كان يوم الاثنين وهو يوم وفاته خرج عليه السلام الى صلاة الصبح عاصبا رأسه وأبو بكر يصلي فنكص عن صلاته وردده عليه السلام بيده وصلى قاعدا على يمينه ثم أقبل على الناس بعد الصلاة ليعظهم ويذكرهم ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع في حجرة عائشة وخرج أبو بكر الى السنع^(١) قالت عائشة فثقل في حجري فنظرت وجهه فاذا بصره قد شخص الى السماء وهو يقول الرفيق الاعلى فعلمت انه خير فاخترت وذلك نصف النهار من يوم الاثنين لليلتين من شهر ربيع الاول طار النعي في الناس بموته فقامت رجال توعم انه لم يميت وأدرك الخبر أبا بكر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله وقال (يا بني أنت وأمي قد ذقت الموة التي كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موة أبداً) وخرج الى سيدنا عمر بن الخطاب وهو يتكلم فقال له أنصت فأني فأقبل هو على الناس وتكلم فجاءوا اليه فقال (أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن الله مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) ثم تلا (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) قال عمر فما هو الا أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت على الارض ما تحملى رجلاي وعرفت انه قد مات

(١) موضع قرب المدينة كان به مسكن أبي بكر

قام على . وعباس وابناه الفضل . وقثم . واسامة بن زيد . يتولون تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أوصى فغسله علي وعليه ثيابه مسنده الى ظهره والعباس وابناه يلقبونه معه واسامة وشقران يصبان الماء ثم كفنوه في ثوبين صحاريين وبر دجده أدرج فيهن ادراجا ودفن حيث قبض فرفع فراشه الذي قبض عليه وحفر له تحتة ولحده أبو طلحة زيد بن سهل وكان يحفر لاهل المدينة ثم دخلت الناس فصلت عليه الرجال . ثم النساء . ثم الصبيان . ثم العبيد لا يؤتم أحد ثم دفن في وسط الليل ليلة الاربعاء وقيل ليلة الثلاثاء وكانت ليلة ليلاء أظلمت بفقد الرسول وانقطاع الوحي واشترك الناس كلهم في العزاء فطاشت العقول وخرست الاسن وعمره ثلاث وستون أو خمس وستون صلوات الله عليه

﴿ شمائله صلى الله عليه وسلم ﴾

كان حسن الخلق . وسيما . قسيما . أبيض اللون مشربا بحمرة وكان وجهه أغر ظاهر الوضاعة يتلأأ . فيه تدوير ولم يكن بالطويل . ولا بالمطهم ولا بالمكثم . واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن . بينهما عرق يدره الغضب . أبلج الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة . حاد البصر عظيم العينين أنجلهما . أدعجها . أكحلها . أسود الحدقة ممزوجة بحمرتها . أحمر المآقي . أهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها . شارع الانف حسن الارنية . أفنى العرنيين سهل الخدين . أسيلهما صلبهما . تام الاذنين ضليع الفم حسنه . أشنب الاسنان مفلج الثنايا براقها . اذا ضحك يتلأأ وإذا تكلم روى كالنور يخرج من بين ثناياه . وكان أحسن الناس شفتين

والطفهم ختم فم . حسن الصوت في صوته سهل يبلغ حيث لا يبلغه صوت
غيره واذا خطب اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش . يقول صبحكم
ومساءكم . أحسن عباد الله عنقا لا بالطويل ولا بالقصير كأنه جيد دمية .
أجل الناس وأبهام من بعيد . وأحسنهم من قريب . أجرد أزهر اللون
أنور المتجرد . أحسن وجهها . وألين الناس كفاً . وأنور الناس لونا . يرى
رضاؤه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته فكان وجهه مرآة . لم يصفه واصف
الاشبه وجهه بالقمر ليلة البدر . من رآه بديهة هابه . ومن خالطه معرفة
احبه . يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله فخما حسن الجسم معتدل
الخلق بادنا احسن الناس قواما لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا . كالمرآة في
استوائها . وكالقمر في بياضه . اطول من المربع واقصر من المشذب .
عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين سواء البطن والصدر قوى الجسم .
شديد البطش . عظيم الهامة . ضخم الكراديس . شثن الاصابع . شثن
الكفين والقدمين . جليل المشاش والكتف . عبل الذراعين . عبل العضدين
ضخم الزندين . طويلهما ضخم الفخذين والساقين . رجب الراحتين . سائل
الاطراف منهوس الكعيبين . مسيح القدمين . خمضان الاخصيين . احسن
البشر قدما اذا التفت التفت جميعا . واذا مشى كأنما يتقلع عن صخر وكأنما
ينحط من صلب يخطو تكفيا ويمشى هونا بغير تبخر . ما مشى مع احد
الا طاله ذريع المشية يجهد اصحابه انفسهم وهو غير مكترث يمشى مجتمعا مشيا
يعرف فيه انه ليس بعاجز ولا كسلان . ولا يلتفت وراءه ولا يعيا يقبل
جميعا ويدبر جميعا اذا جاء مع القوم غمرهم يسوق اصحابه ويبدر من لقيه
بالسلام كث اللحية حسن السبلة حسن الشعر رجله شديد سواده اذا

انفرقت عقيقته فرقها . جميل الوفرة . حسن اللمة . عظيم الجملة ولم يكن
بالجمد القطط ولا بالسبط . كان جمداً رجلاً . يترجل غياً . واذا مشط
شعره يأتي كأنه حبك رمل وربما جمعه غدائر اربعاً تخرج كل اذن من بين
غديرتين وربما جمعه على اذنيه فتبلغ سوافه . اشعر الذراعين والمنكبين
وأعلى الصدر فكان طويل المسربة دقيقها موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعر غيره

احسن الناس خلقاً وأجود الناس صدراً واصدق الناس لهجة والين
الناس عريكة وأكرم الناس عشرة واطهر الناس طبعاً واشجع الناس قلباً واسخى
الناس كفاً . واطيب الناس نفساً . اعرف الناس بالله واخشاهم لله واكثرهم
صيماً وقياماً لاسيما في شهر رمضان حتى تورمت قدماء . اجود الناس بالخير
لا يرد من سألته حاجة الا بها او بميسور من القول ولا يؤيس منه راجيه
ولا يخيب فيه ولا يأتيه احد الا وعده وانجزله وان كان عنده اعطاه ولا
يدخر شيئاً لغد وما سئل شيئاً قط فقال لا . لم يكن بالجافي ولا المهين وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء وكان يعظم
النعمة وان دقت . لا يذم منها شيئاً . لا تفضبه الدنيا ولا ما كان لها فاذا
تعدى^(١) الحق لم يقيم لفضبه شيء حتى ينتصر له يغضب لربه عز وجل ولا
يغضب لنفسه ولا ينتصر لها واذا غضب أعرض وأشاح واذا فرح غص
طرفه واذا رأى شيئاً يكرهه عرف في وجهه وكان أشد حياءً من العذراء
في خدرها . كان من أفكه الناس لا يحدث حديثاً الا تبسماً قليل الضحك جل
ضحكه التبسم . اذا افتقر ضاحكاً يفتقر عن مثل سنا البرق اذا تلاً . وعن مثل

حب الغمام . كان بكاؤه من جنس ضحككم لم يكن بتشبهيق ورفع صوت كالم
 يكن ضحككم بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تنهلان فيسمع لصدره أزيز يمي
 رحمة آيت أو خوفا على أمته وشفقة ومن خشية الله وعند سماع القرآن
 وأحيانا في صلاة الليل وإذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض بها صوته
 وماتئاثب قط وكان يكرهه من غيره . دائم البشر . سهل الخلق . لين الجانب
 دائم الفكرة . متواصل الاحزان . طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة .
 ويعرض عن تكلم بغير جميل . ويكفي عن الامور المستقبحة في العرف اذا
 اضطره الكلام الى ذكرها . ويحزن لسانه الا في ما يعنيه . ان صمت فعليه
 الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء . يذكر الله بين كل خطوتين ولا يقوم
 ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى . يفتح الكلام ويختتمه باسم الله تعالى .
 حلو المنطق . في كلامه ترتيل . يتكلم بجوامع الكلام . كلامه فصل لا نثر
 ولا هذر . بين يحفظه من جالس ويفهمه كل من سمعه . كأنما هو خرزات
 نظمن لا فضول فيه ولا تقصير لوعده العاد لا حصاد . لا يذم أحدا ولا يعيبه . ولا
 يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجي ثوابه مجلسه مجلس حلم وحياء وامانة وصبر
 لا ترفع فيه الاصوات ولا تأبن فيه الحرم . اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على
 رؤسهم الطير . فاذا سكث تكلموا . لا يتنازعون عنده . حديثهم عنده حديث
 أولهم ان قال أنصتوا لقوله وان أمر تبادروا الامر . يضحك مما يضحكون .
 ويتعجب مما يتعجبون . يعطى كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جلساءه أن أحدا
 أكرم عليه منه وكان يصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسئلته من جالسه
 أو فاضله في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه . لا يقطع على أحد
 حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام . خافض الطرف جل نظره الملاحظة .

نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء . تنام عيناه ولا ينام قلبه . يؤثر أهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين ويؤلفهم ولا ينفهم ويكرم كل كريم قوم ويؤليه عليهم . وكان يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن احد منهم بشره وخلقه يتغافل عما لا يشتهى ولا يكاد يواجه أحدا بشئ يكرهه وما ضرب بيده شيئا قط الا انه يجاهد في سبيل الله ولا ضرب امرأة ولا خادما . يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه . افضل الناس عنده اعمهم نصيحة . واعظم الناس عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة يرفد صاحب الحاجة . لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه . لا يقبل الثناء إلا من مكافئ .

يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنازتهم . ما أكل على خوان ولا في سكرجة . ولا خبز له مرقق . وكان يجيب دعوة المملوك على خبز الشعير . يمر بالصبيان فيسلم عليهم . ولا يدفع عنه الناس ولا يضربون عنه ولم يكن شخص احب اليهم منه . وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك واذا انتهى الى قوم جالس حيث ينتهي به المجلس

﴿ كلمات من حكم رسول الله ﴾

اني تستقصي الأنفاس الشريفة وتحصى الحكم النيفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اذعنت لبلاغة حكمه العرب والعجم وقصرت عن مقاومته جميع الامم واقرب بالعجز عن منازعته من تأخر وتقدم وانما هي كلمات على سبيل البركة والاعتبار والله يهدي لنوره من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا

قال عليه السلام

رحم الله عبدا قال فغتم اوسكت فسلم السعيد من وعظ بغيره. والشقي
من وعظ بنفسه. صنائع المعروف تقي مصارع السوء. الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. جبلت النفوس على حب
من أحسن اليها. التدبير نصف المعيشة. المسلم من سلم الناس من يده
ولسانه. السكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. المرء كثير بأخوانه
الدال على الخير كفاعله. المؤمن سرآة أخيه. الناس معادن. حبك الشيء
يعمي ويصم من اصبح معافي في بدنه آمنا في سربه فكأنما حيزت له الدنيا
بمخذا فيرها. الرزق اشد طلبا للعبد من اجله. نية المؤمن خير من عمله. اتقوا
فراصة المؤمن فانه ينظر بنور الله. اغتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل
موتك. قل الحق وان كان مرا. استمعينوا على حوائجكم بالكتمان. ما خاب
من استخار ولا ندم من استشار. ما غال من اقتصد لا يلدغ المؤمن من
جحر مرتين. إياك وما يعتذر منه عس ماشئت فانك ميت واجب من شئت
فانك مفارق واعمل ماشئت فانك مجزى به. افشوا السلام وأطعموا الطعام
وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام. حفت الجنة بالمكاره. مطل الغنى
ظلم. البر حسن الخلق. القناعة مال لا ينفد. من تواضع لله رفعه الله من
أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه. طوبى لمن شغله عيبيه عن عيوب الناس. طوبى
لمن اتفق من مال اكتمله من غير معصية. لا كبيرة مع الاستغفار ولا
صغيرة مع الاصرار. اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس اهله
لا إيمان لمن لا أمانة له. إياكم والدين فإنه هم بالليل ومذلة بالنهار. الوحدة

خير من المجلس السوء . لا يمنع من أحدم مهابة الناس أن يقوم بالحق
 إذا علمه . لا تظهر الشهامة بأخيك . لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
 كما يرزق الطير تغدو خماسا وترجع بطانا . رب شهوة ساعة أورثت حزنا
 طويلا . ان الله عند لسان كل قائل . ان المعونة تأتي العبد من الله على قدر
 المؤنة والصبر على قدر المصيبة . ان الله ينهاكم عن قيل وقال واضاعة المال
 وكثرة السؤال . مما مثلكم ومثل الدنيا الا كراكب قال تحت الشجرة ثم راح
 وتركها . ليس من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت
 فابقيت . ان هذا الدين متين فأوغل فيه . برفق ان المنبت لا أرضا قطع
 ولا ظهرا أبقى . خير دينكم أيسره وخير العبادة أخفها . ان الله يحب
 الرفق في الامر كله . أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل . كفى بالمرء
 سعادة ان يوثق به في أمر دنياه ودينه . لا تزال هذه الامة بخير ما اذا
 قالت صدقت واذا حكمت عدلت واذا استرحمت رحمت . الله في عون
 العبد ما دام العبد في عون أخيه . المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله .
 شر الامور محدثاتها . اليد العليا خير من اليد السفلى . ما قل وكفى خير
 مما كثر وألهى . من أعظم الخطايا اللسان الكذوب . خير الغنى غنى النفس
 رأس الحكمة مخافة الله . خير ما لقي في القلب اليقين . الحمر جماع الاثم .
 شر الكسب كسب الربا . شر المآكل مال اليتيم . سباب المؤمن فسق
 من يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزبة يعوضه الله ومن يقرض
 الله يضاعف له الله . شر العمى عمى القلب وشر الندامة ندامة القيامة .
 خير العمل ما نفع . الضحك هلاك البدن . نعمتان مغبون فيهما الناس
 الصحة والفراغ . أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة .

السلطان ظل الله في أرضه يأوى إليه كل مظلوم . السعادة طول العمر في طاعة الله . خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمع وفقه في الدين . فضيحة الدنيا أهون من فضيحة الآخرة . الرغبة في الدنيا تكثر الهنم والحزن . الفراغ يقسى القلب . الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس . العلماء أمناء الله على خلقه . المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا لكل شيء عماد وعماد الدين الفقه . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن دع ما يريبك إلى ما لا يريبك . التمسوا الرزق في خبابا الأرض . اطلبوا الفضل عند الرءماء من أمتي تعيشوا في اكناهم اتقوا دعوة المظلوم . لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه أباوما أخطأه لم يكن ليصيبه أبدا . لا يعجنكم اسلام رجل حتي تعلموا كنه عقله . ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله . الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنصفهم لعياله . رب مبلغ أوعى من سامع . من أودع معروفا فليفشه فان نشره فقد شكره وان كتمه فقد كفره . من صمت نجا من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته . أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة .

﴿ تأثير دعوته صلى الله عليه وسلم ﴾

لا يكذب القائل اذا قال ان الفوضى في العقول والشرائع والعوائد وكل شيء تستقيم به التكالييف قبل بعثته صلى الله عليه وسلم كانت عامة

وقد صل الغالون من كل ملة في أنواع الظلم الى حد قليل أن يسمى بالشقاء
والفساد. واستولى الاضطراب على المدارك . وسارت الشبهات على العقائد
فقلبت وضعها وعكست طبعها . فالعرب كانت مفرطة في عبادة الاوثان
والحجارة والمنافسة في المؤودة والسائبة والتفاخر في إراقة الدماء وتقطيع
الارحام ودولة الفرس والرومان كانت متظاهرة بكل مافيه نهك القوى
وهلاك الاموال وظلم الامم المجاورة فضلا عن الترف والسرف الذى بلغ
مبلغه ووصل أقصى درجات الافراط فهما نظرت رأيت بغياً وحسداً وقطعا
للارحام وتنافساً فى الردى وإعراضاً عن ذكر الله وسلطان القوى منحصر فى
سلب ما بيد الضعفاء حتى ضاعت عقيدة الامن على الارواح والاموال
والاعراض وأصبحت الكرة الارضية كأنهادار حرب والنفوس كلها مشرأة
الى الاذى والضرر فلا تستأنس رشداً ولا خيراً من أحد أبداً (نسوا الله
فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)

أى علاج لرفع هذه النعم عن الامم أنجع وانفع من بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذى لم تمض عليه عشرون سنة بين دعوته وهجرته .
ومناظراته وغزواته . حتى ظهرت الفائدة فى العمل وقام العدل وانتظم شمل
الجماعة بالامر بالمعروف (وصرف الله القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء)
وخلقوا خلقاً جديداً نسوا فيه العداوة والعدوان ثم لم تمض عشرون سنة
أخرى حتى أصبحت الامة العربية بديعة النظام شديدة البنيان نامية فيها
أفنان العزة مستحكمة فيها أصول القدرة مستعملة آدابها سائدة أخلاقها
مستحسنة عاداتها صاف منهلها مستقيم منهجها لذيذ مورها غزير منبعها
معروفة شرعتها مهندهم بناؤها متمم منظومها متحد هواؤها وأهواؤها وقد

اتجهت لكل شيء يحفظ وجودها ويجمع كلمتها وينهض هم أحادها . حتى تنبث وتقوت وسادت وامتنعت وأشرفت على رؤوس الامم وتجلت عليهم بماذا تم لها ذلك ؟

تم لها بالدين القويم الاصول . المحكم القواعد . الشامل لانواع الحكم الباعث على الالفة . الداعي للمحبة . المزكى للنفوس . المطهر للقلوب الهادي للعقول بنور الحق الكافل لكل ما يحتاج اليه الانسان المشيد لمباني العمران الحافظ لوجود المعتنق له من آفات البهتان المزيل للوحشة . الجامع للصيانة الحافظ للاستقلال . المذهب الاخلاق . المحرك بمواعظه غيرة القلوب . الامر ببيع الارواح في حفظ شرف الامة والملة

اتي على الامة العربية فوحدها وقواها وهذبها وهداها وأنار عقولها وذكاه وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت العالم أجمع وساست دوله بسياسة العدل والانصاف وليس ذلك ببعيد على دين أعدته الحكمة الالهية خاتمة الاديان لنوع الانسان ينتهي به الى غاية المدنية ويصل الى أقصى مراقى الاداب

جاء هذا الدين صبور من العبادات وضروب من الاحتفالات تفقه الالباب وتنير العقول وتكسو الانسان حلة الانسانية مع ظهور المحجة واستقامة المحجة على انها من عماد السعادة ومصالحة البشر

طالب هذا الدين كل قادر بالعمل وانه لا يليق بنفس بشرية أن تظهر في الوجود وقد عميت عن طرق الاهتداء وطمست عن أعينها معالم الهداية فهي كل لا تعمل الخير ولا تبقيين عليه

قال تعالى (وان ليس للانسان إلا ما سعى . وان سعيه سوف يرى .

ثم يجزاه الجزاء الأوفى) فأصبح للانسان بالدين قوة تدعوه للدأب على العمل حتي يبلغ الغاية من عمله فرفع الدين بهذا عن النفوس الجبن والخمول والكسل والعالة وبين ما فيها من العار والشنار والضعف الذي لا يليق بالانسانية أبداً

نزلت في الكتاب الكريم خمس آيات تأمر الانسان بالسير والحركة وتدعوه للنظر في اثار من تقدمه وقد نصبها الله منصب العظة والاعتبار وأقامها مقام الدليل على عمل اصحابها من خير أو شر مجدد في النفوس قوة للتنافس بالاعمال واتباع أحسن الطرق في اقتناء الفضيلة بالجد والاجتهاد لا يقعدوها عنها المسالك الحزنة ولا المعابر الوعرة

قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فدل هذا على أن لافضل لاحد على أحد إلا بتقوى الله وان الانسان كلما استغرق في بحار العبودية خالقه وعرف ان إلهه إله كل شيء القادر على كل شيء المحيط بما في نفسه وقام بما خلق لاجله من أعمال الهداية التي نصبها الله سبيلا للنجاة فلا سلطان لاحد عليه الا بحق لانه بهذا التوحيد أصبح عبداً لله خاصة حراً من العبودية لكل ما سواه له ما للحر على الحر

عرف الانسان من هذا بالبرهان القطعي ان مشيئة الرؤساء التي كانت تستعبد الامم في مرضاتها والروح الخبيثة التي كانت تلامسهم فيسدعون الشرائع الالهية ناحية . ويطمحون الى الشهوات ويدخلون في كل أمر لهم فيه رغبة بلا روية ولا استبصار لا ينبغي الرضوخ لها ولا التسامح فيها وانه يجب على الانسان انه فضلا عن أن يصون نفسه عن الانقياد لها كذلك يتقدم لبني جلدته بالنصيحة حتى تتأبى عنها فقد قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون

الى الخير ويأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)
 كشف الاسلام عن العقول غمة الوهم ورفع الامتياز بين أفرادها الا
 يعلم أو عمل قال تعالى (لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال
 تعالى (لا يستوى القاعدون والمجاهدون) وقرر لكل طبقة من طبقات
 العلوم شرفا مخصوصا ودعى لها جميعا حتى دعى الناس للنظر فى النجوم بعد
 البحث فى هذه الرسوم واذم الجهل والقصور عن ادراك ما جاءت به الشرائع
 من الحكم وضرب له الامثال فقال تعالى حكاية عن المتلبس به (مثل الحمار
 يحمل أسفارا) ففتح بذلك باب السعادة للانسان بطهارة العقل من دنس
 الوهم وخلص العمل من وساوس الطغام

جمع القلوب على الألفة والمحبة بفريضة الزكاة التي افترضها . تؤخذ
 من أغنيائهم لفقرائهم فاستلت الضغائن والاحقاد التي فى القلوب واصبحت
 الامة الاسلامية اخوانا لا نهليست ولا سوسيالست ولا كومون ولا
 أنارشيست (لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت)

أدب النفوس بالصوم وأذاق الامير البؤس ليعلم ويحس بحال أخيه
 الفقير الجائع فلا ينساه من الموهبة التي وهبها الله له ولا يخليه من إحسان
 حتى يكون الغنى المحسن الشاكر كما ان ذاك هو الفقير الصابر

هذه قطرة من بحر الشريعة الغراء تكفينا لتقرير الكلام عليها فى هذه
 العجالة فنقول الى أى مرتبة يصل الانسان المتصف بهذه الاخلاق . حر
 فى نفسه . معان من اخوانه . عالم بان الله واحد لا إله الا هو متحقق أن
 لا وصول للسعادة الا بالعمل . وان لا عمل الا ما كان فيه رضاء الله . أترأه
 يصبح ويمسى جاهلا بعد هذا « التعليم » وتضييه الغواية « مع هذا الارشاد »

ويتلبس بالمنكر بعد هذا الامر بالمعروف أم تراه يرقى بشرف هذا الاستعداد حتى يبلغ درجات الكمال التي أعدها الله وسجلها لكل من اتبع نور هذا القبس واستضاء به

ظهر الدين الإسلامي وبقية الملل قدمزقها المشارب وفرقتها المذاهب فكان سببها لهداية الخلق أجمع وأصبحت الناس كلهم امامه بين رجلين (إما داخل فيه طوعا وإما مقلد له استكباراً) وكذلك معنى قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فانهضة العلمية في بغداد في عهد المأمون رضى الله عنه لا تختلف عن النهضة العلمية في باريس في أيام لويز الرابع عشر. فان مفتاح العلوم في كليهما الدين الإسلامي الذي دعى للنظر والبصر في كل شيء. ولم يدع نفساً غافلة لاهية إلا عابها. فالدين الإسلامي منشأ كل علم وباب كل سعادة ومفتاح كل استقلال للرأي والفكر والارادة وبه تكمل الإنسانية وتستعد لان تبلغ ما هيأه لها الله من حسنات الآخرة انفتحت أهل الدنيا على أن دين الاسلام رفع كل الأقال عن بني الانسان وأحسن اليهم المعاملة حتى ترامت عليه أهل الملل الأخرى يبتغون فضلاً من أهله فوجدوا فيه العدل والانصاف والمساواة والائواء حتى في التقاضى مع المسلمين بين يدي قضاة المسلمين فاستكثروا بالدخول فيه « حتى أثر دخولهم في واردات الجزية من كثرته » واستخدم الخلفاء من بني أمية وغيرهم من وجدوا فيه المهارة من غير المسلمين كالكتبة والعمال وصعدوا بهم الى أعلى المناصب وأسماها والاسلام يظلمهم بظلاله وهم يبذلون في خدمته أنفسهم

انتقل الى أوروبا من طريق الاندلس (باسبانيا) فاهتزت وربت

وأنت من كل زوج بهيج . وأنت على آخره حملة الغرب على الشرق
وتداخلهم فيه وفي أحواله أكثر من مائتي سنة وانتهت تلك الحروب
الجارفة بعودتهم لبلادهم بخفي حنين استغفر الله بل عادوا خاسرين في حربهم
مستفيدين في علمهم حافظين لكل التقاليد الدينية وقد عرفوا من أين
غلبوا وأدركوا من أين أخذوا

كانت أهالي أوروبا غافلة عن قائدتها لاهية عن مرشدتها فجاءها ما
أرادت عن قرب فنهضت لقطع سلاسل الذل التي لبستها من أيدي
ملوكها المغررين ونقضت العزائم التي قيدتها بها زعماء الدين . ورأوا أن
اختصاصهم بهذه الفضائل وعدم مشاركتهم فيها أفضل فدأبوا على العمل
بها ووجهوا همهم لسخلها عن أهلها فما زالت تلك الامهات تنمو عندهم
حتى مزقت حجب الجهل وما زالت عوائدهم تنتقل إلينا ونستعيض بها
عما عندنا حتى أبادت ذلك العلم وانتهى الامر بأن أضاء الغرب ذلك القبس
وأصبح أهله في ظلمات لا يبصرون

لم يكتف المسلم بأن يستعين بالغربي في معرفة سیر النجوم والكواكب
ومعرفة الفصول والمواسم المأمور هو بالنظر إليها من قبل ذلك بعدة
أجيال بل أصبح عالة عليه يستعين به في أقل القليل من أموره المعاشية
فقد المسامون لطائف شرف الاستقلال ودينهم مانحها وشدوا على
أيديهم الأغلال ودينهم قاطعها . واسترقوا وهم السبب في تحرير الرقاب .
وخانوا وهم الذين حفظوا العهد والوفاء في كل باب . فاض بينهم الغدر والزور
ودينهم يحرم الخديعة ويخرج الغاش من أهله . ما بالهم لا يتناصحون ولا
يعتصمون وقد عادوا لما كانت عليه الأمم الاولى . الأغنياء يسلبون

أهل البأساء . والابناء يقتلون الآباء والبنات يعققن الامهات

كادهم أهل الغرب كيذا بلغ سكينه العظم . أخرجهم عن مواطنهم
وأبعدهم عن مشارعهم وأزاحهم عن مواقفهم وأصبحوا على حال من
السذاجة لا يفرقون بين ما يضر وينفع . يقولون وهم لا يستحون ان دين
الاسلام من العوادي عليهم والسبب الاول في تهقيرهم وقد كذبوا واقتروا
وهم من العماء بمكان لا يفرقون به بين عزهم أمس وذلمهم اليوم ولا يدركون
أين كانوا والى أين صاروا

سيئون غدا حيث لا ينفع الانين ويبكون ولا يجدى البكاء لان
البلاء الذى نزل جرته الذنوب والله كما يثيب على طاعته يعاقب على عصيانه
ولن تجد لسنة الله تبديلا

اللهم انا نسألك طهارة في العقول وخلوصا في العمل من العوج
والرياء وهداية بالعلم والاعلام ورجوعا لآداب الدين التى فارقناها انك
على كل شىء قدير

﴿ سيرة سيدنا أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

هو سيدنا عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تيم (بن مره بن كعب) بن لؤى بن غالب بن فهر التميمى القرشى
يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مره بن كعب . وأمه أم الخير
سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره
ولد رضى الله عنه لسنتين وأشهر من ميلاد رسول الله صلى الله عليه

وسلم وشب على الاخلاق الفاضلة والسيرة الكريمة وكان أعف الناس في جاهلية ومقدما في قريش وهو من أهل مشاورتهم ومحبيهم وأعلم لمعاملهم وكان أعلم أهل زمانه بالانساب حتى كانت العرب تدعوه (عالم قريش) وتهابه لحرمة وكرمه وفضله فقد كان ذا مال جزيل في قومه ومروءة تامة واحسان وتفضل فيهم يصل الرحم . ويصدق الحديث . ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الدهر . ويقرى الضيف . وكانت له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما شرفه الله بالنبوة كان أبو بكر أول رجل أجاب دعوة الاسلام من غير كبوة فأجمعت الامة على تسميته بالصديق لانه بادر لتصدق الرسول ولازم الصدق فلم تقع منه هناة ما . ولا وقفه في حال من الاحوال ثم قام بدعوة اخوانه ولانه كان محببا سهلا كانت رجالات قريش تألفه فاسلم باسلامه كثير وأجاب دعوته مثل سيدنا (عثمان) بن عفان والزبير بن العوام (وطلحة) بن عبيد الله وغيرهم من صناديد الاسلام واشترى من أسلم من العبيد وأعتقهم في سبيل الله فكانت يده الطولى مبسوطة بالفضل على السادات والموالى

حاز شرف الصحبة بنص القران الكريم (اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) ومن حين أسلم الى حين توفى لم يفارقه سفرأ ولا حضراً الا فيما أذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه وشهد المشاهد كلها وحمل الراية العظمى في آخر غزواته وحج المسلمين وصلى بالناس في مرضه عليه السلام وكل باب في المسجد سد الا باب أبي بكر

قد امتحنه الله بأشد ما يمكن به الامتحان فله في الاسلام المواقف الرفيعة العالية : ثباته في قصة الاسراء وجوابه للكفار وكونه موضع سر

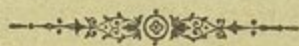
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هجرته وصاحبه في الغار عند تحجبه
ومساره في الطريق عند سيره . وقد نصب نفسه للخاصة والعامة والموالى
والمعادى وترك عياله وأطفاله بين يدى الاعداء . وكلامه يوم بدر . ويوم
الحدبية حين اشتبه على غيره الامر في دخول مكة . وما كان منه من الثبات
عند المصيبة العظمى التي خرسست عندها فصحاء خول الرجال يوم مات النبي
صلى الله عليه وسلم واهتمامه في بعث جيش أسامة وقيامه في قتال أهل
الردة وقد طمع أهل الشرك في الاسلام كما سيأتيك تفصيله وما زال يحجج
الصحابه بالدلائل حتى شرح الله صدورهم كما شرح صدره ورزقه تمام النعمة
وصلاح الدين والدنيا فالفضل وان كان مقسوما بينه وبين أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ولكنه أكثرهم أسبابا في اقتنائه وأشدهم صوابا في معرفة
طرق نواله

ولى الخلافة لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى في
١٣ ربيع الاول من سنة احد عشر . وأول من بايعه عمر بن الخطاب وتبعه
الراى الغالب من أجلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أفضل
هذه الامة وأولاها بالامامة لفضيلته وخاصة منزلته وشدة استحقاقه
من إسلامه على الوجه الذى لم يسلم عليه أحد من عالمه وفي عصره على
حسب صحة الاحاديث والاسانيد في تقديم أبى بكر لان رجالها أعم وخيرهم
أكثر واسنادهم أصح . وقد صنع أبو بكر ما صنع فى ماله وكان المال
أربعين ألفا من الدنانير فانفقها على نوائب الاسلام وحقوقه ولم يكن ماله
ميراثا لم يكدف فيه أو هو غريب لم يشعر بعسر اجتماعه وامتناع رجوعه
بل هو نمرة كد وكسب جولان وتعرض لحكم الليالى والايام ثم هو

ثَقِيلَ الظَّهْرَ بِالنَّسْلِ ذَا بَنِينَ وَبَنَاتٍ وَزَوْجَةً وَخَدَمَ وَحَشَمَ يَعُولُ أَبُويهِ وَمَا
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ فِتًى حَدَثًا قَتَهَزَهُ أَرْيَحِيَّةُ الشَّبَابِ وَغَرَارَةُ الْحَدَاثَةِ . وَالْأَعْجَبُ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِإِذَاءِ هَذَا الْإِنْفَاقِ وَحِذَاءِ هَذَا الْعَطَاءِ رَغْبَةً تَدْعُو أَوْ طَمَعًا يَحْدُو
لَاَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بَلِغَ مِنْ رَهْطِهِ وَلَا مِنْ قَوْمِهِ قُوَّةَ تَصَدُّ
عَنْهُ إِذَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيشٍ فَيَطْمَعُ فِي جَاهِهِ بَلْ هُمْ عَلَى مَا عَامَلَتْ مِنْ
السُّطُوتِ وَالْقُدْرَةِ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ يَدٌ قَبْلَ ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ فَيَخَافُ
الْعَارَ فِي تَرْكِ مَوَاسَاتِهِ عَلَيْهَا

قَضَى الْأَمْرَ بِبَيْعَتِهِ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَقَالَ (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ وَلِيْتُ عَلَيْكُمْ
وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي وَإِنْ صَدَقْتُمْ فَقُومُونِي . الصَّدَقُ أَمَانَةٌ
وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوًى عِنْدِي حَتَّى آخُذَ لَهُ حَقَّهُ وَالْقَوًى فِيكُمْ
ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا يَدْعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجِهَادَ
فَإِنَّهُ لَا يَدْعُهُ قَوْمٌ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذِّلِّ . أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ
يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ)

قَامَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِوُضُوءٍ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ
وَكَفَايَةِ . الْأَمَةِ وَصِيَانَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فَلَمْ يَنْحَرَفْ عَنْ شَيْءٍ يَمْنَعُهُ وَلَا
يَسِرُّهُ وَسَارَ وَكُتِبَ اللَّهُ يَقُودُهُ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ تَحُوطُهُ



﴿أعماله رضى الله عنه﴾

بدأ بتسيير جيش أسامة بن زيد الذى كان جهزه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثنه عن ذلك ما حصل من الاضطرابات في بلاد العرب على أثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيع الجيش ماشيا وأسامة راكب فقال أسامة لتركبن أولانزلن فقال والله لا نزلت ولا ركبت وما على ان أغبر قدمي ساعة في سبيل الله (ثم أوصاه وأصحابه فقال . لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تفرقوا نحلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للاكل واذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له واذا لقيتم قوما فخصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف ما خصوا عنه فاذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله : يا أسامة اصنع ما أمرك نبي الله ببلاد قضاة ثم انت آفل ولا تقصر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم ودعه فذهب أسامة وغاب أربعين يوما ثم رجع المدينة ظافرا غانما كما سيأتى ونفع الله جماعة المسلمين بهذا الجيش نفعا عظيما لانه فت في عضد المنافقين وعامت العرب ان المسلمين لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يبتغوا على فعله من الاذى نعم رد البلاء والكثيرة عن جماعة المسلمين فقد منى الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمصيبة العظمي مصيبة الردة التي لو لم تتداركها حكمة أبى بكر رضى الله عنه لتشتت شمل المسلمين وأصبحوا شذر مذر ما لبثت العرب بعد علمها بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

ارتدت الاقرىشا بمكة وثقيفا بالطائف وأصبحت الناس على قسمين تارك
للدين كاتباع مسيلمة وأهل اليمن وهم الذين اتبعوا الاسود العنسى . ومعتل
لبعض أركانه كالزكاة وهم أتباع مالك بن نويرة

شمر رضى الله عنه عن ساعده غير مبال بهذه الاهوال الجسام ولا
هياب لها مع قلة الجيش وكثرة العدد بل مع قلة المسلمين وكونهم كالغيم
فى الليلة الممطرة بقلتهم وكثرة عدوهم واطلام الجو عليهم بفقد نبينهم
وهكذا الوثائق بوعدده سبحانه وتعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم) وقام معتمدا على ربه مستسهلا المصاعب فكلل الله سبحانه
وتعالى أعماله بالنجاح

عاجلته عبس وذبيان مع جماعة من بني أسد وكنانة وجاؤا مانى
الزكاة وأطمعوا الناس فى المدينة لقلته من فيها فأعان الله المسلمين فلم تطلع
الشمس عليهم حتى وات الاعداء الادبار ثم جاء أسامة فاستخلفه على المدينة
وقاتل المرتدين وهزمهم وقد كان استراح جيش أسامة وثاب من حوالى
المدينة فعقد احد عشر لواء لاحد عشر قائدا وسير الجيوش لقتال أهل
الردة فجبر الاسلام بعدما كسر وفض حلتهم وفرق كلمتهم وكسر شوكتهم
والحمد لله

خص كل قائد بناحية لقتال من فيها من أهل الردة فـ (١) سيف الله
خالد بن الوليد لطاحه بن خويلد الاسدى ومالك بن نويرة و (٢) عكرمة
ابن أبى جهل الى مسيلمة باليمامة و (٣) شرحبيل بن حسنة لاهل اليمامة
و (٤) أبى أمية الى جنود العنسى وهم قوم من الفرس سكنوا اليمن و (٥)
حذيفة بن محصن الى أهل دبا و (٦) عرجة بن هرثمة الى أهل مهره و (٧)

سويد بن مقرن الى تهامة اليمن و(٨) العلاء بن الحضرمي الى البحرين و(٩) طريفة بن حازم الى بني سليم وهو اذن و(١٠) عمرو بن العاص الى قضاة و(١١) خالد بن سعيد الى مشارف الشام وزود كل قائد بما شاء الله أن يزوده من الارشاد أحد عشر باب من أبواب الفتنة فتحت في آن واحد وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يندمل بعد والامر في سره وجهه محتاج الى المجاهدة الحقة والقائم لا بد له أن يدأب بالاستعانة بالمعروف مع من أجاب الدعوة واستمر على الاقرار ويقا تل من رفضها ولازم الانكار واصحاب العجلة والفساد من العرب حشوا الاسلام والمسلمين وقد ارتفعت الامانة قال كل عيون على الكل من قبل الاعداء

هذا الموقف من أشد المواقف الحرجة التي ليس لها الا عزم سيدنا أبي بكر رضي الله عنه يذكر سراج هدى نبيه صلى الله عليه وسلم بنور الحق الساطع ويدعو الناس اليه بعد ما ألقته داعي الشيطان وأدبروا عن الهوى وأصبحوا بعد إيمانهم كفارا

اجتمع المشركون واجتمع المسلمون ونازل كل قائد خصمه وما زالوا بهم حتى هزم الله اعداءه على يد اوليائه كما بينته أصحاب السير في كلام طويل ولم يهمه احد منهم مع كثرة المقاتلة ولم يغلبوا على قلتهم ولم يخذلوا على ضعفهم لانهم بعيدون عن الهوى غير حائدين عن الصراط السوي لينظر الانسان نظرة غير ذى هوى فيري ابا بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين كالشجرة البيضاء في الثور الادهم والعرب كلهم اعداء له ولن معه ثم ليتأمل فعله من إعزاز دين الله وقتال من كفر بالله ولا سلاح معه اشد من الوثوق بوعد الله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت

اقدامكم) فجازه الله بتحقيق قوله هذا ومنحه النصر المبين والفتح العظيم ودانت له امم العرب واجتمعت كلمتها بعد تفرقها والف له القلوب بعد تشتتها وتوجهت همه الجميع لتحقيق قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)

﴿ فتوحاته رضى الله تعالى عنه ﴾

كانت بلاد العرب مجاورة لا كبر ممالك الدنيا إذ ذاك مملكة الفرس في الشرق ومملكة الروم في الشمال . ولا حاجة لتكرار الكلام في شرح ما كان يمتقده ملوك هاتين المملكتين في نفوسهم من العظمة بعدما قرأ القاري في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أن كسرى أبرويز مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استكباراً واستعظاماً من قراءته . فما بعد هذا دليل على مقدار الجبروت والكبرياء اللذين كان من فضل تعميم عدل الاسلام ومساواته بين الامم الاخرى هدمهما بالمرة . وقد كانت الحال من جهة الفرس الى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جيوش العرب فتحت اليمن وضمت اليه البحرين وعمان والكل مما هو تحت حماية الفرس إذ ذاك . وكانت من جهة مملكة الروم قاصرة على كتابة كتاب الى هرقل ملك الروم وتجهيز جيش في السنة الثانية من الهجرة ورضاء بعض عمال هرقل بالجزية انتدب أبو بكر رضى الله عنه سيف الله خالد بن الوليد ليضع أساس الدين القويم بالبلاد الفارسية وذلك في بدء المحرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة وأمره أن يبدأ (بالايلة) ^(١) وانتدب عياض بن غنم وأمره أن

(١) الايلة ثغر من ثغور الفرس على الخليج الفارسي عند مصب دجلة

يبدأ (بالمضيح^(١)) وأمدهما بما شاء الله أن يمدهما به وأوصاهما أن لا يستعينا
بأحد ممن ارتد على غزو أبدأ

سار خالد بن الوليد ورتب جيشه ثلاث فرق وقصد ثغر (الحفير)^(٢)
وكان صاحبه من عطاء الفرس اسمه « هرمز » تبغضه العرب وتنقم عليه
لكثرة غزواته فيهم فسبق المسلمين على الماء ونزل خالد على غير ماء . ثم
تلاقيا وسط الصف فاحتضنه خالد وقتله وحمل جيش المسلمين وانهزم
المشركون واقتسمت الغنائم وأرسلت البشائر وخمس الغنيمة الى أبي بكر
اتصل خبر هذه الهزيمة بملك الفرس أزدشير ومقامه (بالمدائن)^(٣)

فأرسل الى المسلمين جيشاً آخر يقوده عظيم من عظمائهم فجمع المنهزمين
من الفرس وسار بهم وبجيشه حتى وصل نهر (الثنى) فالتقى الجيشان هناك
فقتل قائد الفرس وحمل جمع المسلمين على جمع المشركين فقتلوا منهم مقتلة
عظيمة وغرق الكثير منهم في النهر وأخذت الجزية من الفلاحين وساروا
زمة وأرسلت بشرى الفتح وخمس الغنائم الى أبي بكر

اتصل خبر هذه الهزيمة أيضاً بملك الفرس فأخذ من عزمه ومن
صبره ما أخذ وأحال ذلك الجبروت والاستكبار الى حال آخر صيره ينظر
في أمره وألفته الى تلك الطامة المقبلة عليه فسير جيشاً يقوده عظيم وفي
أثره آخر يقوده أعظم منه ولكن كل هذا لم يغن شيئاً ولم تلتق عساكر
خالد بن الوليد بعسكر الجيش الاول حتى مات القائد في هزيمته وأصاب

(١) المضيح قرية على الفرات شمال العراق (٢) الحفير موضع قريب من الابله

(٣) المدائن للأكامرة على نهر الدجلة جنوبي بغداد شرقية وغربية وكان في

الشرقية ابوان كسرى

خالد أبناء من (بكر بن وائل) وقتلهم فكتب نصارى بكر ملك الفرس بما كتبوا فأمر الجيش الثانى أن يلحق جماعة المسلمين ويدرك بقية الجيش المنهزم ولكن القائد سير أمامه ذلك الجيش برئاسة غيره وسار هو الى أزدشير فوجد أخبار الهزيمة وصلته فأعلمته وأصبح فى مرض عضال ثم حصلت واقعة (الليس) ^(١) وثبتت فيها الاعاجم لتوقعهم المدد وثبت المسلمون لتيقنهم النصر من الله

وبعيد ما بين طالب رفه من زمان ومن يحاول زخرا
فجعل الله كلمته هي العليا ولم تمض ضحوة النهار حتى ولى الفرس
الادبار بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة وسار خالد بن الوليد قاصداً الحيرة ^(٢)
فى سفن فى بحر الفرات فخرج اليه (مرزبان) الحيرة وأرسل ماء الفرات
فى الجداول والترع المتفرعة منه حتى انخفض منسوب النهر ووقفت سفن
المسلمين على الليس فسار خالد بالخيول وحاصر القصور وشدد حتى خرجت
القسس من ديورها تصيح بأهل القصور وتطلب منهم الصلاح فصالحهم
على الجزية فدفعوها وأهدوه هدايا على عاداتهم مع ملوك الفرس فأرسل
خالد بالفتح والهدايا الى أبى بكر فقبلها وعدها من الجزية وأمر خالد أن
يعدها منها

فلما رأى حكام ما بعد «الحيرة» فعل خالد صالحوه على الجزية وأخذ فى مكاتبة
ملوك الفرس وسار الى مدينة الانبار ^(٣) فطلب صاحبها شيرازاد فصالحه

(١) الليس موضع على الفرات من قرى الانبار (٢) هى عاصمة ملوك العرب
من قبل الفرس وهى غربى الفرات على قرب الكوفة (٣) مدينة على شاطئ
الفرات شمال الكوفة

ثم سار سيدنا خالد وافتتح عين النمر عنوة^(١) ثم سار عنها قاصداً
دومة الجندل وافتتحها عنوة أيضاً

أثار هذا من حمية العرب الذين تحمّوا حكم الاكسرة بهذه الجهات
من عهد عظيم بسبب من قتل من العرب إخوانهم بعين النمر ودومة
الجندل فطلبوا من الفرس جيشاً يكون لهم عوناً . فأخرجت لهم فارس
فارسين عظيمين في عسكر كبير فكان حظهما في مناصبة القتال مع جيوش
الاسلام حظ من فات ثم وقعت واقعة «الفراض» وقاتل المشركون فيها
قتالاً شديداً ثم انهزموا وأمر سيدنا خالد بن الوليد بالرجوع الى «الحيرة»
كان من حكم الحال في ذلك الوقت أن ينصرف سيدنا خالد عن حرب
العراق ويسير الى الشام مدداً لجيوش المسلمين هناك فصرفه أبو بكر
واستخلف على جيشه في العراق «الثنى بن حارثة الشيباني» فقام من الحيرة
حتى أتى بابل^(٢) وأقام بها حتى لاقاه «هرمز» في جيش الفرس فقاتله جيش
المسلمين قتالاً شديداً أفضى الى هزيمته

كثرت الاختلافات الداخلية في مملكة الفرس فشغلتهم عن أمرهم
مع المسلمين واطمأن الحال في كل ما فتحته جيوش المسلمين من البلاد فرأى
«الثنى» أن يستخلف على جيشه ويقصد المدينة ليفاوض سيدنا أبا بكر
في أشياء فوجده مريضاً فاستحضر أبو بكر عمر بن الخطاب وقال اذا
مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع «الثنى» ولا تشغلكم مصيبة عن أمر
دينكم ووصية ربكم فقد رأيته وقت وفاة رسول الله وما صنعتته وما أصيب
الخلق بمثله واذا فتح الله على اهل الشام فاردد اهل العراق الى عراقتهم فانهم

(١) بلد في بركة العراق بالبعد عن الانبار بثلاث مراحل (٢) بلدة قديمة اشرقي الفرات

أهله وولاية أمره وأهل الجرأة عليه

هذا ما انتهى إليه أمر فارس في ذلك العهد وإذا استحضرت القاري في ذهنه صورة بلاد العرب يري أنها كانت محدودة بدولة الروم شمالاً ومملكة فارس شرقاً وإن الدعوة للدين بواسطة الجيوش الإسلامية قد انتقلت منها في عهد الصديق إلى هذه الممالك وإن سيدنا خالد بن الوليد أتجه جهة الشرق وأزال ملك فارس عن كل الأراضي الخصبة التي في غربي الفرات وهو ما يعبر عنه بريف العراق وأصبح حد مملكة فارس نهر الفرات . وأما من جهة الشمال فالذي وقع بعد الذي علمت من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه إلى هرقل والكتاب الذي كتبه لملك غسان بالبقاء وال جيش الذي بعثه رسول الله تحت أمرة زيد بن حارثة في السنة الثامنة من الهجرة وقبول صاحب جرباء وإيلة بالجزية

وجه سيدنا أبو بكر خالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام وأمره أن يكون ردهاً بتياء لا يفارقها فجهز إليه ملك الروم جيشاً فصار إليهم خالد فافترقوا فكتب لأبي بكر بالخبر فكتب إليه بالاقدام فتقدم ولقيه بطريق رومي اسمه ماهان فهزمه خالد وكتب إلى أبي بكر يستمده فاهتم بأمر الشام فاستقدم عمرو بن العاص وكان والياً على صدقات سعد هديم من قضائه كان أبو بكر مسيره إليها يوم عقد الألوية في ذي القصة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده ولايتها فكتب إليه أبو بكر (اني كنت رددتك إلى العمل الذي ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به أخرى انجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته وقد أحبيت أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة إلا أن

يكون الذى أنت فيه أحب اليك)

فكتب اليه عمرو (انى سهم من سهام الاسلام وأنت بعد الله الرامى بها والجامع لها فانظر أشدها وأخشاه وأفضلها فارم به)

جهز أبو بكر أربعة جيوش جعل على أحدها عمرو بن العاص ووجهته فلسطين^(١) . وعلى الثانى شرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن^(٢) وعلى الثالث يزيد بن أبى سفيان . ووجهته البلقاء^(٣) . وعلى الرابع أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح . ووجهته حمص^(٤) . وساروا جميعاً على بركة الله . وقد ودعهم أبو بكر ماشياً وأوصاهم بما فيه صلاح دنياهم وأخراهم فظلت الجيوش سائرة حتى نزلت الشام

بلغ « هرقل » أمر هذه الجيوش فقال لقومه أرى ان تصالحوا المسلمين فوالله لان تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه من بلاد الروم أحب اليكم من ان يغلبوكم على بلاد الشام ونصف بلاد الروم فرفضوا رأيه فسار حتى نزل « حمص » وأمر بجمع الجيوش فاجتمع من الروم عدد عظيم فوجه لكل أمير جيشاً يفوق عدة من معه فأشار عمرو بن العاص على الامراء بالاجتماع فاجتمعوا باليرموك^(٥) وكل واحد أمير على جيشه والروم أمامهم وبين الفريقين خندق فكان الروم

(١) كورة فى جنوب الشام

(٢) كورة بالشام تبثدى من بحيرة طبرية وتنتهى بالبحيرة الميتة

(٣) بلد بالشام

(٤) مدينة شامية فى الشرق من شهر العاصى

(٥) واد فى الجنوب الشرقى من الشام

يقاتلون باختيارهم وان شاؤا احتجزوا بخنادقهم وأقام الفريقان على ذلك
صفر والربيعين من السنة الثالثة عشرة من الهجرة فأرسل الامراء الى
أبي بكر يستمدونه فكتب الى سيدنا خالد بن الوليد أمير جند العراق
يأمره ان يستخلف على جنده بعد ان يأخذ معه نصفه ويتوجه الى الشام
مدداً لامرائه (كما قلنا ذلك عن قرب بعد ذكر واقعة دومة الجندل)

سار سيدنا خالد ينسف الارض نسفاً حتى وصل الى المسلمين في ربيع
الآخر وصادف وصوله وصول « ماهان » بجيش مددا للروم فولى خالد
قتاله وقاتل كل أمير من بأزائه متساندين فرأى خالد ان هذا القتال لا يجدي
نفعاً مادامت كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الامراء وخطبهم
قال بعد ان حمد الله وأثنى عليه

ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه البغى ولا الفخر . أخلصوا
جهادكم وأرضوا الله بعملكم فان هذا يوم له مابعده ولا تقاتلوا قوما على
نظام وتعبية وأنتم متساندون فان هذا لا يحل ولا ينبغي . ان من ورائكم
من لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا بما لم تؤمروا فيه بما ترون
انه رأى من واليكم ومحبه)

قالوا هات فما رأى فقال

(يؤمر على الجيش كله أمير واحد ويتعاونوا الامارة حتى يؤمروا
كلهم وان يؤمر هو في اليوم الاول) . فقبلوا مشورته

خرج سيدنا خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك . جعل
القلب (فرقا) وأقام فيه أبا عبيدة . وجعل اليمنة (فرقا) وأقام فيها عمرا
وشر حبيل . وجعل الميسرة (فرقا) وأقام فيها يزيد . وجعل على كل فرقة رجلا

من الشجعان^(١) وكان عدد الفرق ستة وثلاثين فرقة وكل فرقة ألف رجل.
انتشبت القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان وأظهر خالد عجائب
الشجاعة والحمية الإسلامية. ثم ان الروم حملوا حملة أزالوا بها المسلمين عن
مواقعهم وأزاحوهم عن مواقعهم فنهض سيدنا خالد بالقلب حتى حال بين
خيل المشركين ورجلهم فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة فخرج لهم
المسلمون واشتدوا على الرجالة فهزموهم وقتلوا خلقاً كثيراً وقاتل نساء
المسلمين في ذلك اليوم قتالاً شديداً وأبلى بلاء حسناً

انتهت هذه الموقعة بهزيمة الروم شرهزيمة وفي أثناءها جاء بريد المدينة
بموت سيدنا الصديق وخلافة سيدنا عمر بن الخطاب وتولية أبي عبيدة
رئاسة الجيوش فلم يبلغ هذا الخبر الجيش الا بعد الفتح

ربما يقول قائل الشأن في الحروب ان تكون سجالاتاً فلماذا تفاوتت
في هذه الوقائع مواهب القوى والهمة والعزم مع ما هو معروف في دولة
الروم من تمام التطاول الى اجتناء نمار الاعمال ولهذا فنحن قبل ذكر
خبر وفاة سيدنا الصديق ذاكرون حديثاً عن واقعة (اليرموك) هذه احدى
وقائع العرب مع الروم. ترد نزعات الفكر ونزعات الاهواء ان جمحت
وتعرف الانسان ان هداية الدين وصحة الاعتقاد وكمال العقيدة اذا تمت
لا انسان ترق منه الوجدان وتلطف منه الازدهان وتنفذ منه البصيرة وترفع
منه الفكر لا اجتلاء النتائج ويصبح صاحبها وله من القدرة الباهرة ما
لا يهتم ببناءه أبداً

قال الامام أبو الحسن سلام الباهلي الاشبيلي في كتابه الذى وضعه

في آداب النفوس ومكارم الاخلاق عند الكلام على مراتب الجود ودرجات
السخاء (حديث حذيفة العدوي) قال انطلقت يوم (اليرموك) اطلب ابن
عم لي وممي شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمل سقيته منه ومسحت به
وجهه فلما وجدته أشرت اليه أن أسقيه فقال لي ابن عمي نعم . فاذا برجل
يقول أه فأشار الى ابن عمي أن انطلق اليه فجلسه فاذا هو هشام بن العاصي
فلما أشرت فيه سمع آخر يقول أه فأشار الى هشام أن انطلق اليه فجلسه
فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فانصرفت الى ابن
عمي فاذا هو قد مات

أي شيء أعظم من هذا الايثار وأي صبر أجل من هذا الاصطبار . لقد
تقصر الاسن عن تعديله وتكمل الافهام عن تحديده ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم

﴿ وفاة سيدنا الصديق ﴾

اسبغ خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة . حم أبو بكر
فلما اشتد عليه المرض جمع كبار الصحابة فاستشارهم في العهد لعمر بن الخطاب
فكلمهم قال خيرا فدعا عثمان بن عفان وأملى هذا العهد
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده
بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر . ويوقن فيها
الفاجر . اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً فأن صبر
وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير

أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون
ثم أمر بالمهد فقرأ على المسلمين وقد أطل عليهم فقالوا سمعنا
وأطعنا ثم نادى عمر فقال له (إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا عمر إن الله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار وحقاً في النهار لا يقبله
في الليل وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضة ألم تر يا عمر إنما ثقلت موازين
من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا
يوضع فيه غداً إلا حق إن يكون ثقيلاً : ألم تر يا عمر إنما خفت موازين
من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا
يوضع فيه غداً إلا باطل إن يكون خفيفاً . ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء
مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليسكون المؤمن راغباً راغباً لا
يرغب رغبة يتمني فيها على الله ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها يديه .
ألم تر يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فاذا ذكرتهم قلت إني
لا أرجو أن لا أكون منهم . وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لانه تجاوز
لهم عما كان من شيء فاذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم فإن
حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست
بمميزه)

توفي الصديق رضي الله عنه وغسلته زوجته أسماء وابنه عبد الرحمن
وكفن في ثوبيه كما أوصى ودفن ليلاً في حجرة عائشة وجعل رأسه عند
كتفي رسول الله ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وعبد الرحمن
ابن عوف وطلحة بن عبيد الله فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر
ليال وعمره ثلاث وستون سنة

تتوجت هذه الايام بأعماله فكانت في سلسلة الايام من أفضل
العوامل في احراز الفضائل لم شملت المسلمين بعد فرقتهم برودة الكثير من
العرب . جرد الجيوش على الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاد الاسلام
(الروم . والفرس دعاها لدعوة الدين أو الدخول تحت حكمه حتى يكون
عدله ومساواته عامين لجميع الامم . لتخلص هاتين الامتين من ملوكهما الذين
يعدون رعيتهم عبيداً ونفوسهم آلهة وشهواتهم مهما عاضرارها على الرعية
سنة وفرضا . ففاضت جيوشه بالنصر في جميع مواقعها

كانت حالة الخلافة الاسلامية الى عهده (انه الخليفة) وسيدنا (عمر
ابن الخطاب قاضيه وسيدنا (أبو عبيدة أمينه) (وكتابه عثمان بن عفان
وعلى بن أبي طالب وزيد بن ثابت رضى الله عنهم)

كانت ولايات الاسلام في عهده عشرة لكل واحدة وال

١ (مكة) وعليها عتاب بن أسيد الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢ (الطائف) وعليها عثمان بن العاصي الثقفي

٣ (صنعاء) وعليها المهاجر بن أبي أمية

٤ (حضر موت) وعليها زياد بن ليبيد

٥ (خولان) وهي قبيلة عظيمة تسكن اليمن وعليها يعلى بن مُنْية

٦ (زبيد) وعليها أبو موسى الاشعري

٧ (نجران) وهو موضع شمالي اليمن يقيم به قبائل من بني الحارث

وعليه جرير بن عبد الله

٨ (البحرين) من شواطئ بلاد العرب المطل على الخليج الفارسي

وعليها العلاء بن الحضرمي

- ٩ (جرش) وهو مخالف باليمن وعليه عبد الله بن ثور
١٠ (دومة الجندل) وعليها عياض بن غنم وقاعدة أعماله الجدة
وامير جند الشام خالد بن الوليد القرشي المخزومي
وامير جند العراق المثنى بن حارثة الشيباني

﴿ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن دباح بن عبد الله بن
قرط بن رزاح بن عدى (بن كعب بن لؤى) بن غالب بن فهر العدوي
القرشي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤى .
وكنيته أبو حفص . ولقبه الفاروق .

ولد رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة وهو من أشرف قريش
واليه كانت السفارة في الجاهلية . فاذا وقعت قريش في حرب بينها وبين غيرها
أو نافرهم أو فاخرهم أحد كان هو السفير في أمرهم والنافر والمفاخر عنهم
تربى على الشهامة والنجدة والحمية الجاهلية وكان من أكبر المعارضين
للاسلام عند ظهوره ثم من عليه بالاسلام فكان من أكبر أسباب معزته
ببركة دعوته صلى الله عليه وسلم (اللهم أعز الاسلام بعمر) فكان اسلامه
فتحا . وهجرته نصراً وامامة رحمة

أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة بعد
أربعين رجلاً واحدى عشرة امرأة فادان بالاسلام حتى أشار على النبي
صلى الله عليه وسلم بترك الاختفاء والتستر وإظهار الدين فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه المسامون صنفين يقدم أحدهما عمر بن الخطاب (كأنه

قارعة القدرة العظمى) ويقدم الآخر حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن منظرأ أنسكى فى عيون المشركين من هذا المظهر يشق مرأئهم ويخرج صدورهم يودون لهم من الاذى ما يودون وماهم ببالغيه كان رضى الله عنه نصيراً للدين بما آتاه الله من قوة البطاش غير مستخف بعمله ولا هيب لا حد كان الله قد اختار لسانه للنطق بالحق واختصه بذلك ليقرع الأذان ويشق الحجب حتى انه عند ما أذن الله له بالهجرة الى المدينة لم يتسلل لها خفية بل جاء الى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم صلى ركعتين ثم أتى حلقهم واحدة واحدة وصاح بعظائنها شامت الوجوه . وأخبرهم بهجرته وقال لهم . من أراد ان تشكله أمه ويقيم ولده وترمل امرأته فليلقني وراء هذا الوادى فلم يحسراً أحد منهم على اتباعه حضر المشاهد كلها مع رسول الله من بدر الى تبوك (وهو ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكان عجيباً فى فعله وعمله حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم (لقد كان فيما قبلكم محدثون (ملهمون) فان يكن فى أمتي أحد فإنه عمر)

كان الله قد جعل الحق على لسانه وقلبه يقول به . وما نزل بالناس أمر فقالوا فيه وقال الانزل القرآن على نحو ما يقول عمر فوقعت موافقات كثيرة أوصلها بعضهم الى عشرين وأشهرها مسألة قتل أسري بدر . ومسئلة الحجاب ومسئلة الحجر . ومسئلة الاستغفار . ومسئلة الصلاة على أبى .

هو أول من سمي أمير المؤمنين : وأول من كتب التاريخ الهجرى . وأول من اتخذ بيت المال وكان إرادته من زكاة المسلمين . وجزية أهل الذمة . وخمس الغنائم . ومواريث من ليس لهم وارث من موتى المسلمين

فكان مطهراً من المظالم نقياً عما كانت الملوك تأخذه من أممها ظلماً وأول من دون الدواوين لحصر أسماء الغزاة . وأول من سن قيام رمضان وأثار المساجد في لياليه . وأول من عس الليل . وأول من عاقب على الهجاء وأول من جلد في الخمر ثمانين وأول من حرم المتعة ونهى عن بيع أمهات الأولاد وجمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات . وأول من اتخذ الديوان . وأول من مسح السواد . وأول من حمل الميرة من مصر الى المدينة . وأول من أخذ زكاة الخيل . وأول من اتخذ الدرة . وأول من استقضى في الامصار وأول من مصرها . اختط الكوفة ومصرها . والبصرة . والجزيرة . والشام . ومصر . والموصل . وأول من اتخذ دار المؤن ليعين منها المنقطع . فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ذلك

وله من الكرامات الغربية ومن اشهرها ايضاً واعجبها صيحتة وهو على المنبر (يا سارية الجبل) وكتابه لنيل مصر وابطاله تلك العادة السيئة وقطعها عن اهل مصر . ودعاؤه على اهل العراق وقد حصبوا اميرهم : اللهم قد لبسوا على فالبس عليهم وعجل بالغلام الثقفي يحكم فيهم حكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئتهم . والحجاج يومئذ ما ولد واكبرها دلالة على فضله واشدها علامة على نباه رضى الله عنه ما ذكره بعض المؤرخين ^(١) أن عمرو بن العاص خطر بباله حفر برزخ السويس لاتصال البحر الاحمر بالبحر الابيض فاستأذن عمر بن الخطاب فمنعه لئلا تعبر منه الافرنج (البحر) فيكثرون بالمشرق وبلاد المغرب

﴿ أعماله في خلافته ﴾

لم يغب عن القارىء، انا تركنا جيش المسلمين (بيايل) تحت قيادة بشير بن الخصاصية الذى استخلفه المثنى حينما قصد المدينة لملاقات الصديق (كما ذكرنا فى ترجمته) وقلنا ان نهر الفرات أصبح حداً للمملكة فارس وتركنا جيش المسلمين كذلك فى حرب الروم باليرموك بعد هزيمة الروم عنها . وسنأخذ الآن فى سرد ما افتتحت جيوش المسلمين فى بلاد هاتين الملكتين فى مدة هذا الخليفة رضى الله عنه وأرضاه

﴿ أمر فارس ﴾

ندب الناس مع المثنى وأمر عليهم أسبقهم انتدبا وكان أبا عبيد بن مسعود وقال له وأوصاه وصية رجل دخل بين الامم وطبائعها فقال له : ستقدم على أرض المسكر والخديعة تقدم على قوم تجرأوا على الشرف فعاملوه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون . احفظ لسانك ولا تقشين سرك حتى لا تكون بمضيعة

ثم أمر المثنى ان يتقدم الى ان يلحق الجيش وأمره ان يستنفر من حسنت قوته من المرتدين فصار مسرعاً حتى وصل الحيرة فى عشر وكان الفرس قد شغلوا عن المسلمين ببعض اختلافات داخلية على من يلى ملكهم ثم انفقوا أخيراً على ولاية « بوران بنت كسرى » وأن يقوم بأمرها « رستم » حتى يجدوا رجلاً من بيت كسرى يصالح للملك فاستعد رستم لقتال المسلمين وجهز الجيوش فارس ل جيشا الى الفرات وجيشا الى كسكر (١)

(١) كسكر بلد على الشاطئ الغربى لدجلة بين بغداد والبصرة وعلى آثارها واسط

وآخر الملاقات المثنى . وأغرى الفلاحين ان ينتقضوا على المسلمين فخرج المثنى من الحيرة الى خفان ^(١) وانتظر أبا عبيد حتى وصل بعد شهر فسار منها الى الفرس فهزمهم وحققوا بكسكر فقتلها أبو عبيدة وقد كانت جيوش الفرس تلاحقت فالتقى بهم أبو عبيدة وهزمهم شر هزيمة وبث سراياه وتجمع بمأحواليه من الانهار واعتصم بمعاقله حتى جهز الفرس جيشاً آخر تحت قيادة (بهمن) المعروف بذى الحجاب ومعه الراية العظمى لفارس واسمها (درفش كاويان) ^(٢) طولها اثنا عشر ذراعاً في عرض ثمانية أذرع مفصلة من جلود خدثت بين المسلمين والفرس وقائع على الفرات انتهت بهزيمة الفرس وتقدمت العرب حتى مكناها الله من سواد العراق واجلاء الفرس عنها

تضايقت الفرس من امتداد أيدي المسلمين لآخذ الجزية واستعمال ما افتتحوه من البلاد وزوال سلطتهم من غرب الفرات وضعف بلاد الجزيرة وغير ذلك من الطوارئ التي تتبع الهزيمة والانكسار فقامت عامة الفرس وخاصتهم تتدارك هذا الاضمحلال والزوال فاجتمعوا ورأوا من آل كسرى رجل اسمه « يزدجرد » فتوجوه ونادوا به ملكاً عليهم فجمع القادة وسير الجيوش .

بلغ ذلك سيدنا عمر بن الخطاب فجمع جيشاً عظيماً تحت قيادة سعد

(١) ماسدة قرب الكوفة

(٢) راية فريدون أحد سلاطين العجم وفيما يقول الناس انه كان حدادا في عصر الضحاك فلم يصبر على ظلمه فجمع الجلود التي كان يستعملها في صناعته من رصاص منها هذه الراية وثار على الضحاك فتبعته الالهالي ثم قتلوا الضحاك وولوه عليهم

ابن أبي وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصاه
 بوصية تنفذ في القلوب قبل الاذان فقال له . (ياسعد ابن أم سعد لا يفرنك
 من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله . فان الله لا يحو السيء
 بالسيء ولكنه يحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الا
 بطاعته فالتاس في دين الله سواء وهم عباده يتفاضلون عنده بالعافية ويدركون
 ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يلزمه فالزمه) . فسار سعد يقود هذا الجيش الشديد ويستأنس برأى أمير
 المؤمنين السيد ومعه أهل البأس والرأى وأهل الجهاد والصبر يضم اليه
 أقاصيه وطلائعه ويجمع اليه مكيدته وقوته ويتأمل في عورات عدوه ومكره
 مقاتله ويرهب عدو الله وعدوه حتى وصل الى « زرود » فبلغه وفاة المثنى من
 جراحه التى أصابته فجمع سعد جيش المثنى وضم رجاله الى رجاله وعي الجيش
 ورتب المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وسار حتى نزل القادسية^(١) فأقام
 شهراً لا يأتية عدو . ثم ترأس مع « يزدجرد » ملك الفرس وانتهى الحال
 على خروج رستم فى مائة الف أو يزيدون لقتال المسلمين

فلما علم سعد أمير جيش المسلمين خبر رستم أرسل عمرو بن معدى كرب
 الزبيدى وطليحة بن خويلد الاسدى يستكشفان خبر الجيش فلم يسيرا
 الا قليلا حتى رأوا سرح العدو منتشراً على الطفوف فرجع عمرو وظل
 طليحة سائراً حتى دخل جيش الفرس وعلم حقيقة ما فيه ورجع
 تلاقى الجيشان ووقعت وقعة « القادسية » التى استمرت أياماً وليالي ولم
 يكن أشد على المسلمين من الفيلة لنفار خيل العرب منها وأشدّها ايلة الهرب

(١) قرية قرب الكوفة ينزل بها حاج الكوفة الآن

التي حاربت فيها العرب والفرس من أذان العشاء حتى قام قائم الظهيرة وترك المسلمون فيها الكلام فلا تسمع الاصوات الحديد كأنما ساحة القتال سوق القيون وانتهى الامر بهزيمة الفرس التي لم يسمع بثلاثها وأخذت تلك الراية العظمى وقتل فيها رستم مع الكثير من مشاهير الفرس وقوادهم وباد عسكرهم قتلا وغرقا وأصبح أمر فارس بعد ما لاقته من العرب فشلا لم تغن عنها الرجال ولا الاقيال ولا الاقيال

مكث سعد ريثما استراح جيشه ثم قام عازما على فتح المدائن فصار يفتح البلاد التي في طريقه ففتح (البرس) و (بابل) والله ينصرهم بالعرب والفرس مدحورون لانهمز امهم في واقعة القادسية في أسرع من لفت الرداء وناهيك بقتال من ملئ رعبا فهربت قوادهم قصدوا أحدهم (نهاوند) والثاني (الاهواز) وبقية المهزومين قصدوا المدائن فتبعتهم العرب تشردهم وتشتتهم ويفتحون ما يلاقونه ففتحوا (كوني) و (ساباط) وصالحوا أميرها على الجزية ثم سار الجيش قاصداً المدينة الغربية فرأى المسلمون ايوان كسري يلوح امامهم أبيض ناصعاً فتذكروا وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على مارواه مسلم عن جابر بن ميمرة ان رسول الله قال (عصيبية من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسري أو آل كسري) فقويت قلوبهم وعظمت هممتهم وازداد اقبالهم واشتافت نفوسهم الى أن يكونوا تلك (العصيبية) المعنية بالذكر في حديثه صلى الله عليه وسلم فننادى ضرار بن الخطاب (الله اكبر) هذا أبيض كسري هذا ما وعد الرحمن وصدق رسوله وكبر المسلمون وحاصروا المدينة وفتحت القرى المجاورة. وقد جمعت الفرس المعابر الا معبرة واحدة أو مخاضة تصلح للعبور

دل المسلمين عليها أحدهم فعزم سعد على قطعها . فأمر فعبرت جماعة منهم (عدى) ليحصى الفراض حتى يعبر المسلمون . ثم أمر المسلمين فعبروا فلم يلتفت الفرس الا والفراض محمية والمسلمون يعبرون وقد سقطت الفرس في أيديهم فهرب « يزدرجرد » الى حلوان ^(١) ودخل المسلمون المدينة من غير معارض ونزل سعد القصر الأبيض وأخذ مصلى وصلى وقرأ في صلاته قوله تعالى « كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين » وأرسلوا البشائر والغنائم لأمير المؤمنين فلما رأى رضى الله عنه ذخائر كسرى قال (ان قوما أدوا هذا لنو أمانة) فقال له على (انك عفت فعت الرعية) ثم فتحت (جلالا) وترك يزدرجرد حلوان هربا وسار الى الرى وفتحت (تيكريت) و (نينوى) و (الموصل) و (ماسبذان) و (هيت) ثم مكثت « المدائن » قاعدة أعمال العراق زمنا حتى رأى سيدنا عمر في وجوه العرب تغيراً وفي أبدانهم ضعفاً فأمر سعدا أن يرتاد منزلا فاختر السكوفة ^(٢) بعد اختيار واختطت وبنيت دورها باللبن وجعل النهج (الشارع الاعظم) ٤٠ ذراعاً وما يليه ٣٠ ذراعاً وما بين ذلك ٢٠ ذراعاً والازقة ٧ أذرع وأسس مسجدتها وصارت قاعدة أعمال العراق وتتبع لها من أعمال الفرس الباب واذريجان . وهمدان . والرى . واصبهان وماه والموصل . وقرقيساء . وكلها في الجهة الشمالية ثم فتحت « تستر » فتحها جيش البصرة . ثم السوس وواقعة نهاوند

(١) بلدة بينها وبين بغداد أربعة مراحل وهى تنتهى العراق شرقا

(٢) ومعناها الرملة الحمراء المستديرة أو التى يخاطها حصباء

وتم الانسياح في بلاد العجم لضعف شوكة الفرس فاصبح سيدنا عمر أمير المؤمنين لا يخاف على المسلمين شيئاً من توغلم في البلاد ف عقد الالوية وسارت الجيوش حتى فتحوا تبريز (الباب) وهو (الفاصل بين الفرس وأرمينية ودولة الروسيا) وسار الاحنف الى خراسان ليلاقي «يزدجرد» الذي أقام (بمرو) يثير الفرس على المسلمين فبلغ (هراة) من بلاد الافغان فافتتحها وسار نحو (مرو الشاه جان) وكتب الى خاقان ملك الترك والى ملك الصغد وملك الصين يستمدهما فلم يغنياه شيئاً ثم افتتحوا. كرمان. وسجستان ومكران وانتهوا الى دوين النهر الى الحدود بين الفرس والسند الى هنا انتهى ما فعله المسلمون بالبلاد الفارسية جئنا منه بنتف مختصرة تدلك على غايته مفصلاً

لاشك ان الاشراق النبوي كان ملازماً لهؤلاء الفاتحين والمدد المحمدى يمدهم والافكيف تبثدىء هذه الحروب سنة اثنتي عشرة من الهجرة بفتح أول بلد من بلادهم وهي (الأبلة) من حدود بلاد العرب غرباً وتنتهى الى ما وراء النهر وبلاد السند شرقاً والخليج الفارسي جنوباً وبحر الخزر وأرمينية والروس شمالاً في هذه المدة التي لا تكفى مرئاداً يريد ان يتعرف طبيعة هذه البلاد لشدة جسامتها

جاء (الهرمزان) المدينة ولاقي سيدنا عمر بن الخطاب وقال له فيما قال (يا عمر كنا واياكم في الجاهلية كأن الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا فقال له عمر انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا) لم ينكر سيدنا عمر بن الخطاب غلبتهم للعرب ولم ينكر السبب فانظر لهذا الائتلاف والاتحاد في القلوب كيف جعلها قلباً واحداً تتجرى

برأى واحدا وان كانت في أجساد مختلفة

عم الدين الاسلامي فجمع الحائدين للصراط السوى والمنهج القويم
وأخرج الناس من الظلمات الى النور ومن جور الملوكة الى عدل الاسلام
اجتمع الفرس والعرب في دقائع كثيرة مشهورة ولم ينكسر لقوادهم
راية . ولم يقل لهم جيش . ولم يز المسامون في واقعة من الوقائع مساوين
لاقرانهم في العدد والعدد بل كانت الفرس في كل واقعة أضعاف العرب .
فاهذا الحال العجيب والنصر الغريب الذي لو أضيف اليه ماهو محقق
باليقين في الفرس من المهارة في تعبئة الجيوش وإحكام معدات الدفاع ووفرة
الاموال والعلم بطرق الدسائس والخداع لعدت مغاويتهم نادرة وغلبة
العرب معجزة . انظر لنور الايمان الذي سطع فأزال كل مايلحق النفوس
من الجبن . والذل . والخوف . وصرف الايدي عن النهب والغارة . وانظر
للقواد الذين لا يخشون تهديدا ولا وعيدا ولم يسلكوا بالامة مسلك الاهواء
لانهم لم يكرنوا دخلاء يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم كانوا متفانين
في حب الدين ليس لهم شأن الا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك
الزهو والكبرياء وحب الدنيا

هذه يد بيضاء فعلت في الفرس ما تبين لك أمره فانظر لاختها كيف
كان أثرها أيضا مع دولة الروم

قلنا في أول الكلام اننا تركنا المسلمين في حرب جيش الروم باليرموك
بعد موقعها الهائلة وهزيمة الروم عنها وأمير الجند أمين الامة أبو عبيدة
عامر بن الجراح

بلغه رضى الله عنه ان مدداً أتى دمشق فحصرها المسلمون . أبو عبيدة

من جهة وخالد بن الوليد من أخرى ودام الحصار سبعين ليلة حتى فتحت .
وفتح بعدها . حمص . وحماه والمعرة واللاذقية وحلب . وقنسرين . حتى
وصلوا الى قرب انطاكية

ثم بدا لسيدهنا عمر أن يطوف على المسلمين في بلدانهم لينظر آثارهم
فسار عن المدينة ومعه غلام وبعير واستخلف عليها سيدنا علي بن أبي طالب
وقدم الشام فسد فزوجها ورتب صوائفها وشواتيها^(١) واستعمل سيدنا
معاوية على دمشق وعزل شرحبيل عن الاردن وقال ما عزلته عن خيانة
ولا جور ولكن أريد رجلا أقوى من رجل

ثم قيل له لو أمرت بلالا فأذن فأمره فأذن فلم يبق أحد أدرك النبي
صلى الله عليه وسلم الا بكى حتى بل لحيته وعمر أشد الناس بكاء

ثم استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر وذكر له خبرها وانها قوة
عظيمة لمملكة الروم وكان عليها وال من قبلها يقيم بالاسكندرية . فسيره .
فقام لها بجيش كثيف ثم اتبعه الزبير بن العوام وفتحت وعاقده أهلها على
الأمان ونزل المسلمون «الفسطاط» واختطوا حوله وأسس عمرو مدينته
وشيد مسجده ثم سار الى الاسكندرية واجتمع له بينها وبين الفسطاط
جماعة من الروم والقبط فأثنهم ثم وصل الى الاسكندرية وطلب من
أهلها النزول على صلح مصر فلم يقبلوا ففتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم
ذمة وارتحل الروم الى القسطنطينية وأقام المقوقس والقبط على الصلح الذي
عقده لهم عمرو وأبقى المقوقس على رئاسة قومه وكان المسلمون يشاورونه
فيما ينزل من المهمات الى ان توفي وكان يقيم بعض الاوقات بالاسكندرية

(١) (الصوائف والشواتي) هي السريات التي تحارب صيفا وشتاء

وفي بعض الاوقات بمنف بمصر

وبفتح مصر انتهى مافعله المسلمون أيضا مع الروم في مدة سيدنا
عمر . أخذوا ولايتين عظيمتين . الشام . ومصر وجزأ من الاناضول
وبالاجمال أضعفوا شوكتهم وازلوا ملكهم وأذلوا دولتهم

انظر لهذه الفتوحات التي أطاش أمرها الاحلام وحيير الأفكار
والافهام وتأمل لمنصب الخلافة الحقيقية في تلك الايام وما يحف جماعة
المسلمين من حرية في دين وعلم في يقين وسعة في الوسائل المدنية الحقبة
والامة قريبة العين بما تغنمه من نهضات الهمم بالفتح والاصلاح والامور
مستقيمة على مثل مادعا اليه الاسلام . ونوره ساطع على الديار التي بلغها
أهله والقلوب تفيض غيرة منه والاسنة تندفق فصاحة به وكأنا
المسلمون ربيع يساقون الى جذب فلم ينزلوا أرضا حتى يحيي الله مواتها
بهم وينقع غلتها ببركتهم

انظر لمقام الخلافة مقام النيابة عن رسول الله تراه مشغولا بحراسة
الدين وسياسة الدنيا مستمدا لافعاله وأعماله وأقواله من كتاب الله تعالى
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . والامة باذلة له الطاعة
في سرها وجهرها وهو لا يعتقد في نفسه انه أرقى درجة منها . يقول سيدنا
أبو بكر (قد وليت عليكم ولست بخيركم) والفاروق رضی الله عنه يقول
(من رأى فيّ اعوجاجا فليقومه) وحاله بين المسلمين في ما لهم وجبايتهم
وخراجهم كوصي اليتيم ان استغنى استعفف وان افتقر أكل بالمعروف .
وشغله بعد هذا النظر في طلبات الرعية وتفقد أحوال البائسين من الامة
حتى لا يكون لاحد عليه حجة يوم لا ينفع مال ولا بنون فتراه يحمل الدقيق

على ظهره ليوصله الى الفقراء والمساكين أو يدرك بالطعام صبية يتضاغون
وأمرهم تلهم حتى يناموا وهو رضى الله عنه (غلق الفتنة) كما قال صلى الله
عليه وسلم . لا يزال بين المسلمين وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش
هذا بين أظهرهم

وأركان الدين قائمة . الصلاة الصلاة . امامة المسلمين في الصلاة
راجعة الى أرفع وظائفه . (والزكاة) القاطعة لكل احتيال بين افراد
الامة فلا سلب ولا سرقة ولا ضغينة تولدها عداوة . والحج من بقاع
الارض يجددون به للامير عهدهم ويشهرون طاعتهم والصوم الذي به تنهذب
النفوس وتذوق به الاغنياء مرارة الفقر فترحم الفقراء . والحدود قائمة
لا يخطر نظامها أبداً والجهد على ما علمت من أخبار هذا الفتوح

انظر لمواضع الشبه والنزعات الفكرية تجدها واقفة عند حد سلامة
الاعتقاد . والفقه عبارة عن علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات
النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى
نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب (ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون) . والتوحيد عبارة عن أن يرى
الموحد الامور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الاسباب
والوسائط وهكذا والناس في شغل شاغل بنصرة دين الله والاجتهاد في
تعميم أمره عن المشاحنة فيه . ماذا يعده الدهر الخوؤون من البلايا والمصائب
ينزل بها على المسلمين وهم في أهناً أوقات حياتهم وزيادة عزهم وسلطانهم ؟
وبماذا تخرج الايام عليهم وقد ظفروا بكل ما اشتهاوا ونالوا جميع ما ابتغوا
فتحرمهم لذة ما ذاقوا وتقطع عليهم ما يتذوقوا ؟ أى مصيبة تعدها الليالي

افسادا لحفاظ هذا النظام وسلبا لروح هذا البقاء؟

﴿مقتل سيدنا عمر بن الخطاب﴾

ليس بعد المصيبة برسول الله أعظم وأكبر منها به قاصم الظهور وجائح النفوس
نزعت نفس الشقي أبو لؤلؤة المجوسي نزعة كانت من أشأم النزعات
على العالم الانساني . قوضت الاصل وخرمت العلائق بين الصحب والاهل
ولا حول ولا قوة الا بالله

أتت مصيبة على المسلمين وكأنهم لم يسمعوا بالمصائب ويجهلون طرق
العزاء فيها فأدهشتهم . فهم الى انهم مذهولون منها أكثر مما هم محزونون
أصيب رضى الله عنه في المسجد بعد ما كبر . سمع عنه يقول قتلى
أوأكلاني (الكلب) حين طعنه أبو لؤلؤة . وهو غلام مجوسي كان
بعته المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة لما يعلمه من الصنائع والاعمال التي
فيها منافع للناس فضرب عليه مائة درهم في الشهر فاشتكى الى عمر رضى
الله عنه فقال له ماخراجك بكثير فانصرف ساخطا يتذمر ثم بعد أيام
سأله عمر رضى الله عنه عن رحي تطحن بالريح كان أوصاه عليها فقال له
سأصنع لك رحي يتحدث الناس بها فقال عمر لاصحابه لقد أوعدني العبد .
ثم كان منه الذي كان من طعنه بمنجبره وطعن كل من يمر عليه في المسجد
يمينا وشمالا حتى لقد طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة ثم انتحر
نظر عمر رضى الله عنه فيما عليه من الدين وأوصى بوفائه ثم استأذن
عائشة رضى الله عنها ان تدفن مع صاحبيه فاذنت له ثم قيل له اوص يا أمير
المؤمنين قال لا أتحميها حياً وميتاً ان استخلفت فقد استخلف من هو خير
مني (يعني أبا بكر) وان أترككم فقد ترككم من هو خير مني (يعني

رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم قال فأوصى بالانصار خيرا والمهاجرين
والاعراب واستقبل الله بقلب سليم رضى الله عنه وأرضاه
(سيدنا عثمان بن عفان)

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد
مناف الأموي القرشي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب القرشي الأموي

ولد في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديماً وهو ممن أجابوا دعوة
الصديق حين دعاهم للإسلام. وهاجر المهاجرين الأولى إلى الحبشة والثانية
إلى المدينة. وشهد المشاهد كلها (الآدرا) لشغله بتمريض زوجته بنت
رسول الله وأسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنيمة زوجها
بينته الثانية ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي ذا التورين
فهو من السابقين الأولين وله خصائص جميلة منها أنه هو أول المهاجرين
وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. وأحد الستة الذين توفى رسول الله
وهو عنهم راض. وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن. (جمع الناس على
مصحف واحد).

وله أوليات. منها. أنه أول من أقطع القطائع. وخففص صوته
بالتكبير وخلق المسجد. وأمر بالآذان الأول يوم الجمعة. وأول من قدم
الخطبة في العيد على الصلاة. وأول من فوض للناس إخراج زكاتهم.
وأول من اتخذ صاحب شرطة. وأول من اتخذ في المسجد مقصورة.
مخافة أن يصيبه ما أصاب عمر (وما أغنى حذر)

بويع له بالخلافة بعد ما دفن عمر ثلاث ليال والناس تستشير وتختلف إلى

عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه في من يلي منصب الخلافة. ولا يخلو به رجل ويعدل بعثمان أحداً وكذلك كان رأي أكثر أعيان الصحابة وأغلبية الشورى شب عثمان رضي الله عنه على الاخلاق الكريمة والسيرة الحسنة والحياء الذي خصه الله منه بأجل السهام وضرب له فيه بأوفر الحظوظ والاقسام حتى كانت تستحي منه الملائكة. كانت له اليد البيضاء في تجهيز جيش العسرة الى تبوك فقد أنفق من ماله ما لا يحجود به غيره وحفر بئر (رومة) وتصدق بها وكان رشاؤه فيها كرشاء واحد من الناس

زاد في مسجد المدينة ووسعه وبناه بالحجارة وجعل عمده من الحجارة وسقفه بالساج وجعل طوله ١٦٠ ذراعاً وعرضه ١٥٠ ذراعاً وناهيك برجل مامرت به جمعة منذ أسلم حتى أعتق فيها رقبة. كان عاملاً أميناً للخليفتين رضي الله عنهما بعد النبي صلى الله عليه وسلم. وعمل في خلافته ست سنين لا ينقم عليه أحد وكان أحب لقريش من عمر بن الخطاب. لان لهم ووصلهم وفعل معهم خيراً

﴿ أعماله في خلافته ﴾

في حفظ القاري اننا ذكرنا ما وصلنا اليه من أمر عسكري المسلمين الفاتحين في مملكتي الروم والفرس في عهد الخليفتين الصديق والفاروق. ولنذكر الآن ما زاد على ذلك من الفتح في أيام الخليفة ذي النورين وما جري في هذه البلاد

﴿ الكوفة ﴾

استفتح سيدنا عثمان في بدء خلافته باستمالة سعد بن أبي وقاص عليها عملاً بوصية عمر رضي الله عنه ثم عزله لخلاف وقع بينه وبين ابن مسعود

الذى كان على خراج الكوفة . وعين بعده الوليد الاموى وعزل عتبة بن فرقد عن (اذربيجان) فانتقض أهلها فغزاهم الوليد وأغار على أهل (موقان) و (الطيلسان) ففتح وغنم وصالح كور (اذربيجان) وسير جيشا الى أهل ارمينية فشتتهم وأقام واليا على الكوفة حتى شرب خمرأ وشهدت عليه جماعة فافتى على رضى الله عنه بعزله بعد جلده فعزله عثمان وجلده وولى مكانه سعيد بن العاص فقبلها على كره لانه ممن أحس بالفتنة هناك خصوصا وقد حمله عثمان رضى الله عنه على تفضيل أهل السابقة . والقدم . ومن فتح الله على يده تلك البلاد

فشت القالة فى الكوفة فى حق سيدنا عثمان وسعيد عامله رضى الله عنهما . ثم سار الكوفيون لفتح اطبرستان ففتحوها فلما بلغوا (اذربيجان) تلاقوا بجيوش الشام وكانت بلية حب الرئاسة دبّت فى النفوس واستقرت فى الصدور بسبب التنافس فى الاغراض . فاختم رجال الجيش . ثم وقع من الكوفيين ما وقع من الاستخفاف بأولياء أمورهم وكثرت وقائعهم خملت رؤسائهم الى الشام لمعاوية رضى الله عنه فلم تقدم نصيحته فبعثوهم الى (حمص) لعبد الرحمن خالد بن الوليد فأدبهم ثم اتفق أهل الكوفة على خلع سعيد نخلع وتولى أبو موسى وبقي مع أهل الكوفة ينازعهم وينازعونه حتى مات سيدنا عثمان

﴿ البصرة ﴾

وكان الى البصرة « أبو موسى الأشعرى » فعزله أيضا وولى عبد الله ابن عامر فبعد قليل انتقض أهل فارس على أميرهم عبد الله وقتلوه ثم غدرت

أهل « اصطخر . وخراسان » فسار اليهما عبيد بن عامر وصالح أهلهما
ثم انتقل لغيرهما من البلاد حتي مكن الله الامن في تلك الجهات وبينما هو
كذلك واذا بعبد الله بن سبأ اليهودي نزل على حكيم بن جبلة العبدى
بأراء غير مقبولة فأوغر الصدور على سيدنا عثمان ثم طردوه فدار الامصار
حتي أتى مصر وكان من أكبر الاسباب التي دعت لشق الطاعة فيها
والافتراق والاختلاف

﴿ الشام ﴾

أما الشام فقد كان جمعها في أول خلافته رضى الله عنه لمعاوية بن أبي
سفيان فقام بالغزوات البرية والبحرية حتى بلغ عمورية وتمكن من الحصون
التي بينها وبين طرسوس وانطاكية ثم افتتح (جزيرة قبرص) وكان المستعمل
على غزو البحر عبد الله بن قيس فغزا خمسين غزوة لم ينكب فيها ثم قارب
طليعة فأنتهى لمرقا من الروم فجأوا فقتلوه وبينما الحال كذلك خرج أبو
ذر الغفارى في الشام بمذهب يشبه مذهب الاشتراكيين (استغفر الله
العظيم) الآن لانه كان ينادى يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء وكان يستدل
بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)
فشكا الاغنياء ما يلقونه لمعاوية وحق لهم أن يشكوا لان أول واجب على
أهل السلطان تأمين الناس على حياتهم واعراضهم وأموالهم وهذا الحال
من أكبر مواضع الخوف فكتب الى عثمان رضى الله عنه في شأنه بما

كتب فطلب منه أن يشخصه اليه فلما وصل المدينة ولاقى سيدنا عثمان رأى الاولى به أن يسيره الى الربذة ^(١) فأقطعه قطعة من الابل وأقام منفرداً الى أن مات

﴿ مصر ﴾

أما مصر فقد كان فيها فاتحها عمرو بن العاص فجعله سيدنا عثمان على الجند وولى عبد الله بن سعد خراجها فلم يتفقا فجمع سيدنا عثمان لابن سعد الخراج والجند وعزل ابن العاص عنها ثم رأى أن يغزو افريقيا فسير جيشا للغزو فيها وفتح ما شاء ان يفتح وقتل جرجير ملكها وما كاد هذا الحال يتسع ويستقر حتى وصلها عبد الله بن سبأ يحمل أسباب الفتنة ودواعى الشر كما سيجي اليك

﴿ فصل ﴾

تأمل تجد في كل مصر من الامصار بادرة كأن الدين وقع في يد من لا يفهمه أو فهمه وتعالى فيه أو لم يمتزج حبه بقلبه أو امتزج ولكن ضيق عقله ضل عن تصريفه . أو كأنما افتكت من المسلمين العزيمة الاصلية أو اختلت دعائم الاعتقاد القديم فاما إفراط باسم الدين كمقالة أبي ذر الغفارى التي لا تنطبق على مصالح البشر واما تقريط كالكلام في التنفير والانحراف عن سيدنا عثمان رضى الله عنه كدعوى عبد الله بن سبأ (والعياذ بالله) يعجب الانسان ان أهل الدعوى للخير أصبحوا وليس لهم قدرة في

استعمال أي ضرب من ضروب القوة في حمل الأمة على الآداب الدينية
 كأن نورها الذي كان اخترق القلوب نفذ منها
 ساءت حال أمة انتقل بأسها من أعدائها لنفسها فهي أقرب إلى الفوضى من
 الإصلاح وادعى للترفة من الالتئام والسبب العظيم لهذا البلاء الجسم
 هي الفتن لعن الله مثيرها . ولذلك قال تعالى (الفتنة أشد من القتل) وقال
 واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وقيل في الأثر (الفتنة
 نائمة لعن الله من أيقظها)

قلنا ان سيدنا عثمان ولى الخلافة واستمر ست سنين لا ينقم الناس
 عليه شيئاً وانه لأحب إلى قريش من سيدنا عمر بن الخطاب لأن عمر رضى
 عنه كان شديداً عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ثم تواني في أمر
 بعضهم لما رآه فيهم .

اضطرت حالة ظهور القالة وفشو المنكر في الأمصار ان يستعمل
 عليها أقرباءه وأهل بيته في الست الاوخر من عهد خلافته لاختصاص
 أولئك به أكثر من غيرهم فكان هذا العلاج من دواعي استفحال الداء
 وزيادة الانحراف عن باب الخلافة

استكمل الفتحة للأمة . واستكمل الملك . ونزل العرب بالأمصار
 على حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة ومصر فالتحقصون
 بصحابة رسول الله وهم المهاجرون والأنصار من قريش وأهل الحجاز
 ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم يمتون بذلك ويتشرفون به (ونعم الشرف)
 وسائر العرب الذين كان لهم في الفتوحات قدم يرون لانفسهم فضلاً
 ويفخرون به (وحق لهم الفخر) . نبههم لذلك وألقتهم لعن التفضيل والسابقة

انغلاق باب الفتوح وتناسى ذلك الحال وذل العدو وزواله واستفحال الدعوة
الاسلامية لهم وعظم ملكها فيهم فأخذت عروق الجاهلية تنبض وأنوف
نفوسهم تشمخ .

وافق ذلك أياما من أواخر عهد سيدنا عثمان وقد كانوا أخذوا عليه
قبلها اخراج أبي ذر الغفاري الى الربذة (وقد سمعت خبره) وزيادة النداء
الثالث يوم الجمعة (وانما فعله لكثرة المسلمين وانتشارهم في انحاء المدينة)
واتمامه الصلاة في منى وعرفة وكان الامر في عهد رسول الله والخليفتين
على القصر . (وعذره في ذلك ان حاج اليمن جعل صلاة المقيم ركعتين من
أجل صلاته رضى الله عنه فلم يرض بذلك لمن اتخذ بمكة أهلا وله بالطائف
مال) . وتنازله لمروان بن الحكم عن خمس مغنم أفريقية ولم يمنع
الشرع ان ينفل من شاء من المسلمين وقد كان رسول الله ينفل . تقموا
هذه الامور على سيدنا عثمان ولم يكن فيها ما يشينه ولم يخرج في شيء
منها عن حدود الشرع ولكن أولئك قوم بطروا فطلبوا لانفسهم مالم
لهم فحق عليهم العقوبة

قال الامام العيني في تاريخه عقود الجمان (وقد ذكر السبب في ذلك
مامعناه روى ارباب السير منهم هشام . والواقدي . وسيف . وغيرهم عن
عقبة عن يزيد الفقعسي . كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء وأمه
يهودية سوداء أسلم في أول خلافة سيدنا عثمان بن عفان وكان قصده
بوار الاسلام . كان يتنقل في البلدان يحاول الفتنة فطاف الحجاز والشام
والعراق ومصر وطاف كورها وأظهر الامر بالمعروف وهو ينفر الناس
من عثمان فخرج معه جماعة من مصر من أهل خربتيا وهو أول وفد

قدم المدينة بحاسب سيدنا عثمان على أعمال عماله الامويين بالامصار
 دارت رحى الفتنة في المدينة وملؤها كلاما في حق امراء الامصار
 وبعث سيدنا عثمان الى عماله ان يوافوا الموسم فقدموا عليه وهم عبد الله بن
 عامر أمير البصرة . وعبد الله بن سعد أمير مصر . ومعاوية بن أبي سفيان
 أمير الشام وبعد كلام كان معهم استشارهم في تسكين هذه الفتنة فقال
 عبد الله بن عامر (اشغلهم بالجهاد) وقال ابن سعد (اسصلحهم بالمال) . وقال
 معاوية (اجعل كفايتهم لامرائهم وأنا أكفيك الشام) وقال عمرو (أري
 انك قد لنت ورضيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم
 طريق صاحبك فتشتد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين) فقال
 سيدنا عثمان قد سمعت كل ما أشرتم به ولكل أمر باب يؤتى منه . ان
 هذا الامر الذي يخاف منه على هذه الامة كائن وان بابه الذي يغللق عليه
 ليفتحن فنكفكفه باللين الا في حدود الله فان فتح فلا يكونن لاحد
 على حجة وقد علم الله اني لم آكل الناس خيراً وان رحى الفتنة دائرة فطوبى
 لعثمان ان مات ولم يحركها . سكنوا الناس . وهبوا لهم حقوقهم فاذا
 تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا ثم نفر ونفر الامراء الى بلادهم
 أما أصحاب الفتنة الناقون على عمال الامصار المنحرفون عن عثمان
 فلم يرتدعوا عن غيهم وجاءتهم كتب من المنحرفين بالمدينة يقولون لهم
 فيها اقدموا علينا فان الجهاد عندنا فاعمد جميعهم شوال يخرجون فيه
 مظهرين الحج .

اجتمع السكل بالمدينة ٥٠٠ من مصر وعليهم الغافقي بن حرب ومثلهم
 من الكوفة وكذلك من أهل البصرة . وكل هذه الطوائف متفقة على

الانحراف على عثمان (مختلفة فيمن يتولى الخلافة بعده) لكل منهم رأى وهوى فالكوفيون يريدون طلحة بن عبيد الله . والبصريون الزبير بن العوام والمصريون « عليا » فجاء كل قبيلة لمن لهم فيه هوى وساموا عليه وعرضوا عليه أمرهم وأتى أهل مصر « عليا » فساموا عليه وعرضوا أمرهم فصاح بالمصريين وطردهم وقال لقد علم الصالحون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قال طلحة والزبير . ثم استقر الحال على الاذعان بما طلبوه من اعفائهم من العمال الذين يطلبون عزهم واستعمل على مصر محمد بن أبي بكر وكتب له عهده وخرج محمد ومن معه يريدون مصر وانصرف الجميع مظهرين الرجوع

لم تتفرق أهل المدينة الا والتكبير في نواحيها وقد أحيط بدار عثمان ونودي من كف يده فهو آمن فلزم الناس بيوتهم واستغربوا من رجوع الثوار بعد الاذعان وجاء محمد بن مسلمة المصريين وقال لهم ما الذى ارجعكم بعد ذهابكم فقالوا أخذنا كتابا من البريد مع خادم عثمان لعامل مصر يأمره فيه بقتلنا فسأل البصريين عن مجيئهم فقالوا لنصر اخواننا وكذلك قال الكوفيون فقال كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلسكم من صاحبه على مراحل حتى رجعتم الينا جميعا (هذا أمر أبرم لبيل) فقالوا اجعلوه كيف شئتم لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعزلنا فاخذوا منهم الكتاب . فاذا هو من سيدنا عثمان الى عبد الله بن أبي سرح . يقول له فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم . فقالوا لهم وكيف اتصل بكم هذا الكتاب قالوا بينما نحن مع محمد بن أبي بكر على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة واذا بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطالب أو يطلب

فقلنا له ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فتلجج ومرة يقول
 أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان ففتشناه فوجدنا معه
 اداة يبست فيها شيء يقلقل فشققناها فاذا فيها ذلك الكتاب . فلم يبق
 أحد من أهل المدينة الا حنق على سيدنا عثمان وسأله في ذلك فقال والله
 ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال «على» ومن معه من كبار الصحابة
 صدق عثمان فقال المصريون اذاً من كتبه فقال عثمان لا ادري قالوا فيجترأ
 عليك . ويبعث غلامك . وجل من أبل الصدقة . وينقش على خاتمك .
 ويكتب الى عاملك بهذه الامور العظيمة وأنت لاتدرى . قال نعم قالوا
 ما أنت الا (صادق) أو (كاذب) فان كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما
 أمرت به من قتلنا وان كنت صادقاً فقد استحققت الخلع لضعفك عن
 هذا الامر ولا ينبغي ان يترك هذا الامر بيد من تقطع الامور دونه فاخلع
 نفسك فقال لا أخلع قميصا ألبسنيه الله

امتد الشقاق بقوة سلطان المغالبيين فلم يلهم الله أحدا ان يحقق
 أمر هذا الكتاب ويبين للناس ما اختلفوا فيه ويكشف لهم عن وجه
 ما اختلفوا عليه . أو يتفكر في كيفية رجوع هذه الفرق معاً بعد افتراقها
 وبعد سلوكها طرقاً مختلفة . أو يكشف الغطاء عن ذلك السم السارى من
 قديم الذى دعى مثل عبد الله بن سبأ للخروج والتجول في الامصار . أو
 يوفق الله جماعة الصحابة الى الوقوف أمام هذه الفتنة وقد كشرت عن
 نايها بل ضاع السداد وضعف الرشاد وقامت نزعة الحرب بين أهل
 الدين وقد كان اطفاء مثل هذه النار من أسهل الامور قبل ذلك على أى
 رجل من الجمهور الاسلامى

دافع سيدنا عثمان رضى الله عنه كثيراً عن نفسه وكتب للناس كتاباً قرأه عليهم ابن عباس يوم التروية وأكثر من الرضوخ الى مطالبهم وكلما سد باباً فتحوا غيره . حتى منعوا عنه الماء فجاءهم على رضى الله عنه فقال يأيها الناس كيف تقطعون الماء والمادة والروم وفارس لتأسر وتطعم وتسقى فقالوا والله ولا نعمة عين

ثم أن الثوار منعوا الناس عن مخالطته ومكالمته وقصدوا باب داره وحصروه فقاتلهم جمع من أولاد الصحابة فأمر عثمان بالكف عن القتال (انظر الى وازع الدين الذى كان فى نفس هذا الخليفة رضى الله عنه جعله يؤثره على أمور الدنيا وان أفضى ذلك للهلاك وحده دون الكافة فنع المقاتلين عنه) ثم جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم يريدون المدافعة عنه فأبى ومنع من سل السيوف بين المسامحين مخافة الفرقة وحفظاً للالفة التى بها حفظ الكلمة ولو أدى ذلك لهلاكه

ثم أحرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله ما رأى عن تلاوته ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهداً فأنا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يريدون أعظم منه وأمرهم بالانصراف ثم دخل على عثمان الذين كتب عليهم الشقاء فقتلوا هذه النفس الزكية

قتلوا خليفتهم . وزوج بنتى نبيهم . ذى النورين قتلوه ظلماً . فقاتله ظالم . وخاذله معذور . مات شهيداً مبشراً بالجنة على بلوي واختبار بعد السب والتعطيش والحصار الشديد والمنع من القوت . وأطنوا (١) أصبعين

من أصابع زوجته ولم يكن ما فعله من تجهيز جيش العسرة وحمد رسول الله مسعاته وقوله له ما على عثمان بن عفان ما عمل بعد اليوم ولا على احتجاجه عليهم ولا اخامه رادعاهم ولا كاسرا من غربهم حتى وطئوا أضلاعه بعد موته والقوا على التراب جسده بعد سحبه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

نعم . قد قرر الاسلام العبودية لله وحده . والحرية في ضمن دائرة الشريعة المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات واطلاق الارادة والفكر من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس ومقتضى ذلك ان يكون المسلم عبدا كاملا لله حرا كاملا بالنسبة لما سواه

نعم . كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الراى قائلين له هل هذا شيء قلته من عندك يا رسول الله . أو نزل به وحى فأنا قال هو من عندى جاؤا بما عندهم من الراى وربما رجع النبي الى رأيهم كما قد جرى في بعض الغزوات والامور المعاشية وقوله صلى الله عليه وسلم (أنتم) أعلم بأمر دنياكم)

نعم . وقع أبلغ من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم طعن سواد بن غزية بقدرح^(١) في بطنه وهو مكشوف ليستوى في الصف يوم بدر فقال قد أوجعتنى فأقذننى فكشف له عن بطنه وأذن للناس قبل موته بان من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحو ضرب فليقتص منه . وأذن لرجل ان يضربه حين ادعى انه ضربه يوما فقال اننى كنت عارى الكتف أو الظهر فالتى الرداء عن عاتقه الشريف . وشأن الرجلين ان يتمسحا به ويتوصلا

لهذا الشرف العظيم . نعم . ان الصديق . والفاروق . اقتديا بالنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الاعمال فوقف سيدنا عمر بن الخطاب « عليا » مع رجل من آحاد اليهود للمحاكمة فمات به (على رضى الله عنه) بعد المحاكمة بان لم يسو بينه وبين خصمه . كناه هو . وسمي ذاك وفي التكنية تعظيم وراجعته امرأة وهو على المنبر في مسألة تحديد المهر محتجة بآية (وآنتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا) فقال أصابت امرأة واخطأ عمر كان هذا كله وحسن التربية شائع في الامة على منهاج الكتاب والسنة وكل فرد حاصل على دقائق الأدب . والتهديب علماً وعملاً وتخلقاً وتحققاً جار على أكمل نط . وطهارة الظاهر تحاكي طهارة الباطن صافية عن الكدر . والآداب راقية بذويها وأهلها الى مصاف الملك فضلاً عن البشر

أهين بهذا التطرف والغلو في الافتئات مقام الخلافة الذي كان حفاظ الدين . وكانت تلك الصدمة الاولى . أهين ذلك المنصب الشريف الذي كان اليه المرجع في حل المشكلات . والضيء في ظلمة الشبهات واحتلبوا بذلك دماً لا تطير رغوته . ولا تسكن فورته ولا يكمل طالبه . وكيف يضع دمهم وقد انفصمت بذلك عروة الوحدة وأنحلت رابطة الاجتماع ونجم عن التفرق في الخلافة الافتراق في الدين نفسه فألت الامة الى الشقاق وافتقرت على مئات من المذاهب المختلفة وابتلى الدين وأهله بالمنازعة التي انقضى الزمان والامة تتكلف علاجها ولا تعان عليه وصدق « على » رضى الله عنه في قوله « ان قتلته ثاموا في الاسلام ثلثة لا تسد الى يوم القيامة » . ومن يرد التعدد الى توحيد الافتراق الى اجتماع وهو من

وظائف الخلافة التي حدث عنها هذا الشقاق

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء
هذه نتيجة الخروج على أولياء الامور وأهل السلطان . فليندب
المسلمون حظهم بعد هذه البلوى التي أصابت مستقر الحقيقة بسبب
الاسراف في حرية الدين والفكر الى هذا المقدار وجعل مزاياه الشريفة
من العوادي عليه بسبب سوء الاستعمال . وليتق الله كل واحد من الزعانف
الذين لعبت بهم الاهواء وأشعرت قلوبهم الاعداء بمثل هذه الظنون السيئة
استقامت الدنيا في عهد الصاحبين ففتحت الفتوحات العظيمة التي
لا تزال نفاخر بها الاجيال المتأخرة ولو استمر الحال على ما كان لأمسى
الدين الاسلامي نطاقا على الكرة الارضية لا بدعوة الغلبة والقهر على
لسان السيف كما يدعون ولكن بدعوة الحجة والبرهان على لسان الحق
ان كانوا يعقلون

هذه بعض آياته . اتفاق ووافق . واردة سامية . وحرية فكر مطلقة
ومحافظة على الجار والجوار . ومحبة اتصلت باعماق القلوب . وجد في العمل
وكرهية للعود والكسل . وميزان قسط قائم بالحق بين الناس . وبصيرة
في كل شيء . وقواعد عدل تمنع الاسترقاق . وتحظر الاستعباد . وحفظ
عهود وصدق ووفاء . وتحريم للفواحش ما ظهر منها وما بطن فلا غدر
ولا خيانة . ولا خديعة . ولا غيلة . والدين بين المسلمين النصيحة
الخالصة يتواصلون بالحق ويتواصلون بالصبر ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر

أية أمة ترى هذا ولا تهاجر في طلبه وتفتخر بعمله وتباهى بالوصول

اليه ولكن قضى الله أن يسلط على الامة شرارها فتصبح ولا تتواصى
بحق ولا تعتصم بصبر ولا تتناصح في خير بل نعيش افذاذا ونعمل (ان كنا
نعمل) افرادا كأن لم تجمعنا مع أحد صلة ولم تضمنا اليه وشيعة فضلا
عن المذاهب المتعددة التي انتشرت بين المسلمين وأخرجهم عن كثير
من مزايا الدين بل اوقفهم على أبواب الكفر والزندقه والكذب على الله
والزور والافتراء على أنبيائه وأوليائه واصبح الحديث بالتظني . كل واحد
يأتيك منه بما ينصر مذهبه ويؤيد طريقته حتى أصبحنا والحال كما قيل عن
المسلمين لا وفاق بين العلم والعقل وهذا الدين .

﴿ سيدنا علي بن أبي طالب ﴾

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي بن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد
مناف وهو أول خليفة أبواه هاشميان ولد رضى الله عنه في السنة الثانية
والثلاثين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع له بالخلافة لخمس
بشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين فأقام بها رضى الله عنه نحواً من
خمس سنين لم يصف له فيها يوم وكان أمر الله قدراً مقدوراً

بعث عليه الصلاة والسلام و « علي » رضى الله عنه دون البلوغ . وكان
معه في منزله فاهتدى بهديه وسلك سبيله . ولم يتدنس بدنس الجاهلية
ولم يعبد وثناً قط . فهو أحد السابقين الى الاسلام وأحد العلماء الربانيين .
والزهاد المذكورين . والخطباء المعروفين . وأحد من جمع القرآن الكريم

وأكرم أهل العباء والمباهلة وأخ رسول الله في المؤآخات . أخرج الترمذى عن ابن عمه قال أخى رسول الله بين أصحابه نجاء «على» تدمع عيناه فقال آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد فقال النبي أنت أخى فى الدنيا والآخرة شهد الغزوات كلها (الاغزوة تبوك) فانه استخلفه النبي على المدينة فلما أسف رضى الله عنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى) . كانت له القدم الثابت فى جميع الغزوات . فهو أول المبارزين يوم بدر . وأول الثابتين يوم أحد وحنين . أصابته فيه ستة عشر ضربة . وأول الفاتحين يوم خيبر . وأول السابقين يوم الفتح .

أنابه عنه صلى الله عليه وسلم فى الإقامة بعد هجرته بمكة أياماً أدى فيها الامانات والودائع وقام بالوصايا فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم اقتداه بنفسه ونام على فراشه والمشركون يظنون أنهم يحاصرون النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبحوا ووجدوا علياً رضى الله عنه . ثم أنابه أيضاً فى قراءة أوائل التوبة فى موسم الحج إيذاناً ببراءة رسوله من المشركين ماذا يقول القائل فى هذا الامام . وكل وصف منسوب الى العجز لتقصيره عن الغاية مهما انتهى به القول وكفى بشهادته صلى الله عليه وسلم بانه باب مدينة العلم دليلاً على مكنون السر الذى فيه . فهو أول فى العلوم أول فى الشجاعة . أول فى السخاء . أول فى الحلم والصفح . أول فى الفصاحة أول فى الزهد . أول فى العبادة . أول فى التدبير والسياسة . أشد الناس رأياً وأصحهم تدبيراً . لولا تقاه لكان أدهى العرب كأنما أفرغ من كل قلب . فهو محبوب الى كل نفس . ظهر من حجاب

العظمة بمعاليه فاستولى الاضطراب على الازدهان والمدارك وذهب الناس فيه مذاهب خرجت بهم عن حدود العقل والشرعية . أهل الذمة تحبه والفلاسفة تعظمه وملوك الروم تصوره في بيوتها وبيعها . ورؤساء الجيوش تكتب اسمه على سيوفها . كأنما هو فال الخير وآية النصر والظفر

ينقطع اللجاج مع هذا القضاء الحاتم الذي ألم بالامام رضى الله عنه في أيام خلافته فلم يستطع أن يأتي فيها بشيء مع هذا العرفان العظيم وأصبحت أيام خلافته قضاء (النجاة من تبعته السكوت عنه)

لا بد للقارىء ان يستحضر في ذهنه الحال الذي كان فيه المسلمون بعد قتل خليفتهم المظلوم ويشخص في فكره حالة الخيرة التي أطلق لها الذهول العنان فجالت في الضمائر بما يسعه الامكان . فوضى لاملجأ ولا سند حيارى لا قوة ولا عضد وامامهم فتنة كالخسكة شاكة من كل طرف : والاضطراب قد ألم بمستقبلهم وماضيهم وحاضرهم

قتل سيدنا عثمان كما علمت فبقى (الغافقى بن حرب) أميرا على المدينة خمسة أيام . وعلى ممتنع عن البيعة . وأتى الكوفيون الزبير . والبصريون طلحة فامتنعوا أيضا . وأهل الامصار رأوا ان رجوعهم الى الامصار بغير امام يوقع الخلف والفساد فبقوا وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا . وهرب مروان وبنو أمية ولحقوا بالشام ومعهم قيص عثمان وأصابع زوجته فأثاروا الشعور وهيجوا الافكار ونصبوه على منبر دمشق وقامت الناس تطلب القود . وطار الخبر لمكة واتصل بأمر المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهي عائدة . ونادوا في المدينة برجوع الاعراب الى بلادهم فأبوا

هكذا كانت الحال في هذه الأمة التي فاضت ينابيع حياتها حتى شملتها

تجمعت شملها . وكانت تفاخر أهل السماء في رفعها وأهل الأرض بمدنيتها
ثم اجتمع كثير من المهاجرين والانصار . وأتوا عليا يبايعونه (فأبى)
لأنه قدر المستقبل حق قدره وعلم انه انما يستقبل فتنة سائرة لا مرد لها
فقال لهم (التمسوا غيري) أو قال (أكون وزيراً لكم خير من ان أكون
أميراً ومن اخترتم رضيت فانا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم
به القلوب ولا تثبت عليه العقول) فناشدوه الله والدين وألحوا عليه وقالوا
لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك (فأبى) فخوفوه الله في مراقبة الاسلام
حتى غلبوه في ذلك فقال (قد أجبتكم)

رأوا ان هذا الامر لا يتم الا بمبايعة الزبير وطلحة فذهب اليهما جماعة
وأتوا بهما فبايعاه . قال قوم (كرها) وقال قوم اشترط عليه اقامة الحدود
(يريدون القود من قتل عثمان)

ثم قام الناس فبايعوه وتحلف عن بيعته جمع كبير من أكابر الصحابة
في المدينة كسعد بن أبي وقاص . وسعيد بن زيد . وعبد الله بن عمر .
وأسماء بن زيد . والمغيرة بن شعبة . وعبد الله بن سلام . وقدامة بن
مظعون . وأبي سعيد الخدري . وكعب بن عجرة . وكعب بن مالك . والنعمان
ابن بشير . وحسان بن ثابت . ومسامة بن مخلد . وفضالة بن عبيد
وغيرهم

رأى الامام رضى الله عنه ان بيعته تمت بالاغلبية فقام وخطب الناس
ودعاهم الى الخير وحذرهم الشر وبدأ في أعماله

﴿ أعماله في خلافته ﴾

بدأ بتغيير عمال الامصار (ولم يسمع رأى القائلين باستبقائهم حتى يستقر الامر) وكيف لا يبدأ بهم وهم داعية الفرقة وسبب الشتات ومن نجم من بينهم الاختلاف فبعث على (البصرة) عثمان بن حنيف الانصارى بدل عبد الله بن عامر . وعلى (الكوفة) عمارة بن شهاب بدل أبي موسى الاشعري وعلى (اليمن) عبيد الله بن سعد . وعلى (الشام) عثمان بن حنيف بدل معاوية بن أبي سفيان . وعلى (مصر) قيس بن سعد بن عبادة بدل عبد الله بن سعد . فاما صاحبها (البصرة واليمن) فلم يردهما عنهما أحد . فأقاما . وافتقت مصر على صاحبها ففرقة دخلت في الجماعة . وفرقة اعزلت وقالت لانكون مع « على » الا إن قتل قتلة عثمان وفرقة قالت نحن مع « على » الا ان استقاد من اخواننا ^(١)

ولاقى صاحب الكوفة وهو قريب منها طليحة بن خويلد الاسدى فقال له ارجع فان القوم لا يريدون بأمرهم بدلا فرجع وقابل صاحب الشام عند تبوك خيلا عليها رجال من الشام فردوه وامتنع سيدنا معاوية عن مبايعة « على » لانه ظن فيه هوادة ^(٢) في نصرة عثمان على قائله ومعاوية يرى لنفسه حقا عظيما في القصاص من قتلة عثمان لانه وليه والله تعالى يقول (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل) ولم يرفى

(١) انظر لهذا الخلاف في الافكار فرقة ترى لزوم القود من المصريين الذين

اشتركوا في قتله وفرقة ترى العفو

(٢) الهوادة اللين أو ما يرجى به الصلاح

الامتناع عن البيعة خروجاً على الامام لعدم انعقاد البيعة لتخلف كثير من
أكابر الصحابة عنها ولم تكن باجماع اهل الحل والعقد فأرسل رجلاً بطومار
ليس فيه شيء من الكتابة وعنوانه (من معاوية . الى علي بن أبي طالب)
وأمره اذا قدم المدينة ان يرفعه ليعلم الناس أنه مخالف ففعل الرجل ما
أمر به حتى رفعه الى علي رضي الله عنه ففضه فلم يجد فيه كتاباً فقال
لرسول ما وراءك فقال آمين أنا . قال نعم . قال تركت قوما لا يرضون
الا بالقود . قال . وممن . قال منك وتركست ستين ألف شيخ سيكون
تحت قيص عثمان منصوباً على منبر دمشق فقال اللهم اني أبرأ اليك من
دم عثمان قد نجا والله قتلة عثمان الا ان يشاء الله .

أصبحت الامة مضطربة مختلفة المقاصد (ووجهها كلها الحق وهو
صالحها) . معاوية يرى ان البيعة لم تنعقد والامام يرى انعقادها . وطلحة
والزبير يرفضانها لانهما اشترطا اقامة الحد علي قتلة عثمان . والامام يقول
لا قدرة لي على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وتنظر الامور وتؤخذ
الحقوق . وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها منادية في الناس بدم عثمان
لا متحقة بانه قتل مظلوما في البلد الذي يأمن فيه الطير في الشهر الحرام
خطبت أم المؤمنين في الناس وانتصرت لسيدنا عثمان وطلبت القودله
من الفوغاء والعبيد الذين اجتمعوا عليه وتبعها كثير لان معظم الناس ذهبت
عقولها ولم يبق من خصال العرب الكريمة الا أشدها (ثوران في العقول
لاخذ الثار) واكثر الصحابة يرون ان أول واجب على المسلمين في هذا الوقت
تتبع القتلة . والقصاص منهم اقامة الحد الذي لا يصح تأخيرهما مهما نتج
منه جعلوا اقامة هذا في عنق كل مسلم وهو ملزم بالقيام بما يوصله اليه ولذلك

لم ير الزبير ولا طلحة في هذا خروجاً على الامام لان البيعة لم تنعقد له
 الوقت الذي يؤول فيه أمر الانتقاض على الخليفة الى قتله ويتناسى
 الناس فيه ذلك الحال القديم من احترامه وتكون فيه الافكار مرتبة
 لخطرات الخروج من كل طرف لا يبعد أن يكون من مصائب الامام
 « على » فيه رميه بأنه منحرف عن الحق في حق قتلة عثمان
 استقام رأى طلحة والزبير وأم المؤمنين على قصد البصرة فقصدوها فلما
 قاربوها راسلها أميرها فأعلمته انها جاءت لتخبر الناس بمقتل عثمان وان الغوغاء
 استحلوا الدم الحرام وسفكوه وقتلوا امام المسلمين بالآثرة ولا عذر وأظهر
 الزبير وطلحة انهما بايعا (كرها) فصمم صاحب البصرة أو لاعلى منعها ثم أراد
 أن يعلم هل أحد في البصرة يمالىء طلحة والزبير فدرس لاهلها واحدا من الناس
 فظهر له أن فيها أنصارا لهذا الامر فخرج بمن معه حتى نزل ميسرة المريد
 وأقبلت أم المؤمنين فنزلت ميمنته وخطبت الناس فتبعها جمع من اصحاب عثمان
 وخرج لها حكيم بن جبلة من فرسان البصرة وقتلهم حتى اذا ذاقوا حر السلاح
 تنادوا الى الصالح حتى يرسلوا الى المدينة ليعلموا كانت بيعة طلحة والزبير طوعا
 أو كرها فان ثبت انهما أكرها ترك ابن حنيف البصرة فذهب كعب بن سور
 قاضي البصرة رسولا من عند اهلها فلما قدم المدينة قال يا أهل المدينة أنارسل
 أهل البصرة اليكم اسألهم أأكره طلحة والزبير على البيعة أم أتياها طائعين
 فقال اسامة بن زيد بانهما أكرها فلقى اسامة بن زيد من والى المدينة سهل بن
 حنيف أخى عثمان بن حنيف اهانة وبلغ هذا الخبر عليا فأرسل الى عثمان بن
 حنيف يقول والله ما أكرها على فرقه . ولقد أكرها على جماعة وفضل فان
 كانا يريدان الخلع لا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا فلما زاع

خبراً كراه الزبير وطلحة طالباً من أبي حنيفة أن يخرج من البصرة فامتنع محتجاً
بكتاب من « علي » فاستولوا في ليلة على الكوفة وحبسوا ابن حنيفة
فبلغ ذلك حكيماً فاقبل وقاتل حتى قتل كثير ثم أقامت أم المؤمنين ومن
معهما بالبصرة

كل هذا والامام بالمدينة يعي في جيشه الى الشام فلما بلغه الخبر دعى وجوه
أهل المدينة لانه يرجو أن يلحق الزبير وطلحة قبل أن يصلوا البصرة فخف قوم
وتناقل قوم وظهر آخرون برأى مثل أبي موسى الاشعري وقد سأله الخروج
والقتال مع « علي » فقال (ان بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكما فان لم يكن
بد من قتال فلا تقاتل أحدا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا)

أصبحت هذه الفتنة صماء لا يعلم فيها . ان كان النائم خيراً من اليقظان أم
القائم خيراً من القاعد . فكم من رجل أغمد السيف وآخر فصل السهم وكثر
الجدال فمن محرض على الخروج مع أمير المؤمنين ومن مشيط عنه حتى قام القمعاع
ابن عمرو وقال (أيها الناس لا بد من اماراة تنظم الناس وتزع الظالم وتعز المظلوم
وهو يدعوك لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه
في الدين فمن نهض اليه فاناسائرون معه) ثم قال الحسن بن علي رضي الله عنه
(أجيئوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر
اليه والله لان يدعيه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة
فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول قد
خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوما واني أذكر الله رجلاً رعى حق الله الا
نقر فان وجدني مظلوماً أعانني وان وجدني ظالماً أخذ مني . والله ان طلحة
والزبير أول من بايعني وأول من غدر . فهل استأثرت بآل أو بدأت حكماً

فانفروا فمروا بالمعروف وانفروا عن المنكر) فأنزله فيهم هذا القول ورضوا بالخروج فنفر معه قريب من تسعة آلاف ثلثهم في نهر الفرات والباقيون ركبا فالتقوا بأمر المؤمنين فرحب بهم وأثنى عليهم ثم نذب القعقاع بن عمرو ليكون بينه وبين طلحة والزبير فقدم القعقاع البصرة وبدأ بأمر المؤمنين فقال أي أمه ما أقدمك هذه البلدة قالت أي بني الإصلاح بين الناس قال فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت إليهما فخرق القعقاع أني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الإصلاح فهل أنتما متابعان قال نعم قال فاخبراني ما وجه هذا الإصلاح قال قتلة عثمان فان هذا الأمر أن ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلنا قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم اقبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم وطلبتم حر قوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فاديلوا عليكم فالذي حذرتم وقويت به هذا الأمر اعظم مما أراكم تكرهون . وهذا أمر دواؤه التسكين فان سكن اختلجوا فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بئار وان أيتم فعلامة شر قالوا أصبت وأحسننت فان رجع « على » وهو على مثل رأيك صلح الأمر فرجع إلى علي وأخبره الخبر وأشرف القوم على الصلح وأقبلت الوفود من كل جهة وأصبح الكل متفقين على الصلح

سمع بذلك السبئية (أصحاب بن سبأ) وتحققوا أن الصلح إنما يهود عليهم بالوبال لانه إن تم كان على قتلهم لانهم هم الذين أثاروا أمر عثمان فباتوا شر ليلة وقد أشرقوا على الهلكة . باتوا يتشاورون فلم يجدوا غير انتشاب الحرب ثم أصبح الناس والتقى الجيشان خارج البصرة وخرج الزبير على فرسه بين

الجيشين نخرج اليه عليّ حتي اختلفت اعناق دوابهما فقال عليّ للزبير لعمرى
لقد اعددتما سلاحا ورجالا ان كنتما اعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله (ولا
تكونا كالتى نقصت غزلهما من بعد قوة انكاثا) الم اكن اخا كما فى دينكما
محرمان دى واحرم دمكما فهل من حدث احل ذلك . فقال طلحة البت على
عثمان فلمن على قتلة عثمان . ثم ذكر الزبير باشياء منها انه قال له (ائت ذكر
يوم مررت مع رسول الله فى بنى غنم فنظر الى فضحك وضحكت اليه
فقلت له لا بدع ابن أبى طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس بمزه لتقاتلنه وأنت ظالم) فرجع الزبير وهو حالف أن لا يقاتل عليا .
وشعر انه أخطأ فى اجتهاده وأصبح الرجوع للحق أولى لانه يعمل لله ثم
رجع الناس والجميع لا يشكون فى الصلح وباتوا بأهنا ليلة وبات الدخلاء
بأسوأ حال .

فلما كان الغلس قاموا من غير أن يشعربهم أحد وقصد مضرم مضرم
البصرة وريعتهم ربيعة البصرة . وبنهم بمن البصرة واعملوا السلاح وثار
كل قوم فى وجوه أصحابهم ودرسوا السكل طرف من يعان الخبر فسأل طلحة
والزبير عن الخبر فقيل لهما طرقتا أهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا ان عليا
غير منته حتى يسفك الدماء وسأل عليّ فقيل له ما شعرنا الا وقوم منهم يعملون
فينا السلاح فقال قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا
الدماء . ونادى فى الناس أن كفوا واخرجوا أم المؤمنين فى هودجها لعل
الله يصلح بها فرموها بالنبل وهى تنادى (اذكروا الله والحساب) ولا يابون
الا اقداما واشتدت حمية أهل البصرة لحرم رسول الله ولم يكن محيص عن
القتال فاقتتلوا وترك ابن الزبير القوم ورجع فتيه من يعرف بابن جرموز

وقتلوه وهو يصلي بوادي السباع

أمسك بخطام الجمل كثير من أرباب الشجاعة والنجدة فقتل دونه نحو
السبعين من قریش وعدد عظيم من غيرهم واشتد أهل الكوفة على الجمل
لأنهم رأوا أن البصريين لا ينهزمون مادام واقفاً فرامه كثيرون كل من رآه
قتل فمقروا الجمل وتفرقوا عنه ثم حملوا هودجها وهو مثل القنفذ من كثرة
السهم وظهرت أثار الكدر على أمير المؤمنين من هذا الحادث الذي لم
يكن فيه لأحد مأرب ثم دفنت القتلى وأطاف عليهم «علي» فإما أتى على
طلحة قال لهفي عليك أبا محمد أنا لله وأنا إليه راجعون والله لقد كنت أكره
أن أرى قریشا صرعى وانت كما قال الشاعر

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
سيرت أم المؤمنين إلى مكة ورجع على إلى الكوفة التي اتخذها مقر
خلافته وأرسل يدعو معاوية للدخول فيما دخل فيه الناس فامتنع حتى قتل
قتلة عثمان ويختار المسلمون لأنفسهم إماما

سار الإمام لمحاربة أهل الشام وسار إليه معاوية والتقى الجيوشان في
سهل صفين ومشت السفراء بين الطرفين فكان في سفراء الإمام من يجهل
باب الإصلاح والفساد فاحتد في الكلام حتى اشتد معاوية في الخصام وقال
ما بيننا إلا السيف

تناوشا وقتاً حتى دخل شهر المحرم لسنة ٣٧ فعقد على ومعاوية هدنة
مدتها شهر طمعاً في الصلح واختلفت بينهما الرسل وانتهت المخابرات على
أصرار على مبايعته ثم النظر في أمر قتلة عثمان وأصر معاوية على أخذ
القود من قتلة عثمان أولاً ثم النظر في البيعة

نبتذ كل طرف عهد هدنته وابتدا القتال أول يوم من صفر طول النهار
وهكذا الايام التالية فلما كان مساء الثلاثاء لثامن صفر أجمع على ملاقة
جيش معاوية بجيشه كله فلما أصبحوا التقى الجيشان وانصر فاوكل غير غالب
ثم دارت رحى الحرب بشدة يوم الخميس عاشر صفر ودخل الليل ولم
يصد الناس عن القتال اقباله فاستمروا فلما أصبحوا كان الملل والسآمة في
جيش الشام أبين ورأي ذلك معاوية وعمرو بن العاص فقال عمرو ندعوهم
لكتاب الله أن يكون حكما بيننا وبينهم فرفعوا المصاحف على الرماح
ونادى مناد يقول هذا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام
من لثغور العراق بعد أهل العراق فلما رآها أصحاب على اختلفوا ثم اتفقوا
على ارسال رسول يسأل عما أريد من رفع المصاحف فقالوا الرجوع الى ما أمر
الله في كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا ترضاه يعمل بما في كتاب
الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه . ورضيت الناس بهذا وقبلت واختار أهل
الشام عمرو بن العاص واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري وكتبوا
بذلك عهداً وان يجتمع الحكمان بدومة الجندل أو باذرح في رمضان
انصرف الناس من هذا المكان المشؤوم الذي اجتمعت فيه فئتان عظيمتان
من المسلمين يقاتل بعضهم بعضاً . ولكن الذي يخفف البلية ان الفريقين كانا
يريدان الله بعملهما لان الجميع لم يقصدوا في محاربتهم غرضاً دنيوياً لا يثار باطل
أو لاستشعار حقد كما قد يتوهم متوهم وينزع اليه ملحد وانما اختلف
اجتهادهم في الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا
عليه وان كان المصيب عليا فلم يكن معاوية قائماً بقصد الباطل انما قصد
الحق وربما اخطأ والكل كانوا في مقاصدهم على حق

رجع الامام الى الكوفة ووقع الشقاق في جيشه . فريق راض بالتحكيم وفريق كاره له وهؤلاء اعتزلوا الامام ونزلوا حروراء وبايعوا شيث بن ربيع على القتال وان يكون الامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم جاءهم الامام ونصحهم فتابوا الى رايه ودخلوا مصرهم

انقضى الاجل وحل رمضان واجتمع الحسبان من السنة السابعة والثلاثين وخلع كل منهم صاحبه واثبت عمرو معاوية وكتب شيثا راي الامام ان كل واحد اتبع فيه هواه واقتربا ولم يفيا بما تعهدا به فصمم على حرب معاوية مرة ثانية ولحق عمرو بالشام وبايعه مع اهلها أصبح الحال وجيش أمير المؤمنين موطن فتنة كلما أطفئت واحدة قامت أخرى فمن خوارج عليه . ومن غلاة فيه . ومن محاربين معه . ومن مقاتلين لاجله والسلطة تسير الى الوراء . وأصبح المقاتلون معه محرضين بالفصاحة والبلاغة لا بالطاعة والامتثال كأنما حربهم معه مجاملة ومعاوية بالشام مستقيم له الامر وجنده أحسن جنس في طاعة الامراء .

بعث عمرو بن العاص الى مصر وفيها قيس بن سعد بن عباد فبايعه اهلها وهو أخبر بطرق استجلابهم . واعتزلت طائفة منهم وعليهم يزيد بن الحارث الدجلى بخربتنا ووقع الخلاف بين الامام وبين قيس في شأنهم فعزله وولاهها محمد بن أبي بكر . وعلم أمير المؤمنين ان معاوية بن خديج دخل مصر مطالبا بدم عثمان ورأى أن محمدا لا يتمكن المقاومة فولى على مصر الاشتر بن الحارث النخعي وكتب اليه عهداً جمع فيه سياسة الدنيا وصلاح الآخرة ولكن قدر الله بموته في الطريق وبقي في مصر محمد بن أبي بكر حتى دخلها معاوية بن

خديج وقتلوه وحر قوه في جوف حمار . وبقتل محمد بن أبي بكر صارت مصر
 في طاعة معاوية وبايع له أهلها . وبعد أن تم له ذلك سيرا إلى البصرة عبد الله
 ابن الحضرمي وسير السرايا إلى بلاد أمير المؤمنين حتى دخلت الحجاز واليمن
 في طاعة معاوية وأصبح الامام في وسط من الخلق مضطرم بالخلاف والشقاق
 فريق شيعته وآخرون خوارج (لا عليا ولا معاوية) وفريق منافق يظهر
 الطاعة ويخفي العدا . وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف وتغيرت الناس
 حتى سأل رجل عليا رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا
 على أبي بكر وعمر قال لان أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلى وأنا اليوم وال
 على مثلك ومل أمير المؤمنين الامارة وسئمها وكأنه استشعر راحته من هذا
 الشقاق المتتابع والخلاف المستعصى بضمه إلى اخوانه من الشهداء والصالحين
 وحسن أوائك رقيقا فصرح بذلك في كثير من خطبه ومواعظه الاخيرة
 اجتمع ثلاث من الخوارج وتذاكروا ما حل بأخوانهم من الخوارج
 وكرهوا المقام بعدهم فاتفقوا على أن يذهب أحدهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي
 إلى الكوفة ليقتل عليا . ويذهب الثاني وهو البرك بن عبد الله التميمي إلى
 الشام فيقتل معاوية ويذهب ثالثهم وهو عمر بن بكر التميمي إلى مصر فيقتل
 عمرو بن العاص واتعدوا بينهم ليلة ينفذون فيها ما اتفقوا وهي صبح ليلة الجمعة
 لسبع عشرة خلون من رمضان فأما البرك فذهب إلى معاوية وانتظره في
 صلاة الصبح فضربه بالسيف فوقع في اليته ولم يمت به فامر به معاوية فقتل .
 وأما عمر بن بكر فذهب إلى عمرو بن العاص فلم يخرج إلى الصلاة لعذر
 أصابه واستناب خارجة بن حبيب السهمي فضربه الخارجى فقتله ظنا منه
 انه عمرو بنغاب ظنه وقبض عليه فقتل وضرب به المثل « أراد عمر وأراد الله

خارجة » وقصد عبد الرحمن بن ملجم أشقى البرية الكوفة وانتظر عليا
 حينما أمير المؤمنين ينادى الصلاة الصلاة الصلاة إذ ضربه بسيفه قائلا
 (الحكم لله لالك يا علي ولا لأصحابك) فقال علي (لا يفوتكم الرجل)
 فشد عليه الناس وأخذوه ثم قال علي « النفس بالنفس ان هلك فاقتلوه
 كما قتلتني ضربة بضربة ولا تتملوا به وان بقيت رأيت فيه رأى » ثم دخل
 جندب فقال إن فقدناك ولا نفقدك فنباع الحسن فقال ما أمركم ولا انهاكم
 أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما (أوصيكما بتقوي الله ولا تبغيا
 الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شيء أزوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم
 واعينا الضائع واصنعا للآخرى وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصرا واعملا
 بما في كتاب الله ولا تأخذكم في الله لومة لائم) ثم نظر الى محمد الأكبر ابن
 الحنفية فقال له (هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فاني أوصيك
 بمثله) ثم لم يزل يذكر الله حتى مات ففصله ولداه الحسن والحسين وابن أخيه
 عبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص

ليتمأمل القارىء مقدار تبدل الأحوال واختلاف العقائد وتشدت الأهواء
 بالفتن. قتل سيدنا عمر رضى الله عنه سرا وتولى بعده سيدنا عثمان فازداد
 الطيش حتى قتل رضى الله عنه جهرا وتولى الامام فكان بين الجاليج وعناد
 حتى جهزت لحربه الجيوش. وهكذا كل أمر يصعد منزلة منزلة حتى يبلغ
 الغاية ولا سبب لذلك الا مفارقة أدب الدين وقد مكث رضى الله عنه في
 الامارة ما شاء الله ان يمكث وكان الله سبحانه وتعالى أراد ان يظهر سخطه
 لمن عصى ورضاه لمن أطاع فاذاق الامة كاس الضر في نكت بيعة خليفة
 رسول الله وقتله ظلما أو ان الله سبحانه وتعالى أراد أن يمثل للمسلمين عيانا

مزايا الوحدة والمحبة والائتلاف . وضرر التعدد والعداوة والشقاق . فأوقع
 بأسهم بينهم حتى يتوبوا ولا يعودا لتفريق كلمتهم وشق العصا بينهم وبين
 أئمتهم وليعلم جماعة المسلمين في كل آن أن نصر الله بعيد عنهم كما فشلوا وتنازعوا
 وصرفوا التعلق عما كانت عليه الناس في عهد السلف الصالح
 لو أصلحت دعوة من النفوس فاسدها وداوت مرضها لكان لدعوته
 رضى الله عنه في صلاح حال المسلمين جميل الاثر . ولو ساعد الدهر لارتقت
 الامة العربية في عصره حتى شقت الفلك بار تقائها ونافست بواسطته الامم في
 كل شىء وناهيك بمن جمعت بعض حكمه ففاقت بها الاسفار وتليت بعض
 معجزات بلاغته فزلزلت على لينها ما استحجر من الارواح . أى وجدان
 لطيف هو يخاطب الناس بما يقيمهم ويعينهم وينعشهم ويرقى بهم بسلم البرهان
 الى الكمال . تنغلق الافكار دون الايمان بمثل عهده رضى الله عنه للاشتر النخعي
 الذى ملأه بالاوامر الصادقة والزواجر الرادعة وطالب الناس بالطاعة عليه
 وحملهم باتباع ما فيه . هو أول قانون لسير العمال في الامة الاسلامية جلى فيه
 رضى الله عنه عن الغاية بما لم تصل مدارك الكثير الى مرماه . ولما كان هو
 من أحسن ما تتعلق به النفوس وتنشوق لرؤياه العيون بعد سيرته رضى الله عنه
 أتينا به خاتمين سيرته الشريفة بخير أعماله . وليشهد الناس هذه الحكم التى تفيض
 من الافئدة والفصاحة التى تندفق عن اللسان . والله على كل شىء قدير
 لولا عجائب صنع الله ما نبئت هذى الفضائل في لحم وفى عصب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشرقي
عهده اليه حين ولاه مصر : جباية خراجها . وجهاد عدوها . واستصلاح
أهلها . وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله . وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه
وسننه التي لا يسعد أحد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها
وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر
من نصره واعزاز من أعزه .

وأمره ان يكسر نفسه عند الشهوات وبزعها ^(١) عن الجمحات فان
النفس امارة بالسوء الا مارحم الله

ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من
عدل وجور . وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من
أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين
بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح
فاملك هواك وشح ^(٢) بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها
فيما أحببت أو كرهت واشعر قلبك الرحمة للرحمة والمحبة لهم والطف بهم ولا

(١) يكفها عن مطامعها

(٢) شح بنفسك أي ايجل بها عن الوقوع في غير الحل

تكون عليهم سبعة ضارياً تغتصم اكلهم فانهم صنفان : اما أخ لك في الدين أو
نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العمل وليؤتى على أيديهم
في العمد والخطأ فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك
الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق
من ولاك وقد استكفاك ^(١) أمرهم وابتلاك بهم

ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى ^(٢) لك بنقمته ولا غني بك
عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفوه . ولا تبججن بعقوبة . ولا تسرعن
الى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن انى مؤمراً أمر فاطاع فان ذلك
ادغال ^(٣) فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير

واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك أهبة أو مخيلة فانظر الى عظم ملك الله
فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك
من طماحك ^(٤) ويكف عنك من غريبك ويفى اليك بما عزب عنك من عقلك
اياك ومساماة الله فى عظمته والتشبه به فى جبروته فان الله يذل كل
جبار ويهين كل مختال

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه
هوى من رعيته فانك الا تفعل تظلم . ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون

(١) طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم

(٢) لا يدى لك بنقمته أى ليس لك ان تدفع نقمته أى لاطافة لك بها يقال

ليس لى بأمر كذا يدان أى طاقة

(٣) « الادغال ادخال الفساد

(٤) « الطماح الذشوز

عباده ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس
شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتمجيل نعمته من اقامة على ظلم فان الله سميع
دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد

وليكن أحب الامور اليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها الرضى
الرعية فان سخط العامة يحجب^(١) برضى الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع
رضى العامة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤونة في الرخاء وأقل
معوونة له في البلاء واكره الانصاف واسأل بالالخاف^(٢) وأقل شكراً عند
الاعطاء وأبطأ عذراً عند المنع واضعف صبراً عند ملمات الدهر من اهل
الخاصة . وانما عماد الدين وجماع المسلمين^(٣) والعدة للاعداء العامة من الامة
فليكن صفوك لهم وميلك معهم

وليكن أبعد رعيته منك واشنائهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فان
في الناس عيوباً والى أحق من سترها فلا تكشف عن عيوبهم عما غاب عنك منها
فانما عليك تطهير مآظهم لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما
استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته .

اطلق عن الناس عقدة كل حقد . واقطع عنك سبب كل وتر^(٤) وتغاب عن
كل مالا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه

(١) يحجب أى يذهب برضى الخاصة فلا ينفع الله في معه اموال سخط الخاصة
ورضى العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مفتقر

(٢) الالخاف الالاح والاشدة في السؤال

(٣) جماع الشيء بالكسر جمعه أى جماعة الاسلام

(٤) الوتر بالكسر العداوة والاورار العداوات

بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعمدك الفقر .
ولا جباناً يضعفك من الأمور . ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور . فإن
البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله

ان شر وزرائك من كان للامرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام
فلا يكونن لك بطانة^(١) فانهم أعوان الأئمة واخوان الظلمة وأنت واجد منهم
خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن
لا يعاون ظلماً على ظلمه ولا آثماً على آثمه أو لئك أخف عليك مؤونة وأحسن
لك معونة . وأحنى عليك عطفاً . وأقل لغيرك إلغاً فاتخذ أو لئك خاصة
خلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بحر الحق إليك وأقلهم مساعدة
فيما يكون منك مما كره الله لا وليائه واقعاً من هواك حيث وقع .

والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا ييجحوك^(٢)
يباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة
ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا
لاهل الاحسان في الاحسان وتدريباً لاهل الاساءة على الاساءة وألزم كلا
منهم ما ألزم نفسه

واعلم انه ليس شيء بادعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم
وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس قبلهم^(٣) فليكن
منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته فان حسن الظن يقطع

(١) بطانة الرجل بالكسر خاصته (٢) يطروك أى يزدوا في مدحك
ولا ييجحوك أى يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك لم تكن فعلته (٣) قبلهم
بالكسر أى عندهم

عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان
أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها
الألفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدث سنة تضر بشيء من ماضى تلك
السنن فيكون الاجر لمن سننها والوزر عليك بما نقضت بها
وأكثر مدارس العلماء ومنافسة الحكماء فى تثبيت ما صالح عليه
أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك

واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها
عن بعض . فمنها جنود الله . ومنها كتاب العامة والخاصة . ومنها قضاة
العدل . ومنها عمال الانصاف والرفق . ومنها أهل الجزية والخراج من أهل
الذمة ومسألة الناس . ومنها التجار وأهل الصناعات . ومنها الطبقة السفلى
من ذوى الحاجة والمسكنة وكلا قد سمي الله سهمه ووضع على حده فريضة
فى كتابه أو سنة نبه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً

فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الامن
وليس تقوم الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى
يقوون به فى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء
حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال
والكتاب لما يحكمون من المعاهد^(١) ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من
خواص الامور وعوامها . ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوى الصناعات
فيما يجمعون عليه من مرافقهم . ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من

الترفق بأيديهم مالا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدكم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف، عليه أو ثقل

فولّ جندك أنصحهم في نفسك لله ورسوله ولا مامك . وانقاهم جيبا وأفضلهم حلما ممن يبطل عن الغضب . ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء . وينبو عن الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف

ثم الصق بذوى الاحساب وأهل البيوتات الصالحة السوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفان^(١) في نفسك شئ قويتهم به ولا تحقرن لطفاً تمهيدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه

وليكن أثر رؤوس جندك عندك من واساعهم في معونته وأفضل^(٢) عليهم من جدته بما يسمعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك وان أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر

(١) تفانم الامر عظم

(٢) أفضل عليه وتفضل بمعنى

مودتهم الا بسلامة صدرهم ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاية أمورهم
وقلة استئصال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل
في حسن الثناء عليهم وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم . فان كثرة الذكر لحسن
أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرئ
منهم ما أبلى ولا تضيفن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه
ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم أكثر من بلائه ما كان صغيرا ولا
ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما

واردد الى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتبه عليك من
الامور فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله
والرسول) فالرد الى الله الاخذ بحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ
بسننه الجامعة غير المفرقة

ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به
الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر^(١) من الفئ الى
الحق اذا عرفه ولا تشرف^(٢) نفسه على طمع ولا يكتفى بأدنى فهم دون
اقصاه . أوقفهم في الشبهات وأخدم بالحجج . وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم
وأصبرهم على كشف الامور وأصرهم عند انضاح الحكم ممن لا يزدهيه
إطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وأفسح له
في البذل ما يزيل غلته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك

(١) حصر كفرح ضاق صدره أى لا يضيق صدره من الرجوع الى الحق

(٢) الاشراف على الشئ الاطلاع عليه من فوق

ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك
فانظر في ذلك نظراً بليغاً فان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار يعمل
فيه بالهوى ويطلب به الدنيا

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة فانهما
جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل
البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم أكرم أخلاقاً وأصح
اعراضاً وأقل في المطامع اشرافاً وأبلغ في عواقب الامور نظراً. ثم اسبغ
عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول
ماتحت أيديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أو سلموا أمانتك ثم تفقد
أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فان تماهذك في
السرا لا مورهم حدوة^(١) لهم على استعمالهم الامانة والرق بالريعية وتحفظ
من الاعوان فان أحدهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك
اخبار عيونك اكتبته بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه
وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته
عار التهمة

وتفقد أمر الخراج بما يصالح أهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحاً
لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج
وأهله وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج
لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طاب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد
وأهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلاً فان شكوا ثقل أو علة أو انقطاع شرب

أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما تجو
أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن "عليك شيء، خففت به المؤونة عنهم فانه يذخر
يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلاك حسن
ثقتهم وتبجحك باستفاضة المدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم
من اجمالك "لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم
فربما حدث من الامور ما ذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه لطيفة
أنفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من أعواز
أهلها وانما يعوز أهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء
وقلة انتفاعهم بالعبير

ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم واخصص رسائلك
التي تدخل فيها مكائدك واسرارك بأجمعهم لوجود صالح الاخلاق ممن
لا تبطره الكرامة فيجتري، بها عليك في خلافك بحضرة ملاء ولا تقصر
به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك
فيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن
اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبالغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر
نفسه يكون بقدر غيره أجهل . ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك
واستنامتك وحسن الظن منك . فان الرجال يتعرفون لفراست الولاة
بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء

- (١) ثقل المضروب . أو نزول آفة . أو انقطاع بالة أي ما يبل الارض كال مطر أو تحويل
البذر الى فساد بالتعفن لما اغتمرها الفرق
(٢) اجمالك أي اراحتك لهم

ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة أثرا
واعرفهم بالامانة وجهها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولئن وليت أمره
واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت
عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه ألزمته

ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم
والمضطرب بماله والمترفق بيده فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلايها
من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس
لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم لانتخاف بأثقتهم ^(١) وصلح لا تخشى
غائلته وتفقد أمورهم بحضرتك . وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك أن في
كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات
وذلك باب مضره للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول
الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل وأسعار
لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه .
فشكل به وعاقب في غير اسراف

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين
وأهل البؤسى والزمنى ^(٢) فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا . واحفظ لله
ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات
صوافي ^(٣) الاسلام في كل بلد . فان للأقصى منهم مثل الذي للادنى . وكل

(١) البائقة الداهية (٢) الزمنى بفتح أوله جمع زمين وهو المصاب بالزمانه بفتح
الزاي أى العاهة يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب (٣) جمع صافية
وهي أرض الغنمية

قد استرعت حقه . فلا يشغلنك عنهم بطرفانك لا تعذر بتضييعك التافه^(١)
 لا حكامك بالنظر في الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم . ولا تصبر خدك لهم .
 وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العميون . وتحقره الرجال
 ففرغ لا وثلك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك أمورهم ثم اعمل
 فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه . فان هؤلاء . من بين الرعية أحوج الى الانصاف
 من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه . وتمهد أهل اليتيم . وذوى
 الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسئلة نفسه وذلك على الولاة ثقيل .
 والحق كله ثقيل . وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا وانفسهم ووثقوا
 بصدق موعود الله لهم

واجعل لذوى الحاجات منك قسما . تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس
 لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعده عنهم جندك وأعوانك .
 من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع . فاني سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن (لن تقدس أمة . لا يؤخذ
 للضعيف فيها حقه من القوى غير متمتع) ثم احتمل الخرق منهم والعي . ونح
 عنهم الضيق والالفة . يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك
 ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنياً . وامنع في اجمال واعذار .

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها . اجابة عمالك بما يعي عنه
 كتابك . ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تخرج به صدور
 اعوانك . وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم مافيه واجعل لنفسك فيما
 بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الاقسام . وان كانت كلها لله

إذا صلحت فيها النية وسامت منها الرعية

وإيكن في خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليالك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص . بالغا من بدنك ما بلغ واذا قت في صلاتك للناس فلا تكون من منفرا ولا مضيعا . فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني الى اليمن كيف أصلي بهم فقال (صل كصلاة أضعفهم وكن بالموئنين رحيمًا)

وأما بعد فلا تطيلن احتجاجك عن رعيتك فان احتجاج الولاية عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا به فانه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وإنما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤ سخطت نفسك في البذل في الحق ففيم احتجاجك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه . أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك اذا آيسوا من بذلك . مع ان أكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة . أو طلب انصاف في معاملة

ثم ان الوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الاحوال . ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك^(١) قطيعة . ولا يطمعن منك في اعتقاد^(٢) عقدة تضر بمن

يليهما من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون
 مهناً^(١) ذلك لهم دونك . وعيبه عليك في الدنيا والآخرة . وألزم الحق
 من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك
 وخاصتك حيث وقع . وابتغ عاقبته بما ينقل عليك منه فإن مغبة ذلك محمود .
 وإن ظنت الرعية بك حيفاً فاصحر^(٢) لهم عذر . واعدل عنك ظنونهم
 بأصحارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك واعذاراً تبلغ
 به حاجتك من تقويمهم على الحق

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه . وك الله فيه رضى فإن في الصلح دعة
 لجنودك . وراحة من همومك . وأماناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر
 من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل . نخذ بالحزم واتهم في
 ذلك حسن الظن وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك
 ذمة . فخط عهدك بالوفا . وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون
 ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق
 أهوائهم وتشتت أرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون
 فيما بينهم دون المسلمين . لما استولوا من عواقب الغدر . فلا تغدروا بذمتك
 ولا تخيسن بعهدك . ولا تختلن عدوك فإنه لا يجترى على الله إلا جاهل
 شقي وقد جعل الله عهده وذمته أماناً أفضاه بين العباد برحمته . وحرماً
 يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره . فلا ادغال ولا مدالسة
 ولا خداع فيه ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد
 التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب

انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق أمر تر جوافر اجه وفضل عاقبته
خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله فيه طلبه فلا تستقبل
فيها دنياك ولا آخرتك

اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا أعظم
لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها
والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكو امن الدماء يوم القيامة
فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله
وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لان فيه قود البدن
وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك . أو سيفك أو يدك بعقوبة فان
فى الوكرة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى
الى أولياء المقنول حقهم

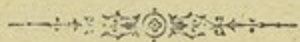
واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان
ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين
واياك والمن على رعيتك باحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن
تعدم فتتبع موعذك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور
الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس . قال الله تعالى (كبر مقتا
عند الله ان تقولوا مالا نفعلون) .

واياك والعجلة بالامور قبل أوانها والتسقط فيها عند امكانها . أو
الاجاجة فيها اذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كل أمر
موضعه وأوقع كل أمر موقعه واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي
عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك وعمما قليل تنكشف

عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم
أملك حمية أنفك وسورة حدك . وسطوة يدك . وغرب لسانك .
واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك
فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر
المعاد الى ربك

والواجب عليك ان تتذكر ماضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة
فاضلة أو اثر عن نبينا صلى الله عليه وآله أو فريضة في كتاب الله فتقتدى
بما شاهدت مما عملنا به فيها . وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في
عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة
عند تسرع نفسك الى هواها

وانا نسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن
يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه
مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف
الكرامة وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلام
على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا
والسلام .



❦ فصل ❦

﴿ في خلافة سيدنا الحسن ﴾

لا بد لنا من كلمة على خلافة سيدنا الحسن يتصل بها الكلام ويعلم منها كيف استقام الامر لسيدنا معاوية فقد تركنا أغلب الناس فوضى بعد قتل الامام في العقل والشرعية معاً

كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت ثم بينما هو يتجهز للمسير قتل فبايع الناس وهذا الجيش ولده الحسن وبلغه أن معاوية سائر اليه في أهل الشام فتجهز هو أيضاً بهذا الجيش الموثق بالإيمان والعهد الى لقاء معاوية . فلما نزل الحسن المدائن حدث في جيشه من الشقاق والنفاق ما دعاه لتأخير ما عزم عليه . رأى أن جند العراق لا تقوم به دولة لما هو واقع بينهم دائماً من النزاع والتطلع الى ما ليس لهم (حتى نازعوا الحسن في بساط كان يجلس عليه)

رأى ان يبعثه كبيعة أبيه ليست عامة ولكنها قاصرة على شيعتهم من أهل العراق . فراسل معاوية بن أبي سفيان يبذل له الصلح واشترط عليه شروطاً وقال له ان انت أعطيتني هذا فأنا سميع مطيع . وكان معاوية قبل وصول كتاب الحسن اليه ختم صحيفة في أسفلها وكتب للحسن يقول له اشترط في هذه الصحيفة ماشئت فاشترط وأتم شروطه تأمين جيشه وشيعة على كلهم فقبلها معاوية وقدم العراق فقابله الحسن بجيشه وبايعه بالخلافة هو وجنده وصدق رسول الله في قوله عن الحسن (ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين)

تم دور الخلافة بالخلفاء الراشدين بتسليم سيدنا الحسن الامر وانتهى دور الفتن والشقاق الذي ابتدأ من قيام الثوار على سيدنا عثمان بن عفان ونهايته قتل الامام على رضى الله عنهما .

فتن دامت عشر سنين لو كانت فى أمة أخرى لهدمتها وقوضتها ولكن الله نظر الى دينه القويم بعين عنايته فألف كلمة أهله وحفظه كما وعد (انا نحن نزلنا الذ كر وانا له لحافظون) ثم انقسم المسلمون على انفسهم وأصبحوا فرقا فمنهم الشيعة ومنهم الغلاة والروافض والخوارج وغيرهم من أهل الملل والنحل . يقفون فى وجه كل اصلاح ويشقون عصا كل طاعة لحد الآن كما سيأتى تفصيله

الآن أخبر بخبرنى لو لم يقدر الله هذه الفتن إلى أى ركن من أركان الدنيا كان يصل الاسلام . وإلى أى درجة كانت ترفع كلمته . وإلى أى عدد كانت تنتهى شيعته . وإلى أى شرف كانت تصل رفعتة ... أظنه كان يستأن بقوته أعظم قوى الكون ويصبح كل شىء دونه منحطاً ومتضائلاً خاضعاً ومستكيناً اليه

لو نظر الناظر لما وجد لهذا الشقاق الذى حصل الا تطاول الايدى لقتل سيدنا عثمان ونقض بيعة له فى أعناقهم مع ان الخروج عن طاعة الامام لم يجعل النبى صلى الله عليه وسلم له سبباً الا الكفر البواح الظاهر الصريح الذى لا تأويل فيه ولم يقل بذلك أحد منهم . وكان مصيبتة هذه لم تكف حتى أعقبتها الله بافتراق الامة فى داخليتها فكان لكل جماعة رأى وليس هذا بالامر الهين . وكيف يكون هينا وقد أذى للقتال والخروج على الامام وعمل السيف فى رقاب المسلمين ماعمل ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم دالت الدولة لبني أمية وتوالت فتوحاتها برا وبحرا وانتظم الشمل
مد شتاته وجبر الوهن بعد ثلمه واشترأت أعناق أرباب الدولة الى إعزاز
جانهم واذلال مجانهم و اظهار دينهم وقد نما فيهم احساس المحاماة عن الحوزة
فانجهت جيوش الدولة وأساطيلها الى الفتح فلم تمض الايام ولم تنصرم
الليالى حتى فتحت الجزر في البحر الابيض المتوسط والمدن والحصون
في قارة آسيا وأصبح كنف الامة مكينا يكاؤ الوادعين فيه . ثم مازال
أرباب الدولة قائمين بتشریفها بالرأى السديد والعزم الشديد حتى أخذت
الجزية من ملك بالقسطنطينية بعد الحصر والتضييق والعذاب الاليم
واستدامت لها الهداية الى أن أنسى الله سبحانه وتعالى بعض القوم أدب
الدين وحدود المحافظة على الموائيق والعهود ونشرت طوائف منهم زائفة
عن السداد ومتنكبة عن الصواب والرشاد فادت حالتهم الى اضمحلال
بعض الاطراف من ملكهم نخرجت عليهم منها غارات وفتن كانت
مقدمة لانتقال الدولة من بني أمية الى بني عباس كما سيرد عليك ببعض
التفصيل بعد هذا فتدرك منه ما يؤدى الى الزيادة والبركة وما يورث الفشل
والاختلال (وتلك الايام نداولها بين الناس)

ان الصدور لانزال تكمن مافيهها . ولذلك فان شيعة على رضى الله تعالى عنه
لا تزال ترى هذا الامر في أولاده يطلبونه متى سنحت لهم الفرصة وقد صارت
لهم مذاهب ونحل يعجز القلم عن استقصائها والخوارج لا تزال ترى التحكيم
ضلالة ولا ترى البيعة الاشورى ولا تنتخب الارجال على مذهبهم ومعتقدهم
وتفرقوا شيعة كل امة مذهب يتبعه (ولو بغير امام) وجماعة منهم يقولون ان معاوية
هو الذى أحال الخلافة ملكا (وأنى لمعاوية ذلك) وانما الذى أحالها ملكا هى

العوامل الطبيعية التي اذا عرضت للامة تضطرها لطلب الانفراد بالمجد والاستئثار به وقد وقع هذا بالفعل لبنى أمية ولم يكن لمعاوية ان يدفع تأثيره عن نفسه وقومه لانه أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته الامة فاستماتت دونه ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في افتراق الكلمة ولم يكن للحسن رضي الله عنه ذلك بل كان القوم في نهاية الشقاق . يدل على ذلك انه لما ترأس مع سيدنا معاوية في أمر تسليم الخلافة خطب الناس . فحمد الله وأثنى عليه وقال والله ما ينيناعن أهل الشام شك ولا ندم وانما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر فشيت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في مسيركم الى صفين ودينكم أمام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم . الا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون عليه وقتيل بالنهروان تطلبون بثاره وأما الباقي نخاذل وأما الباقي فنائر . الا وان معاوية دعانا لامر ليس فيه عز ولا نصفه فان أردتم الموت ردناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بطبي السيوف وان أردتم الحياة قبلناه وأخذناه بالرضا فناده الناس من كل صوب وناحية « البقية البقية وامنض الصالح »

فأين هذه العصبية من عصبية بنى أمية ومثل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي عمله حجة وفعله قدوة يخشاها . كان اذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر يقول لو كان لي من الامر شيء لوليته الخلافة ولو أراد أن يمهّد اليه لفعل . ولكنه كان يخشى من بنى أمية أهل الحل والعقد لما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة ومثل هذا هو الذي وقع للمأمون منذ عهده للرضا ومن هذا ايضا الذي نراه في اهالي الدول المتمدنة الذين

يحرصون على تقاليدهم فهم في عصبية تامة يخيفون بها الحكومة ويفرسون
 في قلوب اربابها بذور التقية والحذر فلا يتأتى لحكوماتهم ان تجلب لبلادها
 من البضائع الا ما ليس له وجود عندهم فضلا عن انها تستخدم الغير في عملها.
 على أن الملك انما ذم منه الشارع التغلب بالباطل وتصريف الادميين طوع
 الاغراض والشهوات ولم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة
 المصالح . واذا كان الملك مخلصا يحمل الناس على عبادة الله وجهاد عدوه .
 لم يكن مذموما . والملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هو الجبروتية المبر
 عنها بالكسروية وخلافة سيدنا معاوية لم تكن كذلك بل من رأى كثير
 من المؤرخين الذين لم يصح عندهم حديث (الخلافة بعدي) أن تلحق
 دولته بدولة الخلفاء الراشدين وأخباره باخبارهم فهو تاليهم في الدين والفضل
 والفتح العظيم براً وبحراً ومن بعده من خلفاء بني مروان وبني العباس الذين
 فتحو الفتوحات وأعلوا كلمة الله في الارض وان شق ذلك على جماعة في هذه
 الايام شغلوا أنفسهم بما لا طائل تحته من تفضيل وتضليل وجلسوا مجلس
 الحكم في هذه القضية من قبل أن يتجرؤا أوثق مصادرها والايام تسوق
 لهم كل يوم حديثاً عن سياسة دنياهم وقد صرف الله قلوبهم عن النظر فيها
 وأولى بهم ان يتناصحوا في خيرها وشرها ولا يتركوا الناس أفذاذاً لا يعلم
 أحدهم بما يكون من عمل أخيه
 اللهم ألف كلمة المسلمين ولم شعها ووفقها لما تحبه وترضاه بمنك وكرمك
 انك على كل شيء قدير

سيدنا عمرو بن العاص رضى الله عنه

هو الفاتح لا عظم ركن من أركان الخلافة الاسلامية . البلد الذى هو
واسطة عقدها اموية . وعباسية . وتركية . البلد الذى لم يتمصر قبله مصر .
ولم يذكر قبل اهله حتى . البلد الذى كانت اعمال اهله ولا تزال

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

نقدمه على غيره لعلاقة السلطان . الذى بينه وبين هذا البلد واهله لانه
اول فاتح اسلامى تولى فتحه بسيفه وحكمه بعدله . ولعلاقة الدين . لانه اول
من شرح الله صدور اهله اليه على يده واطلع فى صدورهم نبراسه بواسطته .
واول مسجد خشعت فيه الاصوات للرحمن وسجدت فيه الجباه للديان
مسجده الذى اسس فى مصر منذ فتحها ووقف على اقامة قبلته (اى على
تحريرها) ثمانون رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من اجاهم
هو سيدنا عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد (بالتصغير)

ابن سهم بن عمرو بن هصيص (بالضم) بن كعب بن لؤى القرشى السهمي
اختلف الناس فى وقت اسلامه فقائل قبل الفتح وقائل بين الحديدية
وخير وقائل بأرض الحبشة . وعاش تسعين سنة . وكان يذكر ليلة
ولد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكان ادعج اباج قصير القامة عليه
مهابة الامارة وسياؤها . اخرج ابن ابى خيثمة من طريق الليث قال : نظر
عمر بن الخطاب الى عمرو (رضى الله عنهما) يمشى فقال ما ينبغي لابى عبد الله
ان يمشى الى الارض الاميراً

وكان لسنابادى الحجة يسد برأيه ثمة السيف (وقد سدها) وبفل

بالروية حده (وقد فله) . قائل لم يقل بغير تفكير ولم يعمل بغير تدبير . قال
 ابراهيم بن مهاجر عن الشعبي عن قبيصة بن جابر : صحبت عمرو بن العاص
 فما رأيت رجلاً أبين قرآناً ولا أكرم خلقاً ولا أشبه سرّاً بعلائية منه
 بلغ مقدار لحنه بحجته ودهائه في ما يريد وما يراد منه ان سيدنا عمر بن
 الخطاب أمير المؤمنين كان اذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه يقول : أشهد
 ان خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد (يعنى خالق الاضداد)
 وذكر الزبير بن بكار ان قريشاً بعثت لعمرو تناظره بعد ان أسلم فقال
 لرسولها : أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك نحن أهدي أم فارس
 والروم ؟ قال نحن أهدي . قال فنحن أوسع عيشاً أم هم ، قال هم . قال فما
 ينفعنا فضلنا عليهم ان لم يكن لنا فضل إلا في الدنيا وهم أعظم منافها إصراً
 في كل شئ وقد وقع في نفسى ان الذى يقوله محمد من ان البعث بعد الموت
 ليجزى المحسن باحسانه والمسيئ بأسائه حق ولا خير في التماذى على الباطل
 وكان شديد الحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع طرفه اليه .
 وكان للمعضلات حلالاً . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقربه ويدنيه لمعرفة
 وشجاعته وولاه غزاة ذات السلاسل وأمهه بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة
 الجراح رضى الله عنهم وكان أميرهم وكانوا يصلون خلفه
 وبعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك
 ثم اتيتني فلما أتاه قال له انى أريد أن أبعثك على جيش فيسامك الله ويغنمك
 وأرغب لك من المال رغبة صالحة فقال يا رسول الله ما أسأمت من اجل
 المال بل أسأمت رغبة في الاسلام فقال يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح
 وأتيتني النبي صلى الله عليه وسلم على ثباته إذ فرغ اهل المدينة فزاعفوا

فظهر عمرو بن العاص الى سالم مولى أبي حذيفة في المسجد فاذا عليه سيف
ففعل مثله فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال الا يكون فرعكم الى الله
ورسوله الا فعائم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان

ذاق لذة الحاضرة وعرف حال استيطان الريف وأدرك صعوبة جلالة
البدو وماز جفاء الاعراب فلما ضرب الاسلام بجرانه واتسعت ممالك
العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي الى القرى وفشا التأدب لم يعجزه
استكمال شيء دون استعماله مع أهله على الوجه الذي يحسن مسمعاً ويلطف
من القلب موقعا

نظر الى دولة الروم ومملكتها نظرة اخترقت حجابها المستور وسبر
تركيبها بمسبار الحكمة مع شدة احتفائهم وقتها بسياسة الخفاء في مجامع
رجال دولتهم المعروفة عند جماعة المؤرخين (بسوسيتيه سكريت) فتبدى
له من أمر الدولة الفراق في فراقها وأدرك أن قد آن وقت استباحة هذه
المدن وتخزيده شوكة هذه الدولة عن مصر

فلما كانت سنة ثمان عشرة وقدم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه
(الجالية) قام اليه وخلصه وقال له فيما قال إئذن لي أن أسير الى مصر وحرصه
عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى أكثر
الارض أموالا وأعجزهم عن القتال والحرب فتخوف سيدنا عمر بن الخطاب
رضى الله عنه على المسلمين وكره ذلك فلم يزل به من تعظيم أمرها وتنبيه
خاطرهم الشريف الى مزارعها ومنافعها ومحاصيل أرضها وبرها وخيرها
وفيضان نيلها وحال أهلها حتى ركن لذلك وعقد له على ثلاثة آلاف وخمسمائة
أو أربعة آلاف رجل وقال له سر وأنا مستخير الله في مسيرك فساروا ففتحها

(وفي كونها فتحت صلحاً أو عنوة خلاف) ولم يخنه الرأي في شيء ، مما قال ولم تعرف له كذبة فيما روى كأنما نشأ الرجل بين أهل هذا المصروربي فيه كان نظره في ذلك على الغيب (والبلاد في عالم العما والخلفاء) أثقب واصدق من نظر كثير من حكومات اليوم على الشهادة (والكرة الارضية ابسط من كف) فكلم قدروا قوة اخصامهم واخطأوا وكم وطئوا بلادهم فضلوا حتى دفعوا في حروب انتهكتهم وظنوها في اول امرها لعباً ولهوياً

ثم وصفها لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصفاً يقصر عنه الخالط والعشير فنه انه قال له عنها (بينما هي لجة بيضاء اذا هي زبرجدة خضراء نيلها عجب . وتراها ذهب . وامراؤها جلب . وهي لمن غلب) كيف يرى المصري الآن . هل قدر بعد ثلاثة عشر قرناً ان يفلتها من وصف عمرو بن العاص ام هي هي فهمها عمرو وليعلمها وعلمها ليحكم عليها . وكيف يرى الناظر مكان العظمة في مقال هذا البدوى ومقدار العظمة والاعتبار فيه مع انه لم يتحرك بعلوم اصول الكلام ولم يتحكن بفلسفة الحكماء ولم يشهر علمه بشهادات التدريس ولم يعمل عليه الا نور بصيرته التي هي نتيجة حسن المنبت وطيب المغرس وصيغة الأدب الديني الذي هو فردوس النفوس تنقد بواسطة الحقائق ويحكم عليها حكماً صحيحاً تؤيده الايام ويحققه المستقبل وكان مع هذه الدنيا المقبلة والسعادة الخادمة والسلطنة القاهرة النافذة وقوله وهو على المنبر (لقد قعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبض مصر على عهد ولا عقد ان شئت قتلت وان شئت خست وان شئت بعثت) . اسبق الناس لحق وابعد الناس عن باطل فلم يعهد عليه اثناء ولايته عليها نقضه لعهد ولا

خفره لذمة ولا تهتكه لعرض ولا نظره لما في يد الناس من الاموال والثرات
والعروض ولم يستأثر لنفسه خيرا دون من يعول ويرعى

يستظهر على ذلك من تأنيه وتؤدته في ارسال ما كان يحمل من مصر الى
المدينة من الطعام ونظره في ذلك لطوق البلاد والعباد وكتاب أمير المؤمنين
بلى الكتاب بطلب ذلك وهو يحتمل العتب منه ولا يحول عن سبيله وكما يؤخذ
من جبايته لها أقل من جباية غيره . وقول سيدنا عثمان رضى الله عنه له (ان
اللقاح بمصر قد درت ألبانها بعدك يا عمرو فقال له لانكم أعجفتم أولادها)
ثم أزال عن أهل مصر كثير أمن البدع وأذاقهم حلاوة الدين وحسبك
بعروس النيل وبدعة الجبر من بدعة ومن أزالها من حسنة

وحسبك من مناقبه الاسلامية الغراء رضاؤه بالحق عن نفسه واذعانه
له . أخرج بن عبد الحكم عن أنس قال أتى رجل من أهل مصر الى عمر بن
الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عائد بك من الظلم قال عدت بمعاذ قال سأبقت
ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول أنا ابن الاكرمين
فكتب عمر الى عمرو بن العاص يأمره بالتقدم عليه ويقدم ابنه معه فقدم
فقال عمر أين المصرى خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول
عمر اضرب بن الاكرمين ثم قال للمصرى ضعه على صلعة عمرو فقال
يا أمير المؤمنين اتنا ابنه الذى ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمر
(بم استغبتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا)

وناهيك بهذه المنقبة الاسلامية من أمير المؤمنين وعامله رضى الله
عنهما وحسبك هذه السكامة الطيبة خير شرعة يستقى منها جميع العالم معاني
الحرية والمساواة والاخاء والعدل والاحسان

أفلا يأسف، المصري على نفسه اذا قايس بين ترقياها في ذلك العهد وبين انحطاطها الآن . شتان بين نفس تسافر لوقتها من مصر الى الحجاز لتشكو ضربة من سوط وبين اخرى ترى حقها من جميع الوجوه مضاعا وهي مستأنسة بالظلامة لا تحس بالالم فضلا عن أن تهم بالشكاية منه

أفلا ينبغي للمتبعج بفضل الاجانب أن يقصر بعده هذا الفضل وأمثاله من مكارم الاخلاق عن الافراط في الاطراء عليهم . أفلا يوجب عليه العدل أن يشرك قومه معهم ويضعهم في طبقتهم فيذكرهم اذا هو ذكر (الكونت ميرابوه) أو (الجنرال دولافيت) أو (روبسبير) أو (مارا) وغيرهم من الفرنسيين أو (كرو مويل) أو (أوليفيه) الانكليزيان أو (واشنطن) أو (فرنكلين) الامريكيان أو (جوردانو لورونو) أو (جريبالدي) أو (كافور) التليانين لان سعى هؤلاء في تحرير أنفسهم ومساواتهم ببعضهم لم يكن بأشرف من المعنى الذي قصده أمراء الاسلام ولكن هؤلاء نشأوا بين قوم عرفوا فضلهم فاذا عوه وسمعوه فوعوه وفضلنا ضيعته أصحابه ولا حول ولا قوة الا بالله

هذا بعض الشيء من سيرة هذا الفاتح وبقي شيء لا بد من ذكره والتنويه تذكرة لآخواننا القراء . قال ابن حجر في الإصابة : « ان عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختياره لهم فن ذلك قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وقوله (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم) وقوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله

(يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وقوله (للفقراء
 المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله
 ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقوله (لا يستوى
 منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين
 أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وجميع ذلك مع الاحاديث
 الشهيرة الكثيرة يقتضى القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل
 الله له الى تعديل أحد من الخلق على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم
 شئ، مما ذكرناه لا وجبت الحال التي كانوا عليها مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وبعده من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والاموال
 وقتل الآباء والاولاد والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين القطع
 على تعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم وانهم أفضل من جميع الخالفين بعدهم
 والمعدلين الذين يحيثون من بعدهم . ثم وجدت بين المسلمين طوائف
 من العجم والفرس ديدنهم التنسك لكل دولة ذاهبة ليحتلبوا خير كل
 دولة مقبلة أولئك أدام هذا الضرب من النفاق الى الكذب والبهتان في
 حق خيار من سلف وخلقوا لهم صفائر وكبائر . وهذا الفاتح الجليل ممن
 أصيب بيهتان كبير من هؤلاء وأدى فجور الكاذب عليه ان يخلق له أفعالا
 ويخلق عليه أمور اليمحى بسيئاته المكذوبة حسناته هذه . وهيهات وقد
 أخذ الناس بهرج هذا القول وزور الكلام المصطنع واغفلوا هذه المكارم
 وما علموا ان موقع الرجل من الملة والامة هو الموقع الذي تخطبه له هذه
 المحاسن وتوجيه له هذه المناقب . لا ماتر ميه به الاعداء . ولم يدركوا ان
 الامويين لم يشتموا الا لارضاء العباسيين وان الزاري بهم لم ينظر في عمله

الى شيء من خدمة الحق أو اعلاء كلمة الدين وان الكل ما بعد ذلك مقلدون

﴿ سيدنا معاوية رضى الله عنه ﴾

هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي كان أبوه أبو سفيان أحد أشياخ مكة أسلم بعد الحديبية على ما حكاه الواقدي وقال غيره بل يومها وكنتم اسلامه عن أبيه وأمه حتى أظهره يوم فتح مكة (وهو مثل الذي وقع للعباس رضى الله عنه إذا سلم بيدرو كنتم اسلامه الى قبيل الفتح)

قال أبو نعيم : « وكان من الكتبة الفصحاء وهو ممن كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أمينه على وحي ربه جل وعلا »

وكان من اكابر العرب نسباً وقرباً منه صلى الله عليه وسلم حاز شرف الاسلام وشرف الصحبة وشرف النسب وشرف المصاهرة المستلزمة لمرافقته له صلى الله عليه وسلم في الجنة وشرف الحلم وشرف العلم وسودد الامارة والخلافة وكفى بنسبه فخراً قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح « من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ». ميزه بذلك صلى الله عليه وسلم دون غيره زيادة في اعلان شرفه ومجده

روى عن اجلاء الصحابة كأبي بكر وعمر واخته ام المؤمنين ام حبيبة وروى عنه اجلاؤهم وفقهاؤهم كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وغيرهم فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى مائة

وثلاثة وستين حديثاً

كان عاقلاً ليدياً عالمًا حكيمًا داهية في السياسة والكياسة وهو الذي قال « لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت » قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال « اذا جذبوها أرخيتها وان أرخوها جذبتها »

حسن التدبير حكيمًا فصيحًا بليغًا يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة والحلم عنده أغلب . كريمًا باذلاً للمال يكرم الوفدين ويحسن القربى ويقضى الحوائج اختلفت الناس في حبه ولم تختلف في فضله .

مخايل فضل نشأت فيه وثبتت ونمت معه حتى صرن شمائل كمال وخلال خير وجلال . اخرج ابو سعيد المدايني قال نظر أبو سفيان الى ولده معاوية وهو غلام فقال ان ابني هذا لعظيم الرأس وانه خليق أن يسود قومه فقالت أمه (قومه فقط !! ثكلته ان لم يسد العرب قاطبة !!)

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان من النقاد « ما رأيت للملك اعلى من معاوية . رواه البخارى في تاريخه أو قال : ما رأيت أليق من أعطاف معاوية بالرئاسة والملك » وقال عبد الله بن عمر ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية بن أبي سفيان . قالوا وأين أنت من أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ؟ قال أولئك أفضل منه وهو أسود منهم ووصفه عبد الملك بن مروان عند مامر بقبوره فقال : انه كان ينطق

عن علم ويسكت عن حلم . كان اذا أعطي اغنى واذا حارب أفنى »

نعم لقد كان سائس أمم ومربي دول . وراعى ممالك وكفى بقول سيدنا عمر بن الخطاب جلسائه يوما : « تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية : » دليلا على انه سياق للعظائم من الامور .

وكان يهون عليه كل شيء اذا انتظم أمر الملك وبدا صلاحه فابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه اليها أحد. منها الاسطول لحماية الثغور ووقاية فروج البلدان من تطرق الاعداء . والبريد لسرعة وصول الاخبار بمتجددات الاحوال وناهيك بها من نعمة علمت مزاياها الملل الان فمازالت ترقىها حتى كان من بعض خدامها تيار الكهرباء وأجنحة البخار . وديوان الخاتم وهو ديوان به نواب فاذا صدر توقيع من الخليفة بأمر من الامور ووصل التوقيع الى ذلك الديوان اثبتت فيه نسخة وختم عليها بالشمع وختم بختم ذلك الديوان لمضاهاته عند اللزوم لمراجعة الحساب

وفضائله كلها غرر منها مارواه البخارى ان مولى لعبد الله بن عباس قال له انى رأيت أمير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان اوتر بركة فقال له « ان معاوية فقه »

ومنها مارواه الترمذى وقال انه حديث حسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لمعاوية فقال « اللهم اجعله هاديا مهديا » ومنها ما أخرجه الحارث ابن اسامة من انه صلى الله عليه وسلم ذكر مناقب الاربعة خلفاء وجماعة آخرين من اصحابه ثم قال : « معاوية بن ابى سفيان احلم امتى واجودها » . محامنه بهذه الدعوة المباركة المقبولة مضائق النفس وثورانها ونزع عنه حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة . ولا أحسن من هاتين الصفتين كما لا أقبح من الغضب والبخل . وأخرج مثله « المتلا » فى سيرته ونقله عنه المحب الطبرى فى رياضته انه صلى الله عليه وسلم ذكر مناقب الخلفاء الاربعة وجماعة من أصحابه ثم قال : « ومعاوية بن ابى سفيان أمينى وصاحب سرى »

ومنها انه دخل صلى الله عليه وسلم على زوجته أم حبيبة ورأس معاوية في حجرها وهي تقبله فقال : « أتحيينه فقالت ومالي لأحب أخى فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يحبانه »

ومنها ما رواه الحافظ أحمد بن منيع قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « غزيرة من ربي وعهد عهده الى أن لا أتزوج الى أهل بيت ولا أزوج بنتاً من بناتي لاحد الا كانوا رفقاءى في الجنة »

ومنها بشارته بالخلافة فقد روى أحمد بسند حسن ان معاوية رضى الله عنه أخذ الاداة ^(١) لما اشتكى أبو هريرة وسار بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فينما هو يوضئ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع رأسه اليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال يا معاوية ان وليت امرأ فأتق الله واعدل

ولى قيادة الجنود في الشام وثغور الروم في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (وذلك بعد موت أخيه يزيد الخير الذى كان قائد هذه الجنود فرض فاستنابه منابه حتى مات فأقره سيدنا عمر بن الخطاب) وناهيك ببصيرته الفاروقية في الانتقاد والانتقاء لمثل الشام في ذلك الوقت الملتهبة فيه قلوب أهل البلاد بنار الحقد على جماعة المسلمين إثر الفتوحات الاسلامية والمصاعب المكتنفة بذلك المقام فأقام فيها نحواً من عشرين سنة عاملاً لسيدنا عمر ابن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان ثم أضاف اليها مصر ثم تسمى بالخلافة ومكث نحواً من عشرين سنة أخرى خليفة ولم يشك أحد من معاوية رضى الله عنه بل كانت الناس راضية عنه عاملاً وهم في عهد خلافته أَرْضَى

(١) الاداة المطهرة وهى اناء للماء من جلد يردف خلف الراكب وهو ما يعبر منه في العرف (بالزمزية)

ومن عجائب فراسته انه قال « ان أهل مكة أخرجوا رسول الله فلا تكون الخلافة فيهم أبدا . وان أهل المدينة قتلوا عثمان فلا تعود الخلافة اليهم أبدا »

مثل اذا شئت معرفة فضل سياسته وشخص ان أردت الوقوف على مقدار مدارك عقله ونبله الموقع الذي صارت اليه الامة الاسلامية بعد فتح الشام وثغوره والمقام الحرج الذي صار فيه قائدها وحاكمها وتأمل كيف كان حالها في نظراًمة الرومان وجمهورية رومة أولا . ثم امبراطوريتها ثانياً . لا اعتبارهم اياها اقدس مكان لانها وطن الانبياء ومكان المعجزات . وميدان الاديان . وبعد فتح مصر التي أقل وصف لها ما قاله الاسكندر المقدوني « ان مصر مركز للعالم بأسره اذا انبعثت منها أنصاف أقطار فانها تمر بجميع الامصار فيسهل على القابض عليها أن يصل منها الى حيث يريد ويختار » لا أشك في انك تدرك مركز الشرق الاسلامي ازاء هذا الحال . ومركز الغرب ازاءه أيضاً وتعتقد انه من أعسر المواقع وأحرجها

انشأ سيدنا معاوية رضى الله عنه في سنة ٢٨ وهو عامل الشام في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه اسطولا سافره في البحر فافتتح جزيرة قبرص وكان في عمله هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُم حرام . أخرج البخارى عن أنس بن مالك عن أم حرام (بافتتح) بنت ملحان وكانت خالته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من القيلولة) في بيتها فاستيقظ وهو يضحك فسأله فقال «عرض على أناس من خيار أمتي يركبون ثبج البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت فقلت يا رسول الله أدع الله ان يجعلني منهم قال انت من الاوين » قال فتزوجها عبادة بن الصامت

فاخرجها معه فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها . وقال بن الاثير وكانت تلك
الغزوة غزوة قبرص قد فنت فيها ^(١) وكان امير ذلك الجيش سيدنا معاوية
ابن ابي سفيان وضرب عليها جزية عظيمة
ثم فتح من الجزر اقريطش (كريد) وجزيرة (كوس) وجزيرة
(رودوس) وجزيرة (ارواده) قرب القسطنطينية ومن البلاد لحد قيسارية
(قيصريه)

انظر لعمله رضى الله عنه في فتح هذه الجزر تجده ادرك ببصيرته المعنى
الذى لاحظته دول اوربا فيها الآن واصبحت تتناطح عليهما من اجله وان عمله
في ذلك الوقت عمل الحكيم الخليم العاقل الحازم الذى قيل فيه
البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها واما بوسها

صان كرسى الملك بالابهة والعظمة وجلب اليه القلوب بحسن المجاملة
وملكها بحميل المعاملة فهابه العدو وطمع في كرمه الصديق وجيش المسلمين
في ذلك الوقت لم يصل الى مائة الف مقاتل وجميعه منتثر في البلاد من

(١) أم حرام لأم هانئ كما زعم بعضهم) عند ذكر خبر المسجد الذى شيده
مولانا السلطان فى قبرص) قالوا على قبر أم هانئ وأم هانئ لم تهجر من مكة
والدليل على ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها بعد هرب زوجها
هبيرة الى اليمن وبقائه على كفره حتى مات فقالت له انى مصيبة فأخاف أن
يؤذوك يا رسول الله فاثني عليها فقال (خير نساء ركن الابل صواح نساء قريش
احناه على ولد وأرطاه على زرج فى ذات يد) ثم لما نشأ بنوها عرضت نفسها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الآن فلا فقد أنزل الله قوله تعالى (انا
أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت اجورهن وما ملكت يمينك بما آفاه الله عليك
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك)
قام هانئ ما هاجرت مع الرسول فضلا عن الذهاب لقبرص

الشام الى ارمينية ومنها الى مصر وغيرها من الجزر القصوى والاراضى
التي افتتحت من بلاد العرب الى الصين

كانت الدولة في عهده بدوية حضرية فكان اجتماعها وتعاونها في حاجاتها
بالمقدار الذى لا يورث الرفه والدعة والترف البالغة مبالغها في عهد المعاش
والمسكن فكانت الامة مقبلة على الدنيا بالمقدار الضرورى فقط . محافظة
على البعد من الانغماس في الترف واسباب الشهوات التي لا توجد دواعيها
الا في نهاية العمران والحضارة للذين هما نهاية الشر والبعد عن الخير

ثم انفرد له الامر فارب الروم بحرا وغزاهم برا واغرق من سفن
قسطنطين الثانى جزاً عظيماً في خليج (الصياليق) بسواحل اقليم (ليسيا)
من الاناضول في سفح جبل (فينسكس)

ثم زاد في مقدار اسطوله وسيره في زمن الربيع حتى بلغ به سواحل
مرمرافنزل غرب القسطنطينية وحاصرها ست سنين يؤخر في كل سنة
(في تشرين الثانى) الموافق (نوفمبر) أساطيله الى ميناء (سيزنقه) التي كان
استولى عليها ثم يعود للحصار زمن الربيع

ثم سير جيشه الكثيف وأمر عليه سيدنا سفيان بن عوف وأمر
ابنه يزيد بالغزاة معه فتناقل واعتل فأمسك عنه ثم أصاب الناس في غزاتهم
جوع ومرض شديد وسمع عن يزيد يبتين وهما

اذا جلست على الانماط مرتعفا في دير سمعان حول أم كلثوم

فما أبالي بما لاقت جنودهم بالفرقدونة من حمى ومن نوم

فعلم انه أراد بتناقله اتمام لذائذه فاقسم ليحقق بسفيان بن عوف في
ارض الروم ليضيقه ما أصاب الناس وسار وكان في الجيش سيدنا أبوأيوب

الانصاري فاقتتل المسلمون واشتدت الحرب بينهم وتوفي أبو أيوب عند القسطنطينية بالقرب من سورها وهو ممن شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفين مع « علي » وغيرها من حروبه

وفي تشديده على يزيد في اللحاق بالجيش مالا يخفى من انه لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يعرف فيه قرابة ولا رحماً ولا يصون نفسه ولا أولاده عن الجهاد في سبيل الله ومقاسمة المسلمين فيما هم فيه من خير ومن شر ثم استمرت الغزوات براً وبحراً وقواده فيها (بسر بن ارطاه) و (سفيان بن عوف) و (فضالة بن عبيد الانصاري) و (مالك بن عبد الخثعمي) و (عمرو بن يزيد الجهني) حتى فتحوا من البلاد في مدة وجيزة ما لو أردنا ذكر خبرها لا نستلزم أسفاراً ضخمة

اختصوا بالعبادة الاهلية فآلفتهم القوة واحتضنتهم السعادة فلم ينحرفوا عن سنن الاعتدال ولم يغلب الرجل منهم على رايه غالب . ولم يلفته عنه أدنى الرضا وأدنى السخط . وثقوا من أنفسهم فوثقت بهم الامة وأصبحوا متحدين في آرائهم غير مختلفي الالهواء

والى هنا يحق للقلم ان يقف دون وصف غرابة هذا المشهد الذي تفاوتت فيه مراتب الهمة والمزعة الى أعلى ما يمكن من منازلها الرائعة . يحق له ان يقف دون العجب من هذا الحال الذي فات سعة العلم وتعدى قوة العقل واصالة الحسكم وذهب بكثير من الناس الى ما وراء عجب المحسوسات وعلاهم فوق ما تتخيله الافكار . ألا عارف يخبرني كيف كان ذلك : مقام الخلافة يحفظ . وممظم جزر البحر المتوسط تؤخذ . وبلاد الى حدود الصين تفتح . والروم تهدد وتحصر وجيش الدولة لا يبلغ مائة ألف نفس على الاكثر

منتشر في الجهات كما ذكرنا وعلى فرض اجتماعه فهو جزء من ثمانين من
الثمانية ملايين الذين تحت حكومة هولاندا من مسلمي الجاوه الآن فضلا
عن بقية الملايين المنتشرة على وجه الارض

ما بالهم تعددوا بعد توحدكم وتفرقوا بعد تجمعهم ؟ أين التناصح بالحق
والتواصي بالصدق والاعتصام بالصبر ؟ أين الحق الذي فرض على كل مسلم
القيام به لدينه ونفسه وأهله . وبلده ووطنه ؟ اللهم اما انت أولئك كانوا
ارتقوا عن أفق الانسانية الى عالم سماوى أو تكون هذه الملايين انحطت
عن افقها الانسانى الى أفق العجماوات

اذا كان لابد من مذكر بالخير ومشير بالرأى فليحقق لمن هو مطلوب
منهم الاصلاح وموكل اليهم أمر الامة وهم المسئولون عن كل صغيرة
وكبيرة تلامسها بين يدي الخالق والمخلوق . ان البدع والتعاليم الفاسدة
التي فرطوا في منعها جعلت المسلمين شيعياً وأذاقت بعضهم بأس بعض
حتى صار الكل غرضاً لسهام مظالم الاعداء . ولا تزال الامة تزداد تفرقاً
حتى تزعزعت عقائدها وفسدت آدابها وتجرات الناس على استباحة
المحظورات وأصبح لها أقبح الاثر في العوائد والاخلاق

ان باب هذه الفتن انما فتح على الامة بانصراف كبرائها عن الجادة
المستقيمة وان الله لمطلع على أحوالهم عالم بما أصاعوه من أمر عباده ولقد
كان لهم سوء الاثر في تضليل هذه العقول وفساد الاخلاق وانحطاط
شأن القوم الذين رزئوا بهم فليتقوا الله في هذه الامة ولتعلم هي انها أسرفت
على نفسها وان هي أفاقت اسفت كل الاسف على ما فرطت وندمت وان
كان الندم لا ينفعها على ما فات فربما ينبهها الى ماهوات

هذا بعض الشيء من هذه السيرة الجليلة سيرة هذا الفاتح واصحابه
ورجال دولته الذين جمعوا امرهم بعد الشقاق عسانا نتعظ بها فلم شعت
الفرقة وقد نبع قوم ينتقصون فعله وينالون منه وهم اقل من ان يعدوا
في مصاف الرجال (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) ولكن
اهل السنة جميعاً على حب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ودفع التائيم
عنهم كالشأن في المجاهدين لان الله امتن عليهم بمنة لم يشاركهم فيها أحد
وهي حلول نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وامداده لهم بما قطع
غيرهم من الحقوق بهم في باهر فعلهم وكما لهم وعظيم استعدادهم وسعة
علومهم وحقيقة شرفهم فاللهم ارض عنهم واحشرنا معهم واجزنا بمحبتهم
خيراً واهدنا لبعض عملهم هذا . آمين يارب العالمين

﴿ الوليد بن عبد الملك ﴾

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو العباس الاموي بويع له بعهد أبيه
يوم الجمعة النصف من شوال سنة ست وثمانين وهو ثاني الخلفاء المروانيين
أى بلاد فتحت وأى مساجد عمرت وأى آية للحضارة والعمران
ظهرت في عهد هذا الخليفة المجاهد المقدم الفاتح ابى الايامى وثمان اليتامى
وملجأ العجزة والمساكين الذى شرح القلوب المحزونة بيره وفتح البلاد
المستحكمة بسيفه وعدله شبيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه في فعله وفتحه
وانتشار الاسلام بفضلته حتى قالوا وایامه کایامه

كأنما كان في فعله متحرياً مكان الوجدان من القلوب ومقر التصديق من العقول . لذلك تجدد الذي عمره من المساجد وشيده من مواضع العبادة من انفس ما يتقرب به الى الله العامل العابد وما فتحه من البلاد والممالك من اشرف ما يفتخر به الانسان الفاتح القائد . فتراه مثلاً يجدد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشرق ويفتح الاندلس للمسلمين بالمغرب . ان ذلك لمن اعظم نتائج الفطنة وثمرة العقل . ولذلك كان عصره من ارق العصور مدنية وأغزرها فتحاً واتساعاً وعمراناً واجلها عظمة وابهة لا تشارك الامة في اعمال الخير وانصرافها في سبيل المجد والاجتهاد وتوجه سمعها في التغلب على الغير والذب عن الحوزة

ولى الخلافة في اواخر سنة ست وثمانين كما قدمنا دخلت سنة سبع وثمانين عليه الا وهو مقسم اوقاتها بالفكر والخيال جاعل ايامها وساعاتها ينابيع سعادة ووسائل ارتقاء

بدا بتعيين عماله في البلاد التابعة للخلافة الاسلامية بانتقاء وانتقاد يفوقان حد الوصف ويتعديان موضع التحرى وحسبك انتقاء مثل سيدنا عمر بن عبد العزيز اميراً على مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد جمع بين المسجد وحمامته وخلى بين الخطيب ومنبره

ثم شرع في بناء جامع دمشق الذي هو احدى عجائب الدنيا جمع فيه مائة الف ماهر من الصنائع وحمل اليه اربعين حملاً من الفسيفساء هدية من ملك الروم ثم ابت وفوده لمشاهدته فصرعتهم عظمتهم واستفزتهم ابهته وناهيك بهيية مكان سلاسل قناديله من اللجين المسبوك . ثم كتب للجهات بتوسيع المساجد وبنائها فكتب بادخال حجر رسول الله صلى الله عليه

وسلم في مسجده وتوسعته بمائتي ذراع وهكذا جدد المسجد الحرام ومسجد
قبا ومسجد مصر

ثم والى الفتوح وسير قبيلة بن مسلم الباهلي من اكابر قواده ففتح
خوارزم وسمرقند وسردينيا

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين فجهز مسامة اخاه والعباس ابنه لغزو
الروم فجمعت خمسون الفا فلما التقى العسكر ان غلبت الروم وفتحت بلاد
كثيرة من مملكتها

وفي سنة تسع وثمانين فتحت جزيرتا (منورقة) و (ميورقة) من
من جزر بحر الروم شرق الاندلس . وفي سنة تسعين فتح عسكر الاسلام
(نسف) ومدائن اخرى وحصونا من ازريجان كثيرة وفتح محمد بن مروان
جهة دربند (١) وحصونه ودان له ماوراء باب الابواب (١) وفتح الحجاج
بخارى ووصل محمد بن القاسم لارض الهند ودخل قتيبة (قشغر) اول مدن
الصين وافتتحها بعد حرب عوان لاقى فيها ابن أخت ملك الصين
في مائتي ألف مقاتل

ثم دخلت سنة اثنين وتسعين وكان موسى بن نصير أمير المغرب
وعامله على افريقية وكان استنزل يوليائوس لطاعة المسلمين بعد حروب
كثيرة وعرف منه السبيل لفتح الاندلس فارسل خيرة القواد طارق بن
زياد الليثي لفتحها فجاز طارق البحر في (٣٠٠) فارس من العرب واحتشد
معهم من البربر نحو امان عشرة آلاف وصيرهما عسكرين ترأس على احدهما

(١) راجع دائرة المعارف وجغرافية ملطبرون في الكلام على هذين
الموضعين تحدا ما يدل على ان دربند أبواب الابواب هو سد ذي القرنين عليه السلام

ونزل به جبل الفتح الذي سمي باسمه والآخر رأس عليه طريف بن مالك
النخعي فلقبهم رودريك في نحو من اربعين ألف فارس فهزموه وافتتحوا
البلاد وغلبوهم على ما بأيديهم مع كثرتهم وقوتهم لانهم مقبلون بقلوبهم
متحدون بوجهتهم

فلما بلغ خبر هذا الانتصار موسى بن نصير استخلف على القبروان ولده
عبد الله ونهض في سنة ثلاث وتسعين في عسكر عظيم ودخل الاندلس
وآتم الفتح الى برشلونه في الشرق وأربونه في الجوف وصنم قادس في الغرب
أصبحت الاندلس وهي المملكة المعدودة في الرتبة السادسة بين
الممالك الاورباوية داخلة تحت حكم مملكة العرب وجناح الاسلام يرف
فوقها غربا وفوق قارة اسيا شرقا

انظر لعزيمة هذا الفاتح الجليل ومضاعفة الدين واليقين لقوته. أجمع
رأيه أن يأتي الى المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام خائضا
ما بينهما من أمم الفرنجة والاعاجم وغيرهم يعني انه يخترق مملكة فرنسا
من شمالها فيدخل فيها ثم يعرج من غرب أرض سويسره أو مملكة
جرمانيا ثم يدخل في مملكة استوريا ثم الى الروملى الى القسطنطينية
الى الاناضول فدمشق أو ماحوا الى ذلك . وكاد يكون ذلك لولا حرص
الوليد على جماعة المسلمين وقلقه عليهم وموالاته كتبته لموسى بن نصير
بالعودة ولزوم طاعته فقفل راجعا وولى ابنه عبد العزيز عليها وأسكنه
قرطبة ومن هنا اتصلت العرب بأراضي الفرنجة وتوغلوا فيها ثم دخلت
سنة ثلاثة وتسعين ففتح فيها مدينة أريديل والكرخ والبيضاء وخوارزم
وفتح في سنة أربع وتسعين كابل وفرغانه والشاش وفتحت أقصى جهة

الباب ومدينة طوس في سنة خمسة وتسعين

ثم دخلت سنة ست وتسعين التي أراد الله أن يتقاص ظل هذا الخليفة العادل عن الدولة فيها ولا معقب لحكمه ولا رب سواه فقضى رحمه الله بدير مران وحمل على أعناق الرجال ودفن بدمشق وتولى دفته سيدنا عمر بن عبد العزيز فودع الدنيا مصافحاً خيراً أهلها . وكانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر استقر فيها نصاب الدولة في مقرر عزه من السلطان والقدرة وكمال الفضيلة ولولا أن عاجله الفناء لاقتطع من الممالك الاوروباوية ممالك عظيمة وشيد خلافته ومهد لعصابته ما هو أجل وأنعم مما شاهده وبناه وقد رزقه الله حظاً في نفسه وذريته وأهل بيته فولد له من الذكران أربعة عشر ومنهم ولده عمر فحل بنى مروان الذي كان يركب في ستين من صباه اتسعت ممالك الاسلام في دولته اتساعاً لم يمهده مثيل وجبى من الاموال شيئاً كثيراً وكانت الدولة في عهده في غاية الثروة وكان في بيت ماله ما يكفي الحاجات وذوى الحاجات ستة عشر سنة وحث الناس على الابنية والعمار وبناء الضياع وأصلح الله به وبهم الارض فاحلوا القفار حواضر وتهيات الامة واستعدت لقبول كل خير وكان مع اتساع هذا الملك وزيادة عمرانه يقظاً في أمر دولته لا تفوته الذرة ولا تكاد نفوس أعدائه تحدث سرها بخالفته وكانت له عيون تطالعه باخبار الناس منبهة في كافة أرجاء ممالكه ليقفوا له على متجددات الاحوال . من ذلك ما يحكى ان الهيصم بن جابر أحد الخوارج عليه اختفى وهرب الى المدينة لما أحس بشدة التضييق عليه والطلب له ثم أطل شعره واختضب وغير من شكله وهيئته ودخل في غمار الناس ولم يعرفه أحد ثم بلغ الوليد ان أمره هذا

قد أعجب الحجاج فنقب عليه مرة فعلم ان الرجل بالمدينة على الهيئة التي ذكرناها فكتب الى عثمان بن حيان بالمدينة ينبئه بأن الرجل عنده ويصف له من أمره وحاله ما هو عليه فقرأ عثمان الكتاب على الناس والهيصم جالس فنظر اليه رجل كان بجانبه وقال له ما أنا بمخليك وقبض عليه وأتى به عثمان بن حيان وأقر أنه الهيصم

ومن فضائله انه كان يختم القرآن في ثلاث وكان يبرح ملته ويقضى عنهم ديونهم وكان محباً للخير محبوباً عند الناس ساهراً على ما فيه سمو مقام الخلافة وهو أول من حمل الطعام الى المساجد

ومن غرر أعماله التي سبق بها من جاء قبله وأتعب بها من جاء بعده انه حبس المجذومين والعميان والزمنى وأجرى لهم الارزاق وبني لهم البيمارستانات وحشر اليها المرضى وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً وشيد التكايا وجمع فيها المعوزين وقال للمحتاجين لا تسألوا

هو أول من لاحظ أمر الصحة بأشرف معانيه فقطع بين أصحاب العلل والاصحاء ووصل بينهم وبين النعمة والاحسان فمنع تلك الوجوه المحتاجة من الخروج للطلب في الاسواق وكلف القادر الصحيح بالخدمة والعمل فحقق انصافه بين الرعية بالعدل لان في انزواء المقعد ظهور القادر الذي وفقه الله للعمل يتميز بعمله منهم ويربأ بنفسه أن يرى حالة على الناس وتناهى في الاعتناء بأمر الصحة حتى كان من عوائده سؤال الاطباء عن أهوية البلدان ونفعها للأمراض فلما سمع منهم ان هواء دمشق ينفع المجذومين أسس هناك بيمارستاناً للمجذومين لا تزال آثاره باقية خارج المدينة للآن

وهو أول من وضع المنار في الطرقات وناهيك بها من نعمة تحقق
الأمن العام وتستدعي زيادة العمران

وهو أول من وضع علامة الاميال في الطرقات ما بين المدينة والشام
وغيرها ورقم عليها أعداداً ليعلم المسافر القدر الذي قطعه والباقي عليه
من سفره

وهو أول من حفر الآبار من الشام للمدينة ومن المدينة لمكة
يشرب منها الوارد والمتردد

أفلا ينبغي لنا أن نذكره بالخير اذا رأينا الآن اهتمام الممالك والجمعيات
بأمر الصحة العمومية وجمع الاعانات لها وعجزهم على كثرة مواردكم عن
القيام بما كان قائماً به الوليد

أفلا ينبغي أن نذكره بالخير اذا رأينا الآن عدد الكيلومترات على
جانب السكة الحديدية وهي العلامات التي كان هو أول من وضعها بالفوائد
التي بينها واضبط مواقع الوقائع من خير أو شر . نعم ينبغي لنا ذلك لنعرف
للمبتكر حقه في الفضيلة والمخترع قدره في الاحسان . وبالجملة فقد
كانت الدولة والأمة في مدته آية في العمران والحضارة وتشديد مواطن
الخير والبر والاحسان فلا تجد بقعة الا وفيها شيء من ذلك

كثرت في عهده الخيرات ولم يعهد عليه فيها شيء من أبواب الظلمات
كتسخير الرعايا بغير حق أو اغتصاب شيء من معاشهم ومكاسبهم من
اعمالهم ولم يدخل الضرر على أحد بانتقاص عمرانه أو تخريب جداره لغاية
له . ولم يتسلط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الاثمان ولم
يمنح الى المكوس وزيادتها والتناهي فيها للحد الذي لا يجيزه دين ولا شرع

ولا عقل ولا طبع كما رأينا وسمعنا به . وهذا مصداق ما قاله الموبدان
(لبهرام) ملك الفرس من أن الملك لا يتم عزه الا بالشرعية وهي محبوبحة
العدل والخوف من الله وهو رأس الحكمة (لأنه لا شيء بعد القيام بطاعة
الله والتصرف تحت أمره ونهيه) ثم لا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز
للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة
ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الله
وجعل الملوك قيمة عليه

هذا حال الدولة وهي في نشأة الحياة تسرى روح العدل فيها من
السلطان الى أهله الى حاميته الى جنده الى أمته الى جميع رعيته بالتشبه
والافتداء فتجد الكل سواء في الملابس والشارات والعوائد والاخلاق
والاحوال والتمائيل في الجدران والمصانع والبيوت وهذا معنى قولهم « الناس
على دين ملوكهم » لان الملك غالب والرعية مقتدون لاعتقدهم الكمال فيه .
أما حالها وقد صارت الى غير ذلك فالتكاسل والاستعباد حتى تصبح الامة
حالة على غيرها ؛ يقصر الامل فيها ويضعف الاعمار ببطالان النشاط واختلال
القوي وتلاشي المكاسب والمساعي لعجز الناس عن المدافعة عن أنفسهم
وعما في حوزتهم وتنقبض الايدي عن العمل فيصبح طعمة لكل آكل ثم
يذهب ما للملك من الابهة والجمال وتغشى الناس أخلاق الحق والحسد
فاذا تم ذلك والعياذ بالله عمت النكبات والمصادرات وضعفت الشوكة
الخارجية وأصبح سهم القدرة لا يتعدى الامة وأصبحت هي معرضة
للهلاك والله أعلم

— ❧ سليمان بن عبد الملك ❧ —

هو سليمان بن عبد الملك أبو أيوب من خيار خلفاء بني مروان . ولى
الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين .
وتوفى في سنة تسع وتسعين . فكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثلاثة
أشهر بدابق . بين حلب وعنتاب . كان طويلاً جميلاً فصيحاً لساناً أديباً
متورعاً عن الدماء مؤثراً للعدل محباً للغزو . روى قليلاً عن أبيه وعبد الرحمن
ابن هبيرة وروى عنه ابنه عبد الواحد والزهرى . كان حسن السيرة يرجع
الى دين وصحبة للحق واتباع للقرآن واطهار للشرائع الاسلامية . وهو
أسخى بنى أمية وبني مروان بالدرهم والدينار

استكتب يزيد بن المهلب والفضل بن المهلب وعبد العزيز بن الحارث
ابن الحكم . وكان خطيباً فن خطبه الموجزة :

« أيها الناس اتخذوا كتاب الله اماماً وارضوا به حكماً واجعلوه لكم
قائداً فإنه ناسخ لما قبله ولى ينسخه كتاب بعده »

كان وزيره سيدنا عمر بن عبد العزيز صفوة أهل زمانه فكان يمثل
أوامره في كل خير وكلها خير فأصبح جميع ما أسرف فيه الحجاج منسوخاً :
عزل عماله وأخرج من كان في سجن العراق ورد المنفيين وأحيا الصلاة
لأول وقتها . ثم استخلف عنه سيدنا عمر ففتح أعماله بخير وختمها بخير
فسموه مفتاح الخير

لم يقصر في مدته على قتلها من التوسعة على المسلمين بل كانت أيامه
ذات فتوح متوالية وكان غيوراً شديداً الغيرة فامتدت الدولة في مدته الى

آخر بلاد الاندلس واستتب له الامر فيها وفتحت مدن الصقالبة . وحصن الحديد وسردا . وشفا . وجرجان . وطبرستان . وناهيك بهما وهما مما أعني سابور ذا الاكتاف وكسرى قباد . وكسرى بن هرمز . بل مما أعني عمر وعثمان ومن بعدهما من خلفاء الله تعالى رضى الله عنهم كانت الطريق قبل فتح جرجان مخوفة يتوسطها الاشقياء فيقطعون السابلة ويفسدون في الارض . فكان بهذا الفتح إسبال ستر الامان على كل قاصد لتلك الجهات للانتفاع من خيراتها التي كانت محجوبة بيد هؤلاء الاشقياء

حج بالناس سنة سبع وتسعين ومعه سيدنا عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ففرض لاهل المدينة أربعة آلاف فرض لقريش خاصة ليس فيهم حاييف ولا مولى . فدخل جماعة من قريش عليه وقالوا له : اننا جعلنا ذلك لموالينا . ففرض سليمان أربعة آلاف أخرى

ثم بعد قضاء الفريضة على أكل أوجهها عاد الى مقر خلافته ونذب أخاه مسلمة وقطع معه البعوث على أجناد الشام والجزيرة وجمع آلات الحرب للصيف والشتاء والمجانيق والنفط وغير ذلك من أدوات زمانه . وعقد له على الجيش برا وبحرا وخرج معهم بهيئة الخلافة وهبتها ومعه جماعة من الفقهاء حتى نزل « دابق » وجاءه الاجناد من كل ناحية فأتهم أمر الجيش

رحل « مسلمة » أخوه بالجيش فسلك طريق مرعش وافتتح مدينة الصقالبة كما ذكرنا وشتا حواليا ثم سار لطلب القسطنطينية حتى نزل عمورية وبطريقها « ليون » بن قسطنطين المرعشى فوادعه مسلمة وأعطاه رهنا وأخذ

منه مثله وتعاهدا على المناصحة والمظاهرة على أهل القسطنطينية وحلف
«ليون» أن يكون عوناً له . ثم أخذ ينتقل به الحال حتى دخل القسطنطينية
و«تيدوس» حاكم عليها ما زال يلعب بكرة الاروام مرة وبصو لجان المسلمين
أخرى حتى دس لتيدوس من قتله وتفرد بالملك من غير منازع ثم غدر
بمسلمة ونقض عهده وأغراه بحرق ذخيرته في كلام طويل يطلب في مظانه
من كتب التاريخ ^(١) ولاقت المسلمون من الأذى والشدة ما لم يلقه أحد
وأكلوا الدواب والجلود وأبلوا في سبيل الله بلاء حسناً . وكل ذلك سببه
سلامة النية وصدق الوعد والبقاء على العهد ولا حول ولا

كل خليل كنت خالته ما ترك الله له واضحة

فكلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

هذا وسليمان مقيم بدابق لا يقدر على إمدادهم بشيء من الأزواد لكثرة
البرد والثلج الذي قطع بينه وبين جيشه العظم الذي يبلغ نحواً من مائة ألف
مقاتل وقواده ابنه داود ومسلمة بن عبد الملك أخوه وجماعة من أهل
بيته وعمر بن هبيرة

مرض بالحمى فأقسم أن لا يعود إلى مقر خلافته حتى يأتيه خبر فتح
القسطنطينية أو يموت حيث هو فلما اشتد عليه المرض سأل «رجاء بن حيوة»
— وكان وزير صدق لبني أمية — في أمر العهد فقال له «ان مما يحفظ به الخليفة
في قبره أن يولى على المسلمين من بعده الرجل الصالح» قال «كيف ترى في
عمر بن عبد العزيز؟» فقال «أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً» فقال «هو
والله على ذلك» وأشار على «رجاء» أن يجعل يزيد بن عبد الملك أخاه ولى

(١) راجع ان شئت نبذة من عيون الحقائق مطبوع في ليدن تجد هذا مفصلاً

العهد بعد سيدنا عمر بن عبد العزيز فكتب كتابا وختم عليه ودعا الناس الى بيعته مختوما وقال له « اخرج الى الناس فليبايعوا على ما فيه » فبايعوا . ثم مات سليمان وفتح الكتاب فادا فيه العهد لسيدنا عمر بن عبد العزيز . فتغيرت وجوه بنى أمية ثم لما سمعوا بعده اسم يزيد بن عبد الملك أخيه تراجعوا فأثوا عمر فسلموا عليه بالخلافة

اللهم لازرية^(١) على السابق ولا تذرية^(٢) للاحق . ولكنها فعلة فأتت الجميع حتى الولي والوصي . فلم يعهد في جاهلية ولا اسلام عهد عهد رعاية للورع والصالح والاهتمام بأمر المسلمين أجل من هذا

لم يمت سليمان بن عبد الملك رضى الله عنه عن غير عقب بل عن أربعة عشر ولداً من الذكور منهم داود قائد جيشه في حرب القسطنطينية وغيرها ولا عن غير قرابة . فاخوانه كثيرون ومنهم مسلمة الذى أبلى في حروبه وفي حصار القسطنطينية وغيرها في عهده وعهد الوليد أخيه بلاء حسناً . ولكن رأى ان حقوق هؤلاء من جهة لحة نسبهم به وقرابتهم اليه أقل من حق جماعة المسلمين الذى جعله الله فى عنقه فسلم الخلافة خير أهل زمانه فخرج من عهدتها طاهر الذيل . وناهيك بكلمات وزيره « رجاء بن حيوة معه في هذا الموقف الحرج

يدلنا هذا الحال على ان العلماء فى كل زمن هم بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الامة فصالح حالها بصلاحهم وفساده بفسادهم ولقد ابتلى الله المسلمين فى أزمنتهم الاخيرة ببعض علماء لا يعرفون . من دنياهم شيئاً الا نصب هياكل الاطراء ورفع تمائيل المدح لكل رئيس من الرؤساء

(١) زرى عليه زربا وزرابة عابه (٢) ذريته تذرية مدحته

وعظيم من العظماء فضلا عن خليفة من الخلفاء.

فسدت أخلاق العامة بالزور والرياء والنفاق والكذب والمحاباة والمصانعة والمداجاة بل تزعر اعتقادهم بسبب ذلك وأخذوا ينتصرون لهوى نفوسهم الخبيثة وأهوائهم الباطلة والعلماء لا يصدونهم عن هذا بشرح الحقائق والترجمة عن السجاياء الجميلة والأخلاق المرضية

سأل سليمان بن عبد الملك رضى الله عنه «أبا حازم» وكان زاهداً فقال له «كيف القدوم على الله تعالى؟» قال «أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسروراً وأما المسيء فكالعبد الآبق يعود إلى مولاه محزوناً» قال سليمان «فأبانا نكره الموت» قال «لأنكم خربتكم آخرتكم وعمرتم دنياكم فمكرهتم النقلة من العماراة للخراب»

ياغوثاه من هذه الكلمات !! كيف تقال في وجه خليفة جمعت خلافته بين أوصال المشرق والمغرب وتحت رايته الجيوش الجرارة وآلات الحرب والضرب وأمره نافذ في قارتي آسيا ومعظم أوروبا وما بينهما. فإن لم يكن هذا الزاهد من خير علماء الآخرة إذ قالها وهذا الخليفة من خير خلفاء الدنيا إذ اعظم بها فن؟

وما زالت الدول الأوروبية المتمدنة توحى للمسلمين بتمدنها حتى اعتقدوا كما برهنت لهم أن الدين حائل دون الارتقاء وقيد ثقيل لا يمكن الإنسان من الوثوب إلى معالي الأمور ثم سلكت بهم سبيل الترقى والسيادة الذي هدتهم إليه وملكتههم مقاليد العز والسعادة التي مكنت يدهم منها ولم تمض الأيام وتتصرم الليالي حتى انكشف السر وظهر الصبح لذى عينين ورأوا أنفسهم يرسفون في قيود الذل وإن تلك الأمم المتمدنة كانت ترى لغرض

آخر تفننت فيه بحسب أطعمائها وليس الغرض منه الا ترك هذه الشعوب
لا آداب دينهم وعوائدهم وتقاليدهم وادخلهم مضايق دون الاستصباح لها
حتى يمسون ويصبحون مضغة اللاكل . وكان كذلك
ألا نظرة صادقة من هذه الأمة السكينة لما كانت فيه ونظرة لما
صارت اليه اتعلم انها مخدوعة فيما يبهج الناس منظره ويسر القوم رؤياه
فتنتبه لمصائبها وتعلم بعلمها فلا تحيد عن الهدى الصحيح والطريق المستقيم
حتى تخرج من درك الشقاء ولا تنتهي الى شر المسير
انما المرء حديث بعده فكأن حديثاً حسناً لمن وعى

﴿ سيدنا عمر بن عبد العزيز ﴾

ماذا تسع هذه المجالة من وصف هذا الخليفة العالم الورع الزاهد
الخالع الدين اللين السهل القريب الذي ملأ الارض عدلاً وجاء مصداقاً
للخير المأثور : « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد
لها امر دينها »

ماذا تسع من وصف من أفرد أكاثر المؤلفين المؤلفات في أخلاقه
وصفته وفضائله وخصائصه وضرب المثل بعمله وشاكل بفعله الجميل أفعال
سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى قيل : « عدل العمرين »
هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي
ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي . وأمه أم عاصم ليلى
بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

هو التابعي الجليل الذي روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن أبي طالب وسعيد بن المسيب والسائب بن زيد ويوسف بن عبد الله وخلائق كثيرين.

ولد بجلوان المعروفة (من قرى مصر) سنة إحدى وستين وكان يقال له أشج بن مروان : ضربته دابة في جبهته وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول : « ان كنت أشج بن مروان انك لسعيد » قال ذلك لان سيدنا عمر ابن الخطاب كان يقول : « من ولدى رجل بوجهه شجة عملاً الارض عدلاً » ولى الخلافة وبويع له يوم مات ابن عمه سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين عن عهد منه اليه (كما قدمنا في ترجمته) من غير علم منه فظهرت عليه علامات الاستياء من ذلك . قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم . ألا وإنى است بقاض ولكنى منفذ ولست بمبتدع ولكنى متبع ولست بخير من أحدم ولكنى أثقلكم حملاً . وإن الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم . ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »

بذت عليه مخايل الورع والدين والصيانة والزهد والنزاهة من أول حركة بذت منه . كان شديد التئيم والاختيال في مشيته فخرج عن جميع ما كان فيه من ذلك التئيم والمأكّل والملبس والمتاع حتى النساء . ورد ما كان لزوجه وهى بنت عمه عبد الملك بن مروان الى بيت المال . وكان دخله أربعين ألف دينار فرد ذلك كله وخصص لنفقة يومه درهمين . ثم صار يلبس القميص الغليظ ولم يتعد الواحد فيكان اذا غسلوه يمكت حتى يحف . ويأكل الغليظ من الطعام ورد جميع المظالم حتى انه رد فص خاتم كان في يده قال اعطانيه

الوليد من غير حق

حدثت زوجته انه يكون في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة
فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء ويجلس ويبكي وهي تقول : « يا ليت
كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين »

علم الناس انه مؤثر دينه على دنياه فأثروا حبه على نفوسهم . أعرض
عن ركوب خيل الخلافة والاجتراء بركبه الخاص وهجر مكان حكومتها
ولازم بيته

وكانت خلافته سنتين ونصفا على الأكثر اذ ان دست الخلافة فيهما به

فاذا الدر زان حسن وجوه كان الدر حسن وجهك زينا

لم يكن هذا الزهد والتقشف من الجنس الذي رأيت أنه أوانت عبارة عن
لزوم الرجل كسر الحائط وهو غريق في لعبه خارج عن بعض ثيابه جامد
الفكر لا يتعدى إبطاره موضع قدميه فهو الى منزلة البله والعتة أقرب كلا .
بل كانت الدنيا عنده في كفة والآخرة في كفة يزن من هذه لهذه ويوزع
في دنياه ما يجزى بخيره في آخرته

كان أول ما بادر اليه رضى الله عنه أن بعث الى ابن عمه مسامة بن عبد
الملك بن مروان يأمره هو ومن معه من المسلمين بأرض الروم بترك حصار
القسطنطينية والقفول الى منازلهم لما يعلمه من اشتداد الحال عليهم كما تقدم
البيان في (ترجمة سليمان) وبعث لهم بالطعام الكثير والخليل العتاق
ثم وجه حاتم بن النعمان الباهلي للقتال عن أذربيجان وقد أغير عليها
فطرد عنها القوم وأزال عنها الخوف وألبسها لباس الامن

انظر لعلو رأيه وصائب فكره في عمله وخبرته برجاله : ولى عدى بن

أرطاة الفزاري على إمرة البصرة وناهيك به . واستقضى عليها الحسن البصري
رضي الله عنه فاستعفاه فأعفاه واستقضى مكانه إياس بن معاوية الذكي المشهور
والألمى الذي يظن بك الظ — من كائن قد رأى وقد سمعا

وبعث على إمرة الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .
واستقضى عليها عامر الشعبي وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله
الحكمي . وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وعلى
إمرة المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم

وقد حج بالناس . وأرسل الوليد بن هشام الميصى وعمر بن قيس
الكندي للغزو . وولى عمر بن هبيرة نيابة الجزيرة ثم أخذ في فحص الأعمال
فناقش اليزيد بن المهلب الحساب وحبسه لأنه طالبه بما قبله من الأموال
التي كتب إلى سليمان بن عبد الملك أنها حاصلة عنده فقال إنما كتبت بذلك
لأرهب الأعداء ولم يكن بيني وبين سليمان شيء . فغضب عمر لضيع مال
المسلمين ثم أمر بأن يلبس جبة من صوف وينفي إلى جزيرة دهلك التي كان
ينفي إليها الفساق ثم شفع فيه فبقى في سجنه . وعزل الجراح بن عبد الله
الحكمي عن إمرة خراسان بعد ستة أشهر وأخمس لأنه أخذ الجزيرة ممن أسلم
من الكفار وكان يقول لهم أنتم أنما تسامون فراراً منها (حبذا العدل والفضل)
ثم دخلت سنة واحد ومائة وكانت بدأت الدعوة لبني العباس فبقى في
مقر الخلافة وحج بالناس أبو بكر محمد بن محمد نائب المدينة واشتغل سيدنا
عمر رضي الله عنه بتبريد البريد من وإلى المدينة والشام

وفي هذه السنة مات كثير من الصحابة والتابعين لاتحاد ساعات آجالهم
وتقارب أعمارهم نذكر منهم الصحابي الجليل سيدنا الليثي الكنانى وهو

آخر من رأى النبي صلى الله عليه وسلم ورآه بالاجماع . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستلم الركن بالحجنة . وذكر صفته عليه السلام . وهو آخر من مات من الصحابة مطلقا بالاجماع في جميع الارض . اجتمع عنده مائة ألف أسير من الروم فساوم دولتهم على ردهم وأخذ «ملاطيه» وما زال حتى أقنعها واشترى هذه المدينة بهؤلاء الاسارى وبنائها وأصبحت من المدن المهمة

وفضائل عمر كثيرة أعظم من أن تحصى وتستقصى فنهاه أن يبطل الكلام في علي رضي الله عنه وقرأ على المنبر (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) واستمرت الخطباء على قراءة هذه الآية ومنها انه جمع القرآن وهو غلام صغير . قال الزبير بن بكار ان أول ما استبين من حرصه على العلم ورغبته في الادب انه طلب من أبيه رحلته الى المدينة وقعد الى مشايخ قريش وتجنب شبانهم فتأدب بأدبهم واشتهر ذكره فلما مات أبوه أخذه عمه عبد الملك بن مروان فخلطه بولده وقدمه على كثير منهم وزوجه بابنته فاطمة ^(١)

(١) نبذة تاريخية . فاطمة هذه بنت خليفة وجدها خليفة وأخوها خليفة وزوجها خليفة وأغرب منها أمها حاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك ابن مروان وأم ابنه يزيد . أبوها خليفة وهو يزيد وجدها خليفة وهو معاوية وأخوها خليفة وهو معاوية بن يزيد وزوجها خليفة وهو عبد الملك وعمها خليفة وهو مروان وابنها خليفة وهو يزيد وابن ابنها خليفة وهو الوليد بن يزيد وأولاد زوجها خلفاء وهم الوليد وسليمان وهشام ويزيد أولاد عبد الملك وكل هؤلاء محارم

قال عمر بن ذر : لما رجع عمر من جنازة سليمان بن عبد الملك قال له مولاه . مالى أراك مغتما ؟ قال لمثل ما انا فيه فليغتم . ليس أحد من الامة الا أنا أريد ان أوصل اليه حقه غير كاتب الى فيه ولا طالبه منى ولا عجب فى ذلك . فانه كان يتفكر فى الفقير الجائع . والمريض الضائع . والعارى المحمود . والمظلوم المقهور . والغريب الاسير . والشيخ الكبير . وذوى العيال الكثير والمال القليل . وهم فى أقطار الارض وأطراف البلاد ويعلم ان الله سائله عنهم

كان لا تأخذه . فى الحق لومة لائم . دخلت عنده أشراف بنى أمية يسألون لهم عملا . فقال لهم أتحبون ان أولى كل رجل منكم جندا : ترون بساطى هذا ؟ انى لاعلم انه صائر الى فناء وبلاء وانى أكره ان تدنسوه بأرجلكم فكيف أوليكم دينى ! أوليكم أعراض المسلمين ! هيهات ، فقالوا ما لنا قرابة ؟ أما لنا حق ؟ قال ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندى فى هذا الامر الا سوءا .!!

كان محبا للعدل والقسط يبغض الجور والعسف . لا يرى عنده شىء أفضل من الحق ومن كلامه : « ان كانت الناس لا يصلحها الحق فلا أصلحهم الله » وكان يقول « عاقبوا الناس على قدر ذنوبهم لا على قدر أجسادهم » بلغ الناس أن يقولوا « ان الغنم والاسد والوحوش كانت ترعى مع بعضها فى مرعى واحد فى عهده »

كتب اليه الجراح بن عبد الله « ان أهل خراسان قوم ساءت أخلاقهم وانه لا يصلحهم الا السيف والسيوط فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن فى ذلك فعل ورأيه الموفق » فكتب اليه عمر « اما بعد فقد بلغنى كتابك

تذكر به ان اهل خراسان قد ساءت اخلاقهم وانه لا يصلحهم الا السيف
والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام »
كان اشد الناس حرصاً على العمل بسنن من قبله من الاصحاب .
قال الزهرى : كتب عمر بن عبد العزيز الى سالم بن عبد الله يكتب له
بسيرة عمر بن الخطاب في الصدقات . فكتب اليه بالذي سأل ثم كتب
اليه « انك ان عملت بمثل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك
كنت عند الله خيراً من عمر »

يزعم الاوروبيون ان الشرقيين يعاملون من حكامهم معاملة الانعام
اليهم لا يقومون الا بالسياط وانهم هم الذين رفعوا عنهم سوط العذاب
وادنوه من شرعة العدالة وكشفوا عن عقولهم غمة الوهم . الا ان هذه
الدعوى مما تستخزي النفوس بعد ان اجتث الدين الاسلامي كل جذور
الجهل واخرج الاخذين به عن كل عقيدة باطلة ودعا الناس الى اصول
الفضائل التي اتى عليها وامهات المحامد التي احيها وقواعد العدل التي اسسها
وسد ينبوع الفساد وقطع ذرائع كل محرم فهذا عدل خليفة من خلفاء الاسلام
على رأس القرن الثاني من الهجرة . كانت أوروبا فيه في قطع من الظلمات
في كل شيء فان لم ينفرد المسلمون بسوي السابقة في العدل لكفاهم فضلاً
وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ما صليت
وراء امام قط أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى حين
كان على المدينة . قالوا كان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقراءة
وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه من خيرة أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم (وهو أول من سمي حمامة المسجد) لا يأتي أحداً من

الخلفاء وكان يأتي الى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة قال مجاهد أتينا عمر نعلمه
 فما برحنا حتى تعلمنا منه . قال ميمون بن مهران كانت العلماء عند عمر بن
 عبد العزيز تلامذة وهو معلم العلماء . قال سيدنا سفيان الثوري رضى الله
 عنه : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضى
 الله عنهم . وأجمع العلماء قاطبة على انه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين
 والأئمة المهديين وقال مالك بن زياد : يقولون : « مالك زاهد ، مالك زاهد ،
 أى زهد عندي ؟ إنما الزاهد عمر ! أتته الدنيا فاغرة فإها فتركاها ، ومن
 عجائب ما يروى انه وقف على راهب فقال له عظمى فقال عليك بقول الشاعر
 تجرد من الدنيا فانك انما خرجت الى الدنيا وأنت مجرد
 ودخل يوما على امرأته يسألها ان تقرضه درهما يشتري به عنبا فلم يجد
 عندها . فقالت له انت امير المؤمنين ولا تقدر على هذا ، قال « هذا الحرمان
 أيسر من معالجة الاغلال غدا في جهنم »
 انظر لحكمته في سياسته ولتجربته قطع ذرائع الرشوة واستقامة العمال .
 كان يوسع على العامل في نفقته فيعطيه في الشهر بحسب عمله من مائة
 دينار الى مائتين الى ثلاثمائة (هذا مال كثير فاننا اذا اعتبرنا الدينار نصف
 جنيه انكليزى مثلا كانت الثلاثمائة دينار مما تعرب من مرتبات كبار
 الحكومة المصرية الآن وكانت الحاجات غير الحاجات والضرورات أخف
 منها في هذه الاوقات بكثير كما لا يخفى على بصير) ويتأول انهم اذا كانوا في
 كفاية تأملوا لاشغال المسلمين وكان يقول في دعائه « اللهم ان كان عمر ليس
 بأهل أن ينال رحمتك فرحمتك أهل لان تنال عمر ، وكان يقول « اللهم
 اصلح من كان فيه صلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم »

اما موته فقد قيل فيه اقوال كثيرة (وما آفة الاخبار الارواتها) فمن ذلك انهم قالوا ان بنى امية علموا انه اذا امتدت ايامه اخرج الامر عن ايديهم لانه لا يعهد بعهد الا لمن يصلح الامر فعاجلوه قيل ان مولاه دس له سما في طعام او شراب واخذ الف دينار فرض فأخبر انه مسموم ثم استدعى مولاه وقال له ما حملك على ما صنعت فقال ألف دينار فقال هاتها فاحضرها ووضعها في بيت المال وقال لمولاه اذهب فلا يراك أحد

قيل له هؤلاء بنوك (وكانوا اثني عشر) ألا توصى لهم بشيء فانهم فقراء . قال ان ولي الله الذي لا إله الا هو وهو يتولى الصالحين والله لأعطيهم حق أحد . وهم بين رجلين : اما صالح فالله يتولى الصالحين واما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه . ثم استدعى بهم فودعهم وقال لهم هذا الكلام ثم قال انصرفوا عصمكم الله واحسن اخلافة عليكم قالوا انه لما احتضر صرف من حوله نخرجوا وجلس مسامة بن عمه وفاطمة زوجته على الباب فسمعاه يقول « اهلا بهذه الوجوه ليست وجوه إنس ولا جان » ثم قرأ « وتلك الدار الآخرة » الآية ثم انخفض الصوت فدخلوا فاذا به قضي رضى الله عنه



﴿ هشام بن عبد الملك ﴾

هو هشام بن عبد الملك بن مروان ولي الخلافة سنة خمس ومائة لما مات أخوه يزيد بن عبد الملك بعهد منه . كان بالرصافة فجاءته بشرى الخلافة على البريد فركب من ساعته وسار الى دمشق وبويع فيها بالخلافة وكان متمنماً . قالوا لم يكن في بني مروان أعطر ولا ألبس من هشام . يقال انه خرج حاجاً فتحملوا ثيابه على ستمائة جمل

كان محباً للعمران . مستجداً في أدوات الزينة . متباهياً في تربية الخيل . متباهياً بها وهو الذي أقام الحلبة وجمع فيها أربعة آلاف فرس . قال المسعودي « وذلك ما لم يتفق لاحد من الناس لا جاهلية ولا اسلاماً »

ولع بجودة السلاح وعدد الحرب ولاماتها . شغف باصطناع الرجال وتقوية الثغور وهو الذي شاد المعادل صيانة للبلاد واتخذ الفنى والبرك بطريق مكة وغيرها رحمة بالعباد

كان حازماً سديد الرأي غزير العقل عالماً بالسياسة . قال الهيثم بن عدى والمدائني وغيرهما ان السواس من بني أمية ثلاثة : معاوية رضى الله عنه وعبد الملك وهشام

اشتدت في أيامه الدعوة لبني العباس وثار روح العصيان في الاحزاب المرشحة للخلافة واستعرت حروب أخرى وقوى الله المسلمين عليها فانتهصروا وغنموا أشياء كثيرة . وفاز عسكر أسد بن عبد الله القسرى في غزواته وقتل خاقان الترك ودخل بلاد فرغان وخوقند بعد التعب والنصب والجهد الجهد وقتل الكثير وغزا عامله أيضاً نصر بن سيار بلاد « ماوراء النهر »

ففتح وغنم منها خيراً عظيماً

فتحت في أيامه قيصرية الروم بالسيف وغيرها على يد «البطال»
الشجاع المشهور وغزا مروان بن محمد بن مروان عامل الجزيرة وأرمينية
(بلاد صاحب السرير) ورتب عليه الجزيرة

تولى الخلافة والفتن ببلاد المغرب على قدم وساق منتشرة في أرجاء
البلاد وكان البربر قتلوا عامله بشر بن صفوان فولى عليها بعده عبيدة بن
عبد الرحمن السلمي ثم رأى أنه ليس برجل زمنه فولى مكانه عبيد الله بن
الحجاب وكان رئيساً نبيلاً وأميراً جليلاً وخطيباً مصقفاً فاستعمل على
الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

كان عبد الرحمن هذا من أصحاب الهمم العالية فتقدم للغزو في بلاد
(الغالة) ^(١) وانتصر في غزوات كثيرة رجع منها منصوراً غانماً وتقدم
حتى وصل إلى مدينة (بردال) أو (برديل) ^(٢) بفرنسا ودخل كثير
من تلك البلاد في الاسلام وعزم على فتح بقية بلاد (الغالة) فقطع جبال
(البرانات) ^(٣) وفتح الحصون والمدن وامتدت عساكر الاسلام في بلاد
(إكيتانية) و (بورغونية)

دعم (الغاليين) ماديهم من هذه الجيوش الجرارة واشتد بهم ما حل
بالبلاد من الخراب والدمار فانتخبوا فارساً منهم يقال له (كرلوس) من حاشية

(١) الغالة القبائل الأصلية الفرنسية

(٢) (بردال) هي بورديو الفرنسية المعروفة

(٣) البرانات هي جبال في الشمال الشرقي للاندلس معتبرة الآن حداً بين إسبانيا

وفرنسا وتعرف بجبال البيرينيه

الملك كان مقداما ذا دهاء وفطنة محبوبا عند أصحابه وهو المسمى في كتب العرب (قارله) وعند الفرنج (شارل مارتيل) . جمع الالهالى وأمرهم أن لا يعترضوا العرب ولا يعارضوهم ولا يخاطروا بأنفسهم وخطب فيهم خطبة لو وجدت لها من العرب والمسلمين في ذلك الوقت اذنا صاغية لكانت ثمنا لكل ما خسرته الامة الاسلامية للآن

خطب في قومه بما معناه : « الراى عندي ان لا تعترضوا العرب فانهم كالسيل المنحدر يجرف ما يصادره وانهم في اقبال أمرهم عقدوا نيتهم وجمعوا أمرهم فأصبح الرجل منهم يغنى عن كثرة العدد . واتحدت قلوبهم فصارت أشد من حصانة الدروع . فأمهلوهم حتى تمتلئ الايدى من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرئاسة ويستعين بعضهم على بعض فاذا كان ذلك فانكم تتمكنون منهم بأيسر ما يكون

كانما كان منطقه موكلا ببلاء ظهور الفتنة التى طرأت بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب والمصرية واليمانية واستعان المسلمون على بعضهم ببعض بل على بعضهم بمن يجاورهم من الاعداء
نظر هذا الرجل الحكيم فرأى أن الخصال التى تحيط الامة بالكوارث (كالترف والاسراف والتبذير والانفاس فى النعيم الذى أباد الامم والحضارة التى تؤدى الى فقد العادات الشريفة وتعين على الاضطراب وتفريق القوى الجامعة وقطع الصلة وتجديد الخصومات والحسد الذى هو مقام الحدود الحاجزة بين النفوس وبعضها) حائمة بين جيوش العرب وجموع المسلمين فقال اصبروا حتى تم ويتم له بالحيلة ما لم يتم بالحرب والقوة
فلما لم يحترز المسلمون من تدرج خصال السوء بينهم وساروا بحسب

أهوائهم ولم يقتدروا على تقويم المعوج اصلاح الخلل ومداواة العلل والظهور
بمظهر الترقى الذي أتوا فيه بالعجب العجيب وثبت له انهم فارقوا أدب الدين
فاجأهم هذا القائد بغتة وحاربهم بتفرقهم . باختلاف كلمتهم . بسوء رأيهم
باضاعة حزمهم وحرمة دينهم

جمع شارل جنوده مع ما انضم اليهم من جنود جرمانيا التي باتت
مهدة بما وقع لجارتها (فرنسا) وتقابل بجيشه مع العرب بين مدينتي
(طور وواتيه) بغتة فتلاق الجيشان بل اشتبك الشرق والغرب وتحاربا
سبعة أيام انجالت فيها الحال عن هزيمة العرب وقتل عبدالرحمن وانتشر خبر
هذا الانتصار في كل أوروبا فتهللت الوجوه واطمأنت القلوب وقطع هذا
الانكسار على العرب فتح فرنسا الذي كانت تفكر فيه زمنا طويلا
فعلت أوروبا مع هذا القائد خلافا لما كان ينبغي أن يعمل مع أمثاله فان
انتصاراته كما قال صاحب (ألف ليلة) مما يكتب (بالابر على آفاق البصر)
ولكن حالة جهلها في ذلك الوقت وبلوغها في الظلم والجهل مبلغا لا يقدر
قدر عليها ان كارلوس هذا صاحب الدهاء والسياسة لم ينل شكرا على عمله
بل حكموا عليه بالهلاك واهانوا اولاده من بعده لانه استخدم في هذه
الحرب أموال الاساقفة والكهنة (فتأمل)

(عود) ومن فضائل هشام انه كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد
أربعون انه قد أخذ من حقه وأعطى منه كل ذى حق

وبنى في عهده جامع الزيتونة بتونس وهي دار العلم بها الآن (أدامه
الله كذلك) وهو الذي أقام بها (دار صناعة) (١) لانشاء المراكب الحربية

(١) دار صناعة (أى ترسخانة) المستعملة الآن وهي محرفة من تلك

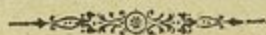
وتم ذلك وغزت المراكب جزيرة صقلية وضرب على أهلها الجزية
 ذهبت جنوده غازية الى الجنوب حتى جاوزوا السوس الأقصى ودخلوا
 بلاد السودان ورجعوا منها بالغنائم الوفرة . وهو الذي بنى الرصافة وابتنى فيها
 قصراً وزاد في عمراتها وحضارتها

ظهرت في عهده بدعة الخارجية في البربر وتلقفها رؤوسهم عن عرب
 العراق الساقطين الى المغرب . نزعوا بها الى الاطراف داعين أغمار الامم اليها
 عسى أن تكون لهم دولة فاستحكمت صبغتها في طعام البربر ووشجت فيهم
 عروقها فكان ذلك من أقوى البواعث والاسباب في خرق حجاب الهيبة
 على الخلفاء وانتقاض البربر على العرب ومزاحمتهم لهم في سلطانهم ولما بلغ
 الخبر بذلك الى الخليفة هشام عزل عبيد الله عن المغرب وكتب اليه بالقدوم
 وعين كلثوم بن عياض ووجه معه جيشاً كثيفاً لقتال الخوارج يبلغ ٨٠ ألفاً
 من المقاتلين وبعد قتال شديد مع البربر هزم جيش الخليفة وتفرق أيدي
 سببا فقامت القيامة ووجه حنظلة بن صفوان الكلبي والياً على المغرب
 والتقى مع العصاة بظاهر القيروان بمكان يدعى الاصنام فهزمهم بعد قتال
 أبلى فيه بلاء حسناً وكتب الى الخليفة بذلك ففرح فرحاً شديداً ثم ولى
 حنظلة بن الخطر حسام بن ضرار الكلبي من قبله والياً على الاندلس فاستقام
 له بها الامر حيناً من الدهر ولم يزل حنظلة على المغرب في أحسن حال الى
 أن تطرق الخلل الى الخلافة بالشرق وخفت صوتهما لما حدث في بني أمية
 من فتنة لوليد وما كان من أمر الشيعة مع مروان آخر خلفائهم والله أعلم
 يرى القارىء أن بلية الامة الاسلامية في هذا العهد من أبناء جنسها
 وملتأشد من بليتها من أعدائها . مؤن الجيوش المقاتلة التي جهزها هشام

لقتال رعاياه الخارجة عليه أكثر مما جهزه لفتح البلاد المناوية له ولا شك ان الاستظهار على الخليفة ومقاتلة جموعه وجيوشه لا يكون الا من فساد القلوب والنيات ومفارقة أدب الدين من أمثال هذه العصائب الخارجة قلنا ولا نزال نقول ان الصبغة الدينية تذهب بالتحاسد والتنافس وتفرّد الوجهة الى الحق والاستبصار بالامور والتساوى في الطلب والاستماتة على العهد . تقنى في جانبها الاغراض المتباينة ويمحق الباطل ويخذل وذلك من شدة تقوى القلوب وسلامة الصدور ونقاوتها ولذلك لم يقف للعرب في أول أمرهم أحد ولم يغلبوا على ما بأيديهم لان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم

لاتجد ضعفاً في دولة الاسلام إلا وسببه فساد العقيدة . يدخل هذا الفساد بين العصابة وكان سعيها واحداً في الذب عن الحوزة بأقصى مرامى العز والصولة فما تلبث الا وقد فشل ريجها ورئمت للمذلة والاستعباد ثم يتمادى هذا الطغيان حتي تكثر ألوان الشر والسفسفة وتذهب خلال البر والخير

ان الذي يريد بالملة الاسلامية خيراً لا يدعوها لشيء من العمل قبل رجوعها الى أدب الدين فانه علاج لهذه الامراض المزمنة وهو الذي يرد الشيء الى جنسه وصنفيه ويخلع عليه مقدار عظمتة وقوته فن لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله



✽ الأمير موسى بن نصير ومولاه الفاتح طارق بن زياد ✽

الأمير موسى بن نصير هو مولى عبد العزيز عم الوليد بن عبد الملك .
كان والده نصير على جيوش معاوية رضى الله عنه ويقال انه بكرى من
بكر بن وائل . ويقال انه لحى

كانت ولادته فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ويقال
انه تجهز مع أم البنين حين ابنتى بها الوليد فأمنت . كانه عنده الى ان بلغ ما
بلغ برأيه وإقدام مولاه طارق بن زياد

كان موسى بن نصير رجلا عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا تولى أفريقيا
وغزا الغزوات العديدة فلم ينهزم له جيش قط وكان كثير المغنم حتى قالوا لم
يسمع فى الاسلام بمثل سياياه قط وكان طارق مولاه هماما مدبرا مقداما
يحمل على مناوياه برويته وتدييره فيفل من عزمه ويبيد من قوته

هما من أشد قوادم أجنحة دولة بنى أمية التى طارت بها الى الفتوحات
العظيمة شرقا وغربا يليق بهما أن يشاطرا الخلفاء (الوليد وسليمان وهشام)
الشهرة ورفعة الصيت والتقدم العصرى . فانما الدولة برجالها

هما هما اللذان امتدت بعنايتهما سطوة الاسلام فى أفريقيا وشهرته
فى المغرب . وفيما فتح الله من بلاد الاندلس يكفى للدلالة على فضلها
ان الأمير موسى بن نصير ماولى أفريقية فى سنة سبع وثمانين حتى
أخذ فى رتق الفتق ولم الشعث وأصبح ما خلف مصر الى البحر المحيط
بين برى البربر والاندلس تحت تحدنه ينظم أحوالها ويؤسس نظامها ويقيم
قسطاس العدل بين أهلها وينير نبراس الحق فيها حتى أحبه الناس وآثروه
على أرواحهم وافتدوه بها

وان طارق بن زياد بنى بفتوحه خليفته من المجد المشيد والذكر المخلد
مالا يبلغه الليل والنهار ولا تعفى جديده الاعصار

جمعنا سيرتهما فى هذه السطور من غير افراد لانه لا تفرق بين عن
شمال وإن كنا ألعنا بشيء من تاريخهما فيما سبق من ذكر خلفائهما

تقدم الامير موسى بن نصير الى مدينة سبته بعد تمهيده الامر مع
صاحبها (جوليان) الغوطى فصانعه بالهدايا حتى اذ عنه للجزية ثم أقره
عليها واسترهن ابنه وابناء قومه على الطاعة فما رأى بقية البربر ذلك حتى
استأمنوا جميعاً لموسى فقبل منهم

ثم نظر نظرة فى أمر بلاد الاندلس فأدرك عظمتها وفكر فى فتحها
وأوما به الى مولاه طارق بن زياد فما هو الا ان خاضها بالسرايا وعلم عورتها
وفروج ثغورها وتعاريج شطوطها وطالعها بها فجهزه وأمره بفتحها فعبه
الاندلس بثلاثمائة عربى واثني عشر ألفاً من البربر من سبته الى الجزيرة
الخضراء فجمع ، رودريك ، أكبر دولته وشاورهم واستقر رأى القوم على
محاربة العرب فلا قوم فى مائة ألف نفس فهزموهم ودخلوا البلاد

يقول قوم ان السبب فى هذا الانتصار حقد (جوليان) الغوطى
صاحب سبته على (رودريك) ملك الغوط لانه غشى ابنة له على غير حل
مستكرها لها غير ان هذا لا يقوله عارف بالخبر . والغالب ان هذه الدعوى
فرية مفتر لان فتوحات العرب توالى وتمددت ولا يمكن ان يحتمل لكل
فتح جليل فتح جميل . وماذا الذى يظن القائل بهذه الفرية ان يبلغه (جوليان)
بالعرب من الخير أو الشر . هب انه بين لهم مداخل عدوهم وأرشدهم الى
مكائنه وأظهر لهم عورات جيشه فماذا يفيدهم والعرب عشرة آلاف نفس

تقابل مائة ألف أو يزيدون وهم في بلادهم يصدون عدوهم عنهم
ان الذي بلغ بأمة العرب ما بلغ هو اليأس الذي يدفع الانسان الى
كل عمل كما في هذه الحادثة . أو شدة الاستمساك بالدين والتحقيق بمآذخره
الله للمجاهدين كما وقع في حرب فارس وملوك الهند وخاقانات الترك وغيرهم
من الاقاصرة والاكاسرة الذين هم أشد منها بأساً وأكثر عدداً
ان اليأس من أشد العوامل في النفس حتى قال حكيم من حكماء
اليونان « اذا كان لك عدو فلا تيئسه لانه يفعل بك ما يشاء »

رأى طارق بن زياد جيوش « رودريك » وانتظامهم وحسن ملابسهم
وكمال عدتهم ووفرة عددهم وجودة سلاحهم وما على رؤوسهم من الخوذ
وعلى أجسامهم من لامات الحديد السابغة فبالله الامر وخاف على جيشه
القليل فأراد أن يئسه ويقطع عن قومه كل أمل في العودة فأمر بالسفن
فحرق ثم قام بينهم خطيباً

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أيها الناس أين المفر ؟
البحر وراءكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر
واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللثام .
وقد استقبلكم أهل البلاد بجيشهم وأساحتهم وأقواتهم موفورة وأنتم
لاوزر لكم الا سيوفكم ولا أقوت لكم الا ما تستخلصونه من أيديهم
وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً فشلتكم وذبح
ويحكم واستعاضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن
أنفسكم خذلان هذه الفاقة بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقى به اليكم
مدينته الحصينة وان انتهز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم

بالموت . واني لم أذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطاة أُرخص
متاع فيها النفوس ولم أبدأ فيها بنفسى واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق
قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما
حظكم فيه بأقوى من حظى . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين
من الابطال عربانا ورضيكم للملك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ثقة منه
بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال ليكون حفظه منكم ثواب
الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصاً لكم
من دونه ومن المؤمنين سواكم والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون
لكم ذكراً فى الدارين

واعلموا انى أول مجيب الى مادعوتكم اليه وانى عند ملتقى الجمعين
حامل بنفسى على (الزريق) كبير القوم فقاتله ان شاء الله فاحملوا معى فان
هلكتم بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم لبطل عاقل تكلون أموركم
الاهوان هلكتم قبل وصولى اليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه واحملوا بأنفسكم
عليه . واكتفوا القوم بقتله فانهم بعده يخذلون »

ثم حمل وفتحت البلاد وكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت
فى ظهور الملة الحنيفية واعلاء الكلمة الاسلامية

التقى مع جيوش (الغوط) ودارت رحى الحرب ساعة انقضت فيها
ابطال العرب وكانوا ثلاثمائة على صناديد البربر وكانوا عشرة آلاف فبددوا
شمل جيش (الغوط) وترك (رودريك) مركبته وكانت من العاج الناصع
ولم يعلم أين ذهب .

وجد طارق ان هذا النصر المبين فرق عسكر (رودريك) وأهلكه .

وبدده وأصبح الشعب في وجل عظيم فبعث رجاله وافتتح « قرطبة » بعد حصارها ثلاثة أشهر « وطليطلة » بعد حصارها والتضييق عليها وعقد مع أهلها صاهجاً أباح فيه حرية الخروج لمن أراد من السكان وترك لاهل الكتاب كنائسهم وبيعهم وفتحهم بحرية دينهم. وبشرائعهم وأبقى لهم قضائهم ثم تقدم نحو الشمال وفتح مامر به من المدن بجهات « قسطلية » وما زال سائراً حتي وصل في مسيره الى جبال أسطوريا أي بعد مسافة سبعمائة ميل من الجبل المدعو باسمه ووقف عند مدينة جيغون قرب خليج باسكاليا حيث الاقيانوس ورجع من هناك الى توليد ليلتي بالامير موسى بن نصير جاء الامير موسى وألقى العصي وسار مسكره الضخم يكمل ما ابتدأه طارق ويوفق للناس ما عاهدوه عليه حتى صفا القطر وطمن نفوس من أقام على سلمه ووطأ لأقدام المسلمين في الحلول به

أخذ الامير موسى بناء على اشارة « جوليان » في محاربة بعض الغوط الذين لم يخضعهم طارق فتقدم طارق وتبعه الامير بعسكره وسار الى (غديانة) وحصرها وأعجب بأعمال الرومان فيها كالجسر ومصانع المياه وأبنية الملاعب الموجودة في « لستيانة » ثم فتحت « سرقسطة » واتصل الرعب بأهالي البلاد وأدى ما دهمتهم به جيوش المسلمين الى ان هذين الفاتحين صاروا لا يمران بموضع الافتحت لهما أبوابه حتى انتهوا الى وادي (ردونه) ودوخ جيش طارق وسراياه البلاد التي لم تخضع لسلطانة

كان الامير موسى بن نصير مع تقدمه في السن وما علاه من وخط الشيب مقداما يعشق المجد ويصبو لافتتاح البلاد حازما عاقلا ذا سياسة جليلا. كان في نيته ان يتقدم فيفتح بلاد فرنسا (المعروفة ببلاد الغالة)

وايطاليا المعروفة ببلاد (النيباردو) ثم يمر بجانب (جرمانيا) الى (هونكاري)
الى الاستانة الى آسيا الصغرى ويصل لمقر الخلافة

لم يكن بين هذه الصروح على الهواء لان سطوته في هذا الوقت
كانت امتدت الى أعماق القلوب وعدوى الخوف والفرع من جيوش العرب
عمت جميع أولئك السكان وسرت من بلد الى بلد ولكن أناه رسول الوليد
بأمره بالحضور وكان قد فتح جميع البلاد ولم يبق في الاندلس بلد لم تدخله
العرب الا « جليقة »

أطاع هذا الفاتح أمر خليفته وترك ما بيده وأبى أمره بعد ما ملك
بلاداً مثل بلاد الاندلس وألقى بينه وبين مقر الخلافة البحر الزخار وأصبح
في ملك لا تناله الاقدام والحوافر الا بشق النفس
ترك بلاداً هو مفترعها ورجالا هو مستملكهم لا يعرفون غير خيره ولا
يخافون غير شره وفي يده من الذخائر والاعلاق والاموال والمعاقل والرجال
مالوا أظهر الامتناع به لنال المرام . فتأمل لمثل هذا الاخلاص . وتحدث
بمثل هذه الطاعة

سار الامير موسى الى مقر الخلافة وولى ابنه عبدالعزیز على بلاد
الاندلس وهو أول من اتخذ له سرير ملك فيها وكان بأشبيلية . لان طارق
والامير موسى لم يتخذوا سرايرا للسلطنة فيها

عقد عبدالعزیز لاربعة خلت من شهر رجب من السنة الرابعة والتسعين
من الهجرة بحضور أربعة شهود من المسلمين عهدة صلح مع الامير
(طودميرس) على المدن السبع التي كانت له بأن يعطي (لطودميرس) الامان
ولا يعارضه في عمله ولا يعتدي عليه في ماله ونفسه وعرضه وأولاده

وكئنائسه على أن يسلم له المدن السبع وأن لا يقبل ولا يساعد أعداء الخليفة
ولا يكتنم من نيتهم شيئاً وأن يدفع في كل سنة عنه وعن كل رجل من
(الغوط) ديناراً واحداً وأربعة كيلات حنطة ومثلها شعيراً وقدرأ من
الزيت والعسل وأتباعهم نصف ذلك

ثم أخذت البلاد في النمو وسمح الامير موسى وطارق لاختهما العرب
في أفريقيا ومصر بالانتقال فانتقلوا الى (لسبون) و (موركة) وفي أقل من
قرن واحد بلغت واردات البلاد من الزراعة والتجارة والصناعة ما لا يبدأ
فضلاً عن الجبايات وأموال الفتوحات

قدر ال عرفان ان ما كان يجبي من الاندلس في ذلك الوقت يعدل
مداخيل أوروبا وهذا النمو انما هو من نتائج الحرية وعدم التعرض لاحد
في ماله وعرضه ونفسه وقد أيقظ اجتهاد العرب بعد فتح تلك البلاد
كثيرين الى العلوم والصنائع وظهر فضل أولى النباهة والذكاء وأحب أهل
اسبانيا العرب فأخوهم وارتفعت الخلافات من بينهم حتى كانوا يختننون
مثل العرب ويمتنعون عن المحرمات المحرمة عندهم فدعاهم من شذ عنهم من
المجوس (مازارابي) أي انصاف عرب

رزق الله بنى أمية بالفاتحين من الخلفاء وباخيرة من القواد في تلك
الازمان امتد حكمهم مسافة مائتي يوم من المشرق الى المغرب وكانت آي
القرآن تقرأ في سمرقند كما تتلى في قرطبة ويتلاقى الهندي مع السوداني
في مكة للحج وكلاهما يدين لبني أمية. وظهرت على كل الممالك قدرة وغنى.
وكانت كلمة الدولة نافذة في ثلاثة أقسام من الارض : آسيا وأفريقيا وأوروبا
ملكوا من برارى جبل الطور الى قفار ما وراء النهر ومن وادى كشمير

الى منحدر جبل (طوروس) على البحر الابيض وأطراف الاناضول وسائر
 مملكة الالكسرة وماجزت عنه الالكسرة . ومن الجزر قبرص واقريطش
 ورودس وجزائر بلياره وشمال افريقيا والبلاد الممتدة من بوغاز جبل طارق
 الى برزخ السويس . وقسموا سواحل البحر الابيض الى حكومتين
 احدهما بالمغرب تشتمل على الاقاليم القديمة اليونانية والاخرى بالشرق
 وهى عمالة مصر وبرقة البحرية . وأخذت الجزية التى قررها سيدنا عمرو
 ابن العاص من بلاد النوبة . كما أخذت من الهند والصين كما قدرها مسلم
 ابن قتيبة الباهلى . وكل ذلك على قواعد العدل وقسطاس الحق حتى صارت
 دمشق فى نظر المسلمين كأنما هى روميا فى نظر المسيحيين

كانت دمشق ثانى مقر للخلافة الاسلامية بعد المدينة المنورة . وكما
 كانت تنبئ على البلدان بمباهمها وأشجارها ورياحينها كذلك كانت تعتبر
 بعمق الخلافة فيها

ففيها بقية آثار الملوك الكنعانيين والروم وآل جفنة من العز والعمارة
 فكانت زينة الدنيا وأهلها أحسن الناس خلقاً وخلقاً جمعت بين العمال
 والمجان والزهاد وفيها لكل شئ من ذلك سبب

وجامع الوليد المعروف بالجامع الاموى قائم فيها وهو أنفرد بآثار ملوك بني أمية
 الى غير لطائف البلاد الطبيعية ومحاسنها الوهبية التى لا يحصىها لسان
 ولا يصفها بيان

هذا وقد كدنا أن نخرج بهذه الاوصاف وغيرها عن معنى الترجمة
 التى قصدناها وانما أردنا أن نبين للقارىء كيف كان مقام الخلافة فى الشام
 الى عهد هشام

صحيفة

- ٥ فاتحة الكتاب
- ٩ مقدمة المؤلف
- ١٧ سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
- ٦٠ شمائله صلى الله عليه وسلم
- ٦٤ كلمات من حكم رسول الله
- ٦٧ تأثير دعوته صلى الله عليه وسلم
- ٧٤ سيرة أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٩٢ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ١٠٦ سيدنا عثمان بن عفان
- ١٢٠ سيدنا علي بن أبي طالب
- ١٢٦ العهد الذي أمر به سيدنا علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر
- ١٥١ سيدنا الحسن
- ١٥٦ سيدنا عمرو بن العاص
- ١٦٣ سيدنا معاوية
- ١٧٢ الوليد بن عبد الملك
- ١٨٠ سليمان بن عبد الملك
- ١٨٥ عمر بن عبد العزيز
- ١٩٤ هشام بن عبد الملك
- ٢٠٠ الأمير موسى بن نصير ومولاه الفاتح طارق بن زياد

حجرات الإسلام

— ❦ — نالفت — ❦ —

المرحوم مصطفى بك نجيب

— ❦ — الجزء الثاني — ❦ —

(الطبعة الثانية على نفقة)



صاحب المكتبة الأستاذ

بمصر بالسكة الجديدة

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

❦ نبذة تاريخية ❦

قد أتينا في الجزء الاول من (حماة الاسلام) على ذكر شيء يسير من سيرة بعض ساداتنا خلفاء بني أمية وبني مروان وخبر بعض قوادها ورأينا الآن أن ننتقل لسيرة بعض ساداتنا خلفاء بني العباس وقوادهم أيضاً وما ذلك عن قلة ولا سامة وانما رغبة في الانتقال بالقارىء من عهد الى عهد ومن مقصد الى مقصد لتحصل البركة من كل جانب ونلم بأعمال حماة الاسلام في كل صقع وناحية ليكون هذا العمل من جهة الدلالة على الخير الذي فعلوه فذلك لهم

ان الدولة الأموية أجل قدراً من أن تنحصر أخبار خلفائها وساستها في هذا العدد اليسير أو يسع أخبارها مثل هذه السوانح . فها هذا وأمثاله الا غيض من فيض

وقد حدثتنا النفس أن نجعل بين تراجم ساداتنا خلفاء بني أمية وساداتنا خلفاء بني العباس نبذة تاريخية (وهي هذه) نبين فيها انتقال الدولة ثم نلحقها بترجمة أنى مسلم الخراساني صاحب الدعوة لبني العباس فان كنا أصبنا فيما فعلنا فله الحمد وان كنا أخطأنا فبيت الخطأ ومعدته

قال الله سبحانه وتعالى « وتلك الايام نداؤها بين الناس » وقال الحكيم وقد عزى بعض من خرجت عنه مملكته : « لو بقيت لغيرك لما وصلت اليك » .

دالت الدولة للعباسيين فاذا هي من كبار الدول وأعظمها في الدهاء والتحليل . ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فأطاعها الصالحاء تدينًا والباغون رغبة أو رهبة واستمرت الخلافة والملك نحوًا من ستة قرون استقبلت فيها عظام الامور وطرأت عليها دول كدولة بني بويه وفعلها عضد الدولة فناخسرو ودولة بني سلجوق وكبشهاطغريلك . ودولة خوارزمشاه وفيها مثل علاء الدين الذي اشتملت جريدة عسكره على أربعمئة ألف مقاتل . ودولة الفاطميين بمصر وعسكرهم لم يرأ كثف منه . فضلا عن الخوارج والجموع الذين لم تبلغ استطاعتهم مناصبة عزة الملك ومعاندته وجدع أنفهم الشامخ عن متابعة الاستكبار بأقل الاذى وأقل السخط كل هذا لم يقو على ازالة ملكهم ولا محو أثرهم بل كان الملك من هؤلاء يجمع ويحشر ويقبل بالعسكر الجرار والحميس العظيم حتى يصل بغداد فاذا وصل التمس الحضور فان أذن له قبل الارض بين يدي الخليفة وقصارى متمناه أن يوليه عملا أو يعقد له لواء أو يخلع عليه خلعة كانت لهم في نفوس الناس منزلة لا تدانيها منزلة أبداً حتى ان السلطان « هولاكو » لما فتح بغداد وأراد قتل الخليفة أبي أحمد المستعصم ألقوا في سمعه انه متى قتل الخليفة اختل النظام في العالم فاحتجبت الشمس وامتنع القطر .

أتت لها هذه العظمة وأصبح لها ذلك الاعتبار في النفوس بما روى

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه كان يجرى على لفظه الشريف ما معناه (البشارة بدولة هاشمية) وزعم قوم انه قال لعمه العباس رضى الله عنه (انها تكون في ولدك)

كانت النفوس متطلعة لهذه الدولة ينتظرونها صباح مساء يظنون فيها الخير أكثر مما كانوا فيه . فكان فيهم عطف عليها وحنان لها دولة كثيرة المحاسن حجة المكارم قامت فيها أسواق العلوم ونفقت فيها بضائع الادب وعظمت فيها شعائر الدين ودرت عليها الدنيا بخيرها وروعت فيها الحرمات وحصنت الثغور . كانت الدولة مستمسكة بالدين كما كان على عهد الخلفاء يحاسبون أنفسهم وينكر بعضهم على بعض اذا أخل بالعدل والمساواة ويحكمون بالشرعية ويتأدبون بأدابها بلغت حضارة الاسلام في دار السلام مبلغاً يندر مثله فأين التفت وجدت جمالا وانى نظرت رأيت مهابة وجلالا . أبهة ملوك ودعة زهاد ورخاء بال وارتقاء حال وانغماسا في طيبات العيش والتصرف الواسع في التجارة وجمع ظرائف الدنيا وتحري العدل في كل ذلك باحكامه وأخذ الرعية بالحلم الواسع والسياسة بالكياسة

اجتمعت العلماء والادباء والامراء والندماء بابواب الخلفاء وعلى الاخص الرشيد الذي ألبس الدنيا جمالا وخلع عليها جلالا بملكه الذي لم يسمع عن أحد من الملوك

تسامت فيها الدور والقصور بالبهاء والرفعة وبنيت فيها المنازل الرحبة المزخرفة والاسواق والمرافق والمكاتب واتصل تعداد النفوس ببغداد لمقدار لم يكن نصفه في مدينة من العالم

قصدهم الناس وطمعت في انفجار مكارمهم اخلق حتى صار يضرب
بهم المثل في سعة العطاء وكان مع ذلك بيت المال في عمران تشتمل خزائنه
على العين والورق والامتعة والكساي والغلات وغير ذلك . والامة بالغة
مبلغها في العلم والادب والصناعة

انتهى العز والرفاه بأهل الامر والجاه الى أقصى غايته حتى اتخذت
الابر للجواري من الذهب وصاغوا المسامير التي تدق في مجالسهم لتعليق
المناديل من الذهب " وكسيت حيطان منازلهم بالوشى وتأفقوا في جميع
أدوات الزينة والمباهاة بها كالخيل والسلاح والأواني والجواهر والعلمان
والقيان وجميع طيبات الزمان حتى ضرب المثل بهم في الآفاق وجلبوا الى
بساتينهم طيبات الزهور من الهند والرياحين من الصين واتخذوا مقاعدهم
على حالات غريبة فتراها في الشتاء كنا كميننا وفي الحر ما بين الماء المتدفق
غزارة من السقوف والحيطان والنابع من الارض والمتفجر من جوانب
المكان وكل ذلك في أفواه صور كصور السباع والثعابين وما شابه ذلك
وقد علقت المراوح في سقوف المكان ووضعت الحبال التي تجر بها من
الخارج فاذا حركت هب النسيم فترطبت الاجسام ولذ المنام

لما أراد الله قيام هذه الدولة نما الشر وخلقت أسبابه وكثر الهرج
والمرج وفتح بابه وثارت الفتن واضطرب الحبل واختلفت الكلمة فظهر
أبو مسلم بدعوة بني العباس واجتمع عليه كل من له في ذلك رأى من
أهل خراسان .

(١) لعل مثلها مثل الآلة الغربية المستعملة الآن لوضع الملابس عليها المسماة

في لغتهم (بورت مانتو)

انظر للبلاد وما كانت عليه . كان أهل الحجاز قليلين وأهل البصرة والكوفة وتلك الحوالى منحرفين عن الوحدة في نظر الناس لخذلانهم وغدرهم في سوابق ما جرى منهم ولم يبق الا مصر والشام مع دولة بني أمية ظهر أبو مسلم الخراساني ومعه أصحاب الرايات السود وحارب عسكر مروان تحت قيادة نصر بن سيار وهزمه

يعجب الانسان لهذه القلوب كيف سخرها الله لتنفيذ قضائه "المعادل وابرار مكنون حكمته في خاتمه . يقوم أبو مسلم بهذه الجيوش يبذلون المهج وينفقون الاموال ويجبون الخراج وينادون باسم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو في المسجد لا يفارقه وأهل خراسان لا يفرقون بين اسمه وشخصه وهو لا يدخل أيضاً في شيء من هذا فلا ينفق عليهم ولا يعطى أحدهم سلاحاً وهم يحملون اليه الخراج

ثم قدر الله أن يقتل هذا الامام الذي قامت باسمه هذه الدعوة كأنما فرغ من عمله وكأنما هو لا يصح أن يكون الاممقدمة لغيره

خاف أخواه السفاح والمنصور وجماعة من أقاربهم فهربوا وقصدوا الكوفة ونزلوا داراً أخلاها لهم أبو سامة حفص بن سليمان الخلال من كبار الشيعة فدخلوها مع أتباعهم وكنتموا سرهم واجتمعت الشيعة بهم وقويت شوكتهم

قصد أبو مسلم دار الخلال وفيها السفاح والمنصور فقال أيكم ابن الحارثية ؟ قال المنصور هذا وأشار الى السفاح وكانت أمه حارثية فسلم عليه بالخلافة ثم خرج السفاح ومعه إخوته وعمومته وأقاربه وأكابر الشيعة وأبو مسلم بين يديه الى الجامع فصلى وصعد المنبر وأظهر الدعوة وخطب الناس

وبويع له بالخلافة سنة ١٣٢

ثم سلب الله ما كان لمروان آخر خلفاء بني أمية من الصولة والقدرة حتى عصته العسكر ونا بذته قواده وكان جيشه فوق المائة ألف فلم يغن عنه شيئاً وتولى أمره الخذلان حتى انهزم وهرب وقتل في قرية أبي صير من قرى الغربية على الشاطئ الغربي للنيل الشرقى وهو آخر الخلفاء في هذه الدولة ولا بد لنا قبل ختم هذه السطور من ذكر شيء حفظه التاريخ لهذه الخلافة . وهو ان بني أمية وان كانوا أعطوا الملك حقه من الفتوح والتغلب والعدل في القضاء وحفظ الامن والراحة (وانى لنا بمثل تلك الايام) فان الفوضى العلمية التي ظهرت في أواخر دولتهم والاحاديث التي وضعت مختلفة على الرسول صلى الله عليه وسلم فرقت الامة الى مذاهب مختلفة كالخوارج والمعتزلة والجبرية واخرجت الخلافة عن رتبها العلمية الدينية وأبعدتها عن حدها وعهدها وقام الملك أخيراً على العصبية فأنحرفت عن العدالة العامة والعلم الدينى وهما أقوى اركان الخلافة وانتشر التفرق في البلاد الاسلامية ولم يجمع القادة أمر الناس على عقيدة واحدة بل تركوهم مع هذا السيل الجارف لذلك تقوضت دعائم هذه الدولة وانقسمت الى خلافتين: خلافة عباسية في دار السلام وخلافة أموية في الاندلس قام بالاولى الامام السفاح وبالثانية الامام عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام الاموى الذي فر من السفاح ولجأ الى قبيلة زناته أعظم قبائل أفريقيا ونحن ذاكرون شيئاً من تاريخ خلفائها الذين هم خير خلفاء وناقلون سيرتهم الحسنة بعد الفراغ من تراجم من يعين عليه الله سبحانه وتعالى من الخلفاء العباسيين . والله أعلم

﴿ ترجمة أبي مسلم الخراساني ﴾

هو عبد الرحمن بن سالم وتسميه جماعة المؤرخين بصاحب دولة . أو صاحب دعوة بني العباس . أو صاحب الدولة العباسية أو بأمير آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

اختلفوا في نسبه فمن قائل انه عربي . ومن قائل انه عجمي . ومن قائل انه كردي . وقد قال هو عن نفسه « كفاك خبري عن نسي »

ترعرع أديباً . ونشأ لبياً . وكان يشار اليه في صغره لفرط ذكائه ووفور عقله

ولد في سنة مائة بأصبهان وكان أبوه قد أوصى به الى عيسى بن موسى السراج فحمله الى الكوفة وهو ابن سبع سنين ثم جمع بينه وبين ابراهيم الامام فأقام معه حتى بلغ أشده ثم قال له غير اسمك وكنيتك (وكان يسمى أباسحاق) فتسمى (بعبد الرحمن وتكنى بأبي مسلم) . زعموا ان الامام وجد لذلك شيئاً في الجفر وتحقق ان الامر لا يتم على يده الا بعد تغيير اسمه لعلامات رآها هو بها أعلم وأخبر

ولعله إذ قدم على الامام شاهد فيه عقلاً وذكاء ودهاء فأعجب به فعقله عنده حتى كان ما كان من قيامه بالدعوة له في خراسان

يشارك أبو مسلم مع جماعة من الذين طالت أعمالهم وقصرت أعمارهم فانه ولد سنة مائة والخليفة يومئذ سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر ودوخ فيها أهل الارض . وكان له يوم قتله المنصور ثلاث وثلاثون سنة فهو كالا سكندر الرومي صاحب الفتوحات

أو كائن المقفع حكيم الفرس والعرب . أو سيبويه شيخ العربية . أو أبي تمام أبي الشعراء . أو إبراهيم النظام أمير علم الكلام وغيرهم ممن لا يقطع العقل بجواز أن تكون أعمالهم القصيرة ظروفًا لأعمالهم الخطيرة التي دونت عنهم

كان أبو مسلم جميلًا قصيرًا أسمر حلوا نقي البشرة أحوار العين عريض الجبهة حسن اللحية وأفرها طويل الشعر طويل الظهر قصير الساق خافض الصوت فصيحًا بالعربية والفارسية حلو المنطق راوية للشعر عالما بالأمور لم يُرضحك ولا مازحًا إلا في وقته ولزومه ولا يكاد يغضب في شيء من أحواله . تاتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور وتنزل به الحوادث الجسام فلم ير مكتئبًا وإذا غضب لم يستفزه الغضب كثير الغيرة شديد البطش شجاعًا فاتك ذا عقل ورأى وحزم وتدير . كل هذه الخصال الجميلة والنعوت الشريفة هيأت هذا المقدام الهام لان تتعلق به دعوة بني العباس ويكون به إقامة دولتهم وابتداء دولة بني أمية

سئل أبو مسلم فقيل له بم نلت ما أنت فيه من التمهيد للاعداء فقال ارتديت الصبر وآثرت السكتمان وحالفت الاحزان والاشجان وسأحت المقادير والاحكام حتى بلغت غاية همتي وأدركت نهاية بغيتي »

ومما يدل على علو همته انه ورد حال الدعوى « نيسابور » ليلا على حمار وليس معه آدمي فقصده دار (الدهقان) فدق عليه الباب ففزع اصحابه وخرجوا اليه فقال لهم قولوا للدهقان ان أبا مسلم بالباب يطلب الف درهم ودابة فقالوا للدهقان فسألهم في أي زى وأي عدة هو ؟ فقالوا وحده في أدون زى فسكت ساعة ثم أمر له بما طلب . فلما ملك وفتحت نيسابور قيل

الله خذ ما تريد من مال (الدهقان) المجوسى فقال (ان له عند أبى مسلم
يدا) ثم اتته هداياه فردها ولم يتعرض بشئ له ولا لاتباعه
ومن نوادره انه كان يشتغل عند خراز بالكوفة فينما يخرز شيئاً
ورأى الناس يتعادون فقال ما الذى بهم قالوا فيل دخل الكوفة فقال وأنى
في دخل فيل الكوفة من العجب ؟ العجب فى قلب دولة وأقيم أخرى
بدأت الدعوة العباسية سنة اثنتين ومائة على ما استقصيناه وكان
أول ظهورها بخراسان (بلدة أبى مسلم) وكانما قارنها فى المولد لبشبا معاً
وينشأ سوية

اختلفوا فى أول من قدم خراسان . فمن قائل ان ميسرة وجه رسله
بالدعوة من العراق اليها . ثم وشى بهم عمرو بن بجير بن ورقاء السعدى .
الى سعيد حذينة عاملها . فقال ان هاهنا قوماً ظهر منهم كلام فى الخلافة
وأعلن بهم فسألوهم فقالوا نحن من التجار وان لنا فى أنفسنا وتجارتنا شغلا
عن هذا وجاءت أناس فكفلوهم فخلى سبيلهم

ومن قائل ان أول من دخل خراسان الدعاة الذين وجههم (بكير بن
ماهان) وفيهم أبو بكرمة . وأبو محمد الصادق وغيرهم سنة سبعة ومائة .
ومن قائل انهم دعاة (محمد بن على بن عبد الله بن عباس) . وفيهم زياد
أبو محمد مولى همدان . وقد اتفق أصحاب الروايتين ان ذلك وقع فى هذه
السنة وفى ولاية أسد على خراسان

أساء هؤلاء الدعاة سيرة بنى أمية واطعموا الطعام على حب بنى العباس
وصارت المناظرة فى تفضيل آل على وآل عباس حتى بلغ امرهم اسداً فاحضر
زياداً وقال له ما الذى بلغنى عنك قال الباطل . انما قدمت الى تجارة وفرقت

ملى على الناس . فاذا اجتمع خرجت . فأمره بالخروج فلم يخرج . وعاد الى امره يخاف منه اسد . واحضره وقتله بالسيف مع عشرة من اصحابه . قالوا ولما بلغ الخبر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال (الحمد لله الذى صدق دعوتهم ومقاتلهم وقد بقيت منهم قتلى ستقتل) ثم وجه (بكير بن ماهان) سنة ثمان عشرة ومائة عمار بن يزيد والياً على شيعة بنى العباس فنزل مرو وغير اسمه وتسمى (بخداش) ودعا الى (محمد بن عبد الله بن عباس) فسارع اليه القوم وأطاعوه ثم أباح لهم عدم الصلاة والصوم ودعاهم للفجور بنساء بعض . وقال ان ذلك بأمر محمد بن علي فظفر به أسد والى خراسان وسمل عينيه وقطع لسانه فبلغ ذلك محمد بن علي فترك مكاتبهم ومراسلتهم فبعثوا اليه سليمان بن كثير يعلمه امرهم فصرفه الى خراسان وأرسل معه كتاباً مختوماً ففضوه فلم ير فيه الا (بسم الله الرحمن الرحيم) فمظم عليهم ذلك وعلموا أنهم خالفوه . وبعث للنقباء أيضاً بعضى مضببة بعضها بحديد وبعضها بالنحاس وأخذ كل واحد من النقباء عصاً وهي اشارة لما كانوا عليه من مخالفته ورجوعهم لطاعته ^(١)

ثم جمعوا أمرهم وقاموا بالدعوة وابتدأ اضطراب جبل بنى أمية وهاجت عليهم الفتنة وخرج سليمان بن هشام بن عبد الملك من الحبس وأخذ ما كان بيمان من الاموال وأقبل الى دمشق يلعن الوليد ويرميه بالكفر ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة وهى أول سنة الاعمال الجسيمة توجه فيها سليمان بن كثير ومعه ابو مسلم وجماعة من الشيعة الى مكة

(١) العصى المضببة بالنحاس أو الحديد هى علامة النقيب للآن فى طرق

الصوفية ولعلها من هنا أخذت

والتقوا بإبراهيم الامام ودفموا اليه ما كانوا يحملون من المال والمتاع فكتب
كتابا لابي مسلم يأمره فيه بالعمل ووجهه الخراساني وعمره اذ ذاك نحو
من اربع وعشرين سنة . قال في كتابه للاصحاب والشيعة

أما بعد فاني قد أمرت عليكم أبا مسلم فاسمعوا له وأطيعوا
أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك . فكبر على شيوخ الشيعة
قبول أمرته لصغر سنه وخرج بعضهم الى مكة ليلاقوا الامام فاذابه جمع على
رأيه على أبي مسلم وألزمهم طاعته فأطاعوه ثم كتب الى أبي مسلم انك رجل
منا آل البيت احفظ وصيتي انظر هذا الحى من اليمن فالزمهم واسكن بين
ظهرانهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم وأتهم ربيعة في أمرهم واما مضر
فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت فيه وان استطعت أن لاتدع
بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل ولا تخالف هذا الشيخ (يعنى سليمان
ابن كثير) ولا تعص عليه واذا اشكل عليك أمر فاكتف به مني)

قام أبو مسلم بالدعوة حق قيام ولم يبق قلب الا قلبه على بنى أمية ولا بلد
الا أو حشه منهم فغير النوايا وبذل الضمائر والافكار بما بثه وظهره من
حجب الهاشمية وما كشف من معائب الامور فلم تلبث الا وقد لزمت
الطاعة وتنادت بالدعوة لبنى العباس وجاءت من كل الارحاء والمواقع ايمع
في ملكه ما يريد

قام أبو مسلم مع النقباء والنجباء وبث الدعاة وبرز للمغالبة والمباراة
فأزال ملك أعدائه عن مستقره وثبت ملك أوليائه في نصابه فشفى الله
صدوراً وادرك بسيفه ثاراً . فتح البلاد وأقام أصل الدولة وفتح مغرس هذه
الشجرة وغرسها وثبتها وأقام مقام اصحاب الدعوة بوتيرة واحدة ومنهاج

غير مشترك ودان بالطاعة مع اصحابه يقتلون فيها ويموتون عليها
اصحابه الخراسانية اصحاب الرايات السود يروون حديثاً ما ثور امعناه
(صفة الذين يفتحون عمورية ويظهرون عليها ويقتلون مقاتلتها شعورهم شعور
النساء وثيابهم ثياب الرهبان) وهم كذلك كانوا اصحاب صدور سليمة وقلوب
باسلة لم تفسدها الاهواء ولم تخامرهم الادواء ولم تعتقبها البدع وهم خير جند
الخير قائد فكانهم لم يخلقوا الا لقلب الدول وتأييد السلطان
ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة فيكتب اليه ابراهيم الامام يستدعيه
ليساله عن اخبار الناس فسار نحوه في النصف من جمادى الآخرة مع النقباء فلما
وصلوا قومس^(١) وافاه كتاب الامام يقول له فيه اني قد بعثت اليك براية النصر
فارجع من حيث لفيك كتابي ووجه الى قحطبة بما معك يوافيني فانصرف
ابو مسلم الى خراسان وذهب قحطبة الى الامام بامعه من الاموال والعروض
ونزل ابو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها مفنون (بلدة بمرو) ولبس
السواد وبعث النقباء والنجباء يدعون لطاعة بني العباس ودارت رحى الحرب
والقتال وانتقل امرهم من القوة الى الفعل واخذت البيعة الى الامام علانية ثم
عقد اللواء الذي بعثه الامام اليه الذي يدعى (الظل) والراية التي تدعى (السحاب)
وأمر باشغال النيران للشيعمة وهي علامة اجتماعهم فاجتمعوا وتأولوا لذلك
كلاماً فقالوا (الظل والسحاب) يعني ان السحاب يطبق الارض وان الارض
كما لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسي الى آخر الدهر
ثم قدمت الدعاء على ابي مسلم من كل فج وناحية واتيته الرجال راجلين
وركباناً يكبرون من ناحيتهم فيجيبهم غيرهم من ناحية أخرى فترى بهم

(١) قومس بالضم وفتح الميم صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل

مكانه وكان عيد الفطر فنصبوا منبراً بالعسكر وأمر سليمان بن كثير أن يصلي به وبالشيعة ويبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة وكانت بنو أمية تبتدئ بالخطبة قبل الصلاة وبالاذان والإقامة مع تغيير كثير في عدد التكبيرات واختلاف في كونها تباعاً ففعل ثم انصرفوا بعد الصلاة إلى طعام فأكلوه وكتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار قائد جيوش بني أمية كتاباً قال فيه
إلى نصر

أما بعد فإن الله تبارك أسماؤه غير أقواما في القرآن فقال « وأقسموا بالله جهد أيمانهم إن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولى فلن تجد لسنة الله تبديلاً وإن تجد لسنة الله تحويلاً »

فتعاضد نصر الكتاب وكسر له إحدى عينيه وقال هذا كتاب ماله جواب ثم وجه أبو مسلم أشياعه مثل مالك بن الهيثم الخزازي وحازم بن خزيمة والتقوا بعسكر بني أمية وجيوشها وذهب غير أوائك إلى جهة أخرى فشردوهم عن المواقع والأماكن وقتل من قتل منهم كشيبيان الخارجي من أكابر القواد والكرماني وابنيه ودخل أبو مسلم « مرو » وصفت له على يد أبي منصور طلحة بن زريق أحد النقباء وكان عالماً بالحال ما نحن بالحجة وهو أحد الاثنى عشر نقيباً المنتخبين من السبعين الذين استجابوا الرسول محمد بن علي في أول الأمر

ثم دخلت سنة اثنين وثلاثين ومائة ببيع فيها أبو العباس عبد الله بن محمد ابن عبد الله الملقب بالسفاح بسبب قبض مروان الحمار على إبراهيم بن محمد

الامام وحبسه وقتله (كما هو مبسوط في أماكنه من كتب التاريخ) وكان
الامام قد نعى نفسه الى اهل بيته قبل ذلك وأمرهم بالمسير الى الكوفة مع
أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وبالسمع والطاعة له وأوصى الى أبي العباس
الملقب بالسفاح بالخلافة فلما وقع ذلك ساروا فقدموا الكوفة مع شيعتهم
فأنزلهم أبو سامة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم (كما تقدم
الكلام في النبذة التاريخية) وجاءت القواد وسلمت عليه بالخلافة ثم لبسوا
السلح وطلبوا خروجه واصطفوا له وأنوا بالدواب فركب برذونا أبلق
ودخلوا دار الامارة ثم خرج الى المسجد فخطب وصلى بالناس ثم وافت
الاخبار بهزيمة مروان (بالزاب) ثم التقى به عبد الله بن علي عم السفاح
فهزمه الهزيمة الكبرى وفر الى مصر وقتل

قامت الدولة العباسية مبتدئة بأول خلفائها أبي العباس عبد الله بن محمد بن
علي بن عبد الله بن العباس وهو الملقب بالسفاح فأقرأه مسلم على خراسان
ولازال بها لا يفارقها الى سنة ست وثلاثين ثم كتب اليه أبو مسلم يستأذنه
في القدوم عليه والحج فأذن له ووافق ذلك طلباً من أبي جعفر المنصور أيضاً
بالحج فأذن له فلما كانا في الطريق خمل معه ذكر أبي جعفر لان أبا مسلم
كان يكسو الاعراب ويصاح الآبار والطريق وكانت الذكري له .
ولما صدر عن الموسم تقدم في الطريق ثم أتاه خبر موت السفاح فكتب
اليه يعزیه ولم يهتئ بالخلافة . كل هذا وأمثاله جعل أبا مسلم في نظر المنصور
ممن أحسن مبتدأ وأساء معقباً وقد غلب عليه سوء الظن حتى رجح فيه
قبح الباطن على حسن الظاهر وخبث السريرة وفساد النية على حسن الخدمة
والبلاء الحسن فأمضى فيه حكمه وقتله بعد ان استدعاه وأذناه وجالسه

مجلساً كثر فيه الاخذ والرد كما سيأتى ذلك في ترجمته ان شاء الله

﴿موعظة﴾

(قال الامام الفخرى) لما قدر الله انتقال الملك الى بنى العباس هيا لهم جميع الاسباب فكان ابراهيم الامام ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بالحجاز جالساً على مصلاه مشغولاً بنفسه وعبادته ومصالح عياله ليس عنده من الدنيا طائل وأهل خراسان يقاتلون عنه ويبذلون نفوسهم وأموالهم دونه وأكثرهم لا يعرفه ولا يفرق بين اسمه وشخصه . وانظر الى ابراهيم الامام هو بتلك الحالة من الانقطاع بداره واعتزال الدنيا وهو بالحجاز وله مثل هذا العسكر العظيم في خراسان يبذلون نفوسهم دونه لا ينفق عليهم مالا ولا يعطى أحدهم دابة ولا سلاحاً بل هم يحبون اليه الاموال ويحملون اليه الخراج في كل سنة

ولما قدر الله تعالى خذلان بنى مروان وانقراض ملك بنى أمية كان مروان خليفة مبایعاً ومعه الجنود والاموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده والناس يتفرقون عنه وأمره يضعف وحبله يضطرب فما زال يضمحل حتى هزم وقتل واكملت لسانه هرة فتعالى الله عما يشركون اهـ

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير . توأجل الليل في النهار وتوأجل النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب)

﴿ أبو جعفر المنصور ﴾

نستفتح الخلافة العباسية باسم هذا الخليفة العظيم ثاني الخلفاء العباسيين
لاسباب منها ان جماعة المؤرخين قالوا ان في بني العباس فاتحة . وواسطة .
وخاتمة . والفاتحة عندهم المنصور . والواسطة المأمون . والخاتمة . المعتضد
ومنها ان مدة السفاح لم تطل . ومنها ان هذا الخليفة أحق بالتقديم لانه
جمع أشتات الفضائل بما أعطاه الله منى القوتين العلمية والحربية

هو أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .
ولد في شهر ذى الحجة سنة خمس وتسعين وأدرك جده ولم يرو عنه وروى
عن أبيه وعن عطاء بن يسار . وبويع له بالخلافة في شهر الحجة سنة ست
وثلاثين ومائة . وتوفي لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة
ببئر ميمون مع السحر وهو محرم ودفن بمقبرة المعلاة والمسافة بينهما ثلاثة
أميال . فدة خلافته اثنان وعشرون سنة ومدة عمره ثلاث وستون سنة
كان أسمر نحيفاً خفيف العارضين وقوراً كامل العقل جيد المشاركة
في العلم والادب فقبه النفس فصيحاً بليغاً مفوهاً خليقاً بالامارة وجبروتها
مدبراً لامور المملكة

قسم زمانه وساعاته قسمة حكمة فكان صدر نهاره للامر والنهي
والولايات والعزل وشحن الثغور والاطراف وتأمين السبل والنظر في الخارج
والنفقات ومصلحة معاش الرعية والتلطف بسكونهم وهدايتهم فاذا صلى
العصر جلس لاهل بيته فاذا صلى العشاء الآخرة جلس للنظر في كتب
الثغور والاطراف والآفاق وشاور سماره فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه

فاذا مضى الثلث قام فتوضاً وصلى حتى يطلع الفجر فيخرج للناس فيصلي
ثم يدخل ايوانه

وكان لحبه العدل واستقامة أمور المملكة يستقل ذلك وقد سمع منه
انه قال « ما أحوجنى أن يكون على بابي أربعة نفر: قاض لا تأخذه في الله
لومة لائم وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى وصاحب خراج
لا يظلم الرعية ثم عض على أصبعه وتأوه فقل ما هو يا أمير المؤمنين قال
صاحب يريد يكتب الى خبر هؤلاء على الصحة »

نمت في عصره القوة العلمية . فقد عاصر كثيراً من الائمة الاجلاء
منهم الامام أبو حنيفة والامام مالك بن أنس وكثر تدوين علماء المسلمين
فيه العلوم . كالحديث والتفسير فصنف ابن جريج بمكة . ومالك الموطأ بالمدينة
والاوزاعي بالشام . وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمار
باليمن . وسفيان الثوري بمكة ، صنف ابن اسحاق المغازي وابتدأ تدوين العلم
وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وكان الائمة
في هذا العصر يعلمون العلوم املاءً من حفظهم

هو أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية
كافليدس وكليلة ودمنة وكان هو أعلم الناس بالحديث والانساب مشهوراً
بطلبه . كان بليغاً لساناً فصيحاً أخرج الاصمعي وغيره أنه صعد المنبر فقال
« الحمد لله أحمدته وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله الا الله
لا شريك له فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين اذكر من أنت في ذكره .
فقال مرحباً مرحباً لقد ذكرت جليلاً وخوفت عظيماً وأعوذ بالله أن أكون
ممن اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة منا بدت ومن عندنا

خرجت وأنت يا قائلها فأحلف بالله ما الله أردت وانما أردت أن يقال قالم فقال فعوقب فصبر فأهون بها من قائلها واهتبلها من الله فاني قد غفرتها وإياكم معشر الناس من أمثالها وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فعاد الى خطبته كأنما يقرؤها من قرطاس

كان المنصور من أعظم الخلفاء ذوى الآراء التامة الصائبة وأعلمهم وأعقلهم وأحزمهم وأشجعهم وله من التدبيرات السديدة ما يستحق أن يدون ليحتذى به ويؤخذ منه ويقاس عليه

ومن أغرب ما يؤثر عنه مما يدل على تفتنه ودقته انه لما أدركته الوفاة قال لابن المهدي يابني ان في بيت المال ما لا أخذته العمال من أصحاب الجنايات على وجه المصادرة تأديباً لهم وزجراً ولقد أفردت كل شيء منه وكتبت عليه أسماء أصحابه فربما كان منهم ما يوجب رده اليهم

كان أعلم الناس بضبط أحوال الممالك وترتيب القواعد واقامة ناموس كل شيء . غالب الدهر والايام حتى كف عاديها عنه وتوطدت أركان الممالك له وعظمت هيئته في النفوس ولولا بأسه وشدة مادانت الأمصار اليه بعيدها وقربها وأصبحت خلافته موطدة الأركان قويمه البنيان فان آل مروان لم تبلى رممهم . وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم والناس قد رأتهم أمس على حال واليوم أصبحوا عليهم خلفاء

كان حازماً لا يعرف اللهو ولا ما يشبه اللهو ولم ير في داره ذلك . قال سلام الابرش كنت أخدم المنصور داخلاً وكان من أحسن الناس خلقاً في الخلوة بل من أشد الناس احتمالاً لما يكون فيها فاذا خرج من المجلس العام اربد لونه وكان مع ما وهبه الله من السودد والمجد فقير النفس فكان يرفع

ثوبه ويلبس القميص الخشن (ونعم المبتلى)

كان شجاعا صار ما مقداما لا يرهب الموت يقظا لا يفات عدوه قال
يزيد بن عمر بن هبيرة : ما رأيت رجلا في حرب أو سلم أمكرو ولا أنكر
ولا أشد تيقظا من المنصور حاصرني تسعة شهور ومعى فرسان العرب
في هذا الجهد الجيد فلم ننل من عسكره شيئا وحصرت وما في رأسي شعرة
بيضاء وانقضى الحصار وليس فيها سوداء

يعد مخاطراً من فرط شجاعته حتى قيل انه أخطأ في ثلاث : قتل ابي
مسلم وهو في جماعة قليلة وحين خرج الى الشام . ولو اختلف سفيان بالعراق
لذهبت الخلافة . ويوم الراوندية ولو اصابه سهم لدكت المملكة وغدا الكل
اثراً بعد عين . فأما قتله لابي مسلم وخروجه الى الشام فقد يتفق ذلك
لبعض الانام ولكن المعجز يوم الراوندية

وصفوة الخبر ان جماعة من اهل خراسان يبلغ عددهم ستمائة نفس
يقولون بالتناسخ على راي ابي مسلم احاطوا بقصره وقالوا انت إلهنا فغضب
وقال يدخلهم الله النار في طاعتنا ولا يدخلهم الجنة في معصيتنا وحبس
رؤسائهم فعمدوا الى نعش فارغ وحملوه كان به جنازة وقصدوا السجن
فألقوه امامه وكسروه واخرجوا من فيه وقصدوا القصر فخرج بنفسه
ماشياً^(١) وصاحت الناس وغلقت ابواب المدينة وما زال حتى جىء له بداية
فركبها ثم جاء معن بن زائدة واخذ بلجامها وصار يقاتل قتالا ماروئ قبله
ويقتل بين يديه ويحميه حتى طفئت الفتنة

فعن اى ملك او سلطان يؤثر ذلك ؟ لاندري على ان هذه الامور

(١) لانه لم يكن في القصر دابة . ومن ذلك اليوم برطرس النبوة بدور الخلفاء

طالما كانت سبباً لضياح البلاد . تقوم الثورة المدبرة فتتعمد يد الامير عن التصرف فيها فتتسع « ومعظم النار من مستصغر الشرر » فضلاً عن أن تلم بطرف اجنبي فلا تلبث المدينة أو المملكة الا وقد أصبحت مغماً للعدو كما رأينا ذلك

وقد كانت هذه الواقعة سبباً لبنائه بغداد لانه كره الإقامة بالهاشمية فبناها بعدما اجتمعت جماعة الحكماء على فضل مكانها . دجلة والفرات محيطان بها والميرة تأتي اليها في دجلة من ديار بكر ومن البحر والهند والصين . وفي الفرات من الرقة والشام وخراسان وبلاد العجم متوسطة بين البصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد والساكن فيها قريب من البحر والبر والجبل وهي مدينة مباركة قالوا انه لم يمت فيها خليفة

ابتدأ فيها سنة خمس وأربعين ومائة وأتمها سنة ست وأربعين وجعلها شبه دائرة وقصره في مركزها قالوا ليكون قربه من جميع الناس واحد . فصرف عليها أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم وبلغ من دقة أمره في حسابها انه تقاضى البواقي لغاية خمسة عشر درهماً (وهكذا من أخذ حقه أعطى حق غيره)

سم بنى الرصافة وشيدها

احات بخلافته الفتوق والحوادث من كثرة الخارجين عليه فأنت الفرسان وقتلت الانصار وغلت بد الخلافة وأذاقت الامة بأس بعضها وأتلفت الحصون والملاجئ ، وبددت المعاول

وكنى بالجيوش الخراسانية التي كانت مع الامير (إسنادسز) أي (الخارج بلا سند ولا دليل) فقد عظم خطرهما واستفحل شرهما واشتد الامر على

المنصور فان ضريبة جيشه كانت ثلاثمائة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل ولم يهزم اسنادسز حتى قتل في موقعة واحدة من رجاله سبعون ألفا في واقعة مشهورة.

أدته حالة الملك ورغبته في استقامته باستئصال جرائم الفساد أن هجم بالعقوبة وتناسى العفو فكان جبروت خلافته شديدا ولم تفتح في مدة خلافته الا « طبرستان » لان الحروب مع الخوارج غلبت عليه دخل في طاعة ممالك الاسلام التي افتتحها الصحابة رضى الله عنهم وبنو أمية الا الاندلس بقيت بيد أهلها يتقاتلون على الامارة حتى قدم عليهم فأصبح للإسلام رئيسين يتنازعان السلطة العباسية في الشرق ببغداد والاموية في الغرب بالاندلس.

ومن فضائل هذا الخليفة انه وسع المسجد الحرام مما يلي دار الندوة وحصل بينه وبين ملك الروم الفداء واستنقذ أسرى المسلمين وحج حجة اغدق فيها على الناس حتى سميت عام الخصب . ووقع فيها بينه وبين رجل من الحديث ما فيه مزدرج ومن العظة ما لا يتصور وقوعه والعجب ان مثل أبي جعفر يتقبله منه مع جبروته ولا تأخذه أنفة الملك . وانا ذاكره ولوطال . فانه مما يطرز بالدرر واللال :

قالوا حج أبو جعفر وكان يخرج الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي لا يعلم به أحد فخرج ذات ليلة سحرا وبيناهو يطوف سمع من يقول اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم فأسرع المنصور حتى ملأ مسامعه منه ثم خرج ودعاه وسأله عن الذي سمعه فقال له : ان أمنتني على نفسي أنبتك .

خأمنه وأدناه وسأله فقال :

« يا أمير المؤمنين ان الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وما ظهر من البغي والفساد فى الارض انما هو انت . قال ويحك كيف يدخلى الطمع وكل ما أريده فى قبضتى ؟ - قال : وهل دخل على أحد من الطمع ما دخل عليك يا أمير المؤمنين . ان الله عز وجل استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وصحبة معهم السلاح واتخذت وزراء وأعوانا جرة ان نسيت لم يذكروك وان أحسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والرجال والسلاح وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف والجائع والعمري وما أحد الا وله فى الاموال حق فلما رآك الذين استخلصتهم وأشرفتهم على رعيته وأمرت أن لا يعيبيوا عنك تحبى المال ولا تقسمه قالوا قد خان الله فما لنا لا نخونه واثمروا على كتم اخبار الناس عنك الا ما أرادوا ولا يخالف أمرهم عامل الا اقصوه حتى تسقط منزلته فلما انتشر ذلك عظمهم الناس فهابوهم وصانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقووا به على الظلم ثم فعل ذوو الثروة والقوة من رعيته لينالوا ظلم من دونهم وامتلأت بلاد الله بالطمع بغيًا وفسادًا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وانت غافل وان جاء متكلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان أرادوا رفع قصة اليك وجدوك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته اليك فان صرخ ضرب وانت تنظروا ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا

كانت بنو أمية لا ينتهي اليهم مظلوم الا رفعت مظلمته ولقد كان الرجل يأتي من أقصى الارض حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الاسلام فييتدرونه فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى ارض الصين وبها ملك فقد متها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزيره مالك تبكي لا بكت عيناك . فقال اما اني لست ابكي على المصيبة اذ نزلت بي ولكن على عدم سمع صراخ المظلوم بالباب ابكي . ولئن ذهب سمعي فان بصرى لم يذهب . نادوا في الناس ان لا يلبس ثوبا احمر الا المظلوم . فكان يركب الفيل في طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه

هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله تعالى قد غلبت عليه رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله عز وجل وابن عم نبيه الا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحدة من ثلاثة . ان قلت اجمعها لولدى فقد آناك الله تعالى هذا الطفل الصغير وما له على الارض مال . وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه ولا يزال الله عز وجل يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه . ولست الذي يعطي ولكن الله تعالى يعطي وان قلت اجمع المال لتشديد سلطانى فقد أراك الله عز وجل عبراً فيمن كان قبلك ولم يغن عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من الصراع والكرراع وماضرك وولد ابيك عبد الله بن عباس ما كنت فيه من الضعف حين أراد الله عز وجل بكم ما أراد . وان قلت اجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المؤمنين هل تعاقب من عصاك

من رعيته بأشد من القتل قال لا . فكيف تصنع بالمالك الذي خولك
ما انت فيه من ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب
من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ماخفي فيك فما
تقول اذا انتزع ملك الموت الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك
ماكنت فيه شيئاً فبكى المنصور حتى ارتفع صوته ثم قال « ليتني لم أخلق
ولم أك شيئاً . كيف احتياى فيما خولت ولم أرم الناس الا خائناً » فقال
يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين ؟ قال ومن هم . قال العلماء
قال فرواني . قال هربوا مخافة أن تحملهم على مظهر من طريقك ولكن
افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وامنع وخذ الشيء مما حل
وطاب واقسمه بالعدل وانا ضامن لك أن يأتيك من هرب منك فيعاونك على
صلاح امرك ورعيته . فقال المنصور اللهم وفقني ان أعمل بما قال هذا الرجل
ولا عجب من سكوت ابى جعفر واصغائه لمقال الرجل وطلبه
التوفيق في العمل بما قال لانه يتحرى الحق من الباطل ويعلم صحة ما يقال
له وينزل اليه وهو متسم المعالى ويتضاءل امامه كما سمعت
أكبر فخر للغربي على الشرقي الآن ان يفخر عليه بان في اهل الغرب
من الرجال من يبادر ملوكهم بكلمة الحق وقرله الصديق وان هؤلاء الملوك
لا يصدفون عن النصيحة ولا يأنفون منها مادامت عوناهم على طرق الحق
واكتساب الخير واسكن كل الذي سمعناه عنهم دون هذا الموقف الذي ذهبت
فيه معاني الخلافة من القهر والقوة والقدرة واستمعت فيه النصيحة بما
يجب لها من الخضوع والخشوع
واعجب من هذا ما اخرج به عبد الله بن صالح قال كتب المنصور الى

سوار بن عبد الله قاضي البصرة بان ينظر في الارض التي تخاصم فيها فلان
القائد وفلان التاجر وان يدفعها الى القائد فامتنع القاضي وقال انها من حق
التاجر وكتب للمنصور بذلك . فكتب اليه والله الذي لا اله الا هو لتدفعنها
الى القائد . فكتب اليه سوار يقول والله الذي لا اله الا هو لا اخرجها
من يده الا بحق . فلما جاءه الكتاب قال ملاتها والله عدلا وصارت قضائي
تردني الى الحق

لو كان أبو جعفر غير مغلول اليدين وكانت الحروب التي باشرها مع
الخوارج عليه فتوحا في بلاد الغير كان زمنه يعد من أكبر الازمان في الفتوح
والاعمال الحربية كما عد أكبر زمن في الفتوح العلمي والتقدم في المعارف .
ولكن قدر الله أن يكون سهمنا بيننا في تلك المدة كما قدمنا وذلك من
المنازعة على الملك وسمو الآمال اليه وعدم دفع الخارجين عليه الا بالقوة
الغالبة أو ينقرضوا

كانت خزائن أبي جعفر ملأى بانواع الاموال وجيوشه على قدم
الاستعداد ولولا ذلك ما تمت له الخلافة وناهيك بوصيته للمهدي وقوله فيها
« اني قد جمعت لك من الاموال ما يكفيك لارزاق الجند والنفقات على
اختلافها عشر سنين فاحتفظ بها فانك لاتزال عزيزاً مادام بيت مالك عامراً
وأوصيك باهل بيتك خيراً فان عزك عزهم وانظر مواليك فانهم إمدادك
اشدتك وإياك والتبذير فان النوائب غير مأمونة . ولا تتجاوز ما امر الله
به واعد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون
بالليل وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من تثبت على بابك وسهل اذنك للناس
وكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير لاهية ولا تم وإياك فان أباك لم ينم

متذو لي الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبه مستيقظ »
 فالتأمل في هذه الوصية يدرك ان الامم الفقيرة لا بد ان تسترقها
 أخصامها بعله الدين كما هو الواقع وهو أقرب سبب لان تملكها وتستعبدها
 عداها وليس بين الامة وبين محوها الا ان تقصر يدها في عدة حرب وقد
 وقفت اليها خصومها وعلمت منها ذلك وان الانقسام والافتراق من شر
 الاوبئة على عائلة الملك لانها تبيدها بيدها من غير حاجة لقوة الاعداء
 فنسأل الله ان يلم شعثنا ويوفقنا لما يريد من خير الدنيا وخير الآخرة
 ويرينا هذه المواقع التي ذكرناها من جهات بغداد وانهارها عامرة غامرة
 بالعمار والترقي والحضارة والمدنية التي انبثت هناك أسبابها في هذه الايام في
 ظل مولانا وسيدنا أمير المؤمنين الظليل أدام الله سلطانه وملكه وجعله
 للامة الاسلامية ذخراً وسياساً يحوطها من آفات الزمان ونوائب الحدثان
 ويد العوالم وان آمين

✽ المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور ✽

هو المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد سنة سبع وعشرين ومائة
 وبويع له بالخلافة في سنة ثمان وخمسين بمهد من أبيه المنصور بعد موته
 (بيتر ميمون كما تقدم في ترجمته) فلما وصل الخبر اليه ببغداد خطب الناس فقال
 « ان أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب وأمر فأطاع (واغرو رقت عيناه
 فقال) قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الاحبة ولقد فارقت
 عظيماً وفلدت جسيماً فعند الله احتسب أمير المؤمنين واستعين على خلافة
 المسلمين) . ايها الناس اسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا نهيكم العافية
 واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدته فيكم وطوى الاصر عنكم وأهال

عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً ذلك . والله لافنين عمرى بين
عقوبتكم والاحسان عليكم»

يرى المعنى في معاني هذه الخطبة شيئاً كثيراً من المنافع والمقاصد الخيرية
أظهرت تأثيره بالفجعة وأبانت أن خلاله خلال حنو وانعطاف وإن
ملكوت الخلافة لم ينسه حق الأبوة ورأينا غير ذلك في غيره ممن
لأن ذكر نعمتهم في جانبه ولا أسوأ من العقوق والعياذ بالله

نقب على أحسن ما توصف به الرعية وطلب تحقيقه من الأمة والملة
فقال : « وأسروا كما تعلنون » لأن أقبح ما تكون الأمة وفي صدرها دخل
سواء كانت تصره لبعضها أو لولاها أمورها .

طلب منهم خفض الجناح واقترنه بنشر المعدلة فيهم وطى الأصر عنهم
ولا أجل من ذلك في معاني الحكم بالعدل والملك بالحق .

حكم على نفسه بأن يفنى عمره بين الاحسان والعقوبة . وكذلك
النفوس الكاملة تتقلب رعاياها بين رحمتها وحبروتها لكيلا تكون
« سكرراً فتؤ كل أو حظلاً فترى »

ووضع الندى في موضع السيف بالعلمي . مضر كوضع السيف في موضع الندى
كأنما المنصور كان ينمي نفسه . فقد أوصاه عند وداعه وصية من
لا يؤمل اللقاء فلم يدع فيها شيئاً من الخير يمكن الاطاعة به إلا تقدم
فيه اليه . وأوصاه بخصال جملة بها واستخلف الله عليه

تولى الخلافة مستأنساً بوصية والده هذه متدرباً خليقاً بالامارة لأن
الخليفة المنصور رضى بما ولاه قبلها من الاعمال مذهب وتادب وجالس
العلماء وبلغ مبلغ السجالات

أمره على طبرستان وما والاها فباشر أعمالها حتى برهن على أهليته .
ثم عهد اليه بالخلافة بعد ذلك فكان العهد اليه عن خبرة وحقيقة نظر في
مصالح الامة . وكان المنصور بتريضه ولده وولى عهده على أمورها وأعمالها
نظر لمصالح هذه الامة في مماته نظره لها في حياته . وحيد الخلفاء
روى المهدي الحديث عن أبيه وعن مبارك بن فضالة . وحدث عنه
يحيى بن حمزة وجعفر بن سليمان الضبعي وغيرهما . قال الذهبي وما علمت
فيه جرحاً ولا تعديلاً

كان المهدي جواداً ممدوحاً محبباً الى الرعية حسن الاعتقاد . قال له
يوما يعقوب وزيره في أمر أراده : « هذا والله السرف » فقال المهدي :
ويحك يا يعقوب انما يحسن السرف بأهل الشرف ليعلم المسكر من المقل
كان من أوائل فعله في خلافته تتبع الزنادقة والقائلين بالتناسخ من
أهل خراسان الملتفين حول راية المقنع ولوائه . فخار بهم ثم أراد أن يكون
دليله في اذلالهم دليل بحث وتنقيب وحجته في اخامهم حجة برهان واستنباط
لا حجة غلبة وصوله فأمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على مسائلهم في
الزرقعة والاحساد وما زال بهم حتى أفناهم وطهر الارض منهم
وفي سنة تسع وخمسين ومائة بايع المهدي بولاية العهد لموسى الهادي
ثم من بعده لهرور الرشيد ولديه

وفي سنة ٦٠ حج بالناس وقسم مالا عظيماً في مصارف الخير ونقل
خمسائة من الانصار الى العراق جعلهم في حرسه وأقطع لهم الارزاق
حمل اليه التاج وهو في مكة وهذا مما لم يتهياً خليفة قبله قط . وما
ذلك الا من انتظام البريد وأمان الطريق وسلامة الوارد والمتردد وعدم

وجود عائق أبداً

نعم عمر الطريق الى مكة وبني به قصورا أوسع من قصور المنصور
(من القادسية الى زباله) وجدد الاميال وحفر الآبار وأصبحت الطريق
آمنة صالحة الى بيت الله الحرام ومقام نبيه عليه السلام وأمر باتخاذ المصانع
في كل منها منهل . وسير البريد من العراق للحجاز ومن اليمن الى مكة الى
الحضرة وخصص له إبلا وبغالاً لا تحصى وهو مما لم يتفق لغيره أيضاً
أمر بترك المقاصير التي في جوامع الاسلام وقصر المنابر وصيرها على
مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووسع المسجد الحرام وأمر
بالزيادة الكبرى فيه وأدخل في ذلك دوراً كثيرة ولم يزل البناء فيه الى وفاته
ثم بدأ في الفتوح ببلاد الروم فكثرت الفتوحات على يديه ونصره الله
وزاد في غنيمة فمنها انه في سنة ثلاث وستين ومائة تجهز لغزو الروم وجمع
الاجناد من خراسان وما يليها من الآفاق وصار مستصحباً ولده هارون
وبعد ان عبر الفرات بعثه للغزو فحاصر البلاد وافتتحها وأثنى في الزنادقة
ثم سير ابنه هارون في سنة خمس وستين ومائة لغزو الروم فأوغل في
بلادهم وهزمهم وجمع اليه أموالاً كثيرة وسار حتى بلغ القسطنطينية وكان
على الروم يومئذ (غسطة) زوجة (أليوك) كافلة لأبنها منه صغيراً . فجری
الصالح على الفدية وان تقام له الادلاء والاسواق في الطريق ونال قصده
من ذلك

كان عادلاً محباً للعدل فاذا جلس للمظالم قال أدخلوا علي القضية فلو لم
يكن ردي للمظالم الا للحياء منهم لكفى
بلغ من تقواه ما حدث به (الحسن الوصيف) قال : أصابت نار حشيدة

في أيام المهدي حتى ظننا انها تسوقنا الى المحشر فخرجت اطلب المهدي فوجدته واضعاً خده على الارض وهو يقول « اللهم احفظ محمدًا في أمته . اللهم لانشمت بنا أعداءنا من الامم . اللهم ان كنت آخذت هذا العالم بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك » قال فما لبثنا الا سيراً حتى انكشفت الريح وزال عنا ما كنا فيه

كان سمحاً جميلاً قال الربيع : رأيته يصلي في بهو له في ليلة مقمرة فما أدري أهو أحسن أم البهو أم القمر أم ثيابه . فقراً : « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم » قال فاتم صلاته ثم التفت الى وقال : ياربيع . قالت لبيك . قال موسى . فقلت في نفسي من هو موسى أموسى ابنه . أم موسى بن جعفر ؟ وكان محبوباً عندى . فجملت أفكر ثم غلب على أنه موسى بن جعفر فأحضرتة فقطع صلاته ثم قال له يا موسى انى قرأت هذه الآية (وقرأها) خفت ان أكون قد قطعت رحمك فوثق لى انك لا تخرج على وتؤذى بخروجك جماعة المسلمين حتى اخليك . فوثق له بخلافه

ويحق للقاريء لهذا الخبر أن يحاكي الربيع في مقاله وبجاريه فيقول لا أدري قراءته كلام الله بهذا الامعان والتدبر أحسن أم العلم به في صلة الرحم أم العفو عن الميئ أم مخافة الله !!!

كان عصره عصر خير وبركة . من الزهاد جمع ابراهيم بن آدم وداود الطائى ومن الاعلام : الخليل بن أحمد الفرهودى صاحب العروض وسفيان الثورى وبشار بن برد أول شعراء المحدثين

كان مثالا للسماحة وقدوة في مكارم الاخلاق . قالوا كان يصلى بالناس

الصلوات الخمس بالمسجد الجامع بالبصرة لما قدمها . فاقبعت الصلاة يوماً فقال اعرابي است على طهر وقد رغبت في الصلاة خلفك . فأمر الناس بانتظاره ودخل المحراب ووقف الى أن قيل جاء الرجل فكبر وصلى ومن الخبر المأثور عنه في حب النبي صلى الله عليه وسلم انه أول من قرأ في الخطبة ، « ان الله وملائكته يصلون على النبي » الآية . قال الاصمعي سمعت المهدي على منبر البصرة يقول ان الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثني بملائكته . وقرأ الآية

كان يتعسس بنفسه حال الامة والملة فاتفق له ليلة انه سمع اعرابية تقول : « قومي مقترون نبت عنهم العيون فدحتهم الديون . غصتهم السنون . بادت رجالهم وذهبت أموالهم . وكثرت عيالهم . أبناء سبيل وانضاء طريق وصية الله ووصية الرسول فهل من أمر لي بخير كلاً الله في سفره وخلفه في أهله » فوصلها وأمر من يوصلها لحياها وأسند عن مهدي بن سابق قال صاح رجل بالمهدي وهو في موكبه وقال :

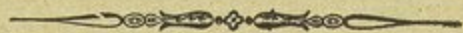
قل لخالقة حاتم لك خائن خف الاله وأعفنا من حاتم
ان العفيف اذا استعان بخائن كان العفيف شريكه في المأثم
فاستوقف كل عامل يدعي حاتماتي عرف له صاحب الخيانة وتقاضاه
واعترضته امرأة فقالت : يا عصبية رسول الله انظروا في حاجتي فقال :
اقضوا حاجتها وصلوها بعشرة آلاف درهم فاني ما سمعت أحدا خاطبني بهذا
ومن غرر أقواله قوله : « ما توسل الى أحد بوسيلة هي اقرب من
تذكرى يدأ سلفت مني اليه اتبعها أختها وأحسن ربهها فان منع الاواخر

يقطع شكر الاوائل »

هذه الترجمة مثال تقاس عليه نتيجة حسن تربية أولياء العهد وتربيتهم على العمل في أيام سلفائهم ليتمكن لهم أن يتقوا بنظرهم لهم ويتحقق منهم النظر في مصالح الامة لدينهم ودنياهم متى أصبحوا ائمة عليها ووجب على جميع الرعية طاعتهم

ان ولي العهد اذا أصبح ليس بينه وبين تحقيق أمنيته الاموت العاهد له كان ذلك شؤماً عليه وعلى الامة وأى شؤم . فانه يبطل ، بنفسه عن كثير من خصال الخير ولا يوجد له احساس يدفعه لحب التعليم ولا يكلفه الوصول لما فيه مرضاة الامة بخلاف ما اذا سلم له النظر في أمر نفسه وأموال المساكين على نظر من اخليفة والناس ودفع على الامور ورأى المنشط منها والمكره وسلك فيها بالاستيعاب حتى يفهم المعنى الذى أصبح من أجله أمير المؤمنين كان ذلك من أجل دواعى ترقى نفسه فى مراقى الكمال ووقعت المصلحة فى اجتماع الناس عليه واتفاق أهوائهم باتفاق اهل الحل والعقد الذى شأنه أم عند الشارع من كل شأن لما فيه من انتفاء الريب

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه ويسر لنا ارتباط القلوب واتفاق الاهواء واتحاد النفوس واجعل أشد ماتتواجد عليه ايثار مصلحة المساكين على كل شىء فى كل شىء من أمر دنياهم وآخرتهم



﴿ الرشيد ﴾

هو هرون الرشيد وكنيته أبو جعفر (وكان يكنى أبا موسى) ابن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس تولى الخلافة بعهد من أبيه المهدي عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة . هذه الليلة من أعجب الليالي . تولى فيها الرشيد الخلافة . وولد فيها له عبد الله المأمون ومات فيها أخوه الهادي . وليس في ليالي الزمن المعروفة ليلة تمخضت عن موت خليفة وقيام خليفة وولادة خليفة غيرها . فان كان ثم تفسير طابق معنى قول القائل الليلي من الزمان حبالي مثقلات يلدن كل عجيبة فهذه الليلة من تلك الليالي

أسند الصولي عن يعقوب بن جعفر . قال رأى الرشيد في نومه النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع وستين فقال له ان هذا الامر صائر اليك فاغز . وحج ووسع على أهل الحرمين . فقام غازياً أطراف الروم وغنم وانصرف في شعبان فحج بالناس في الموسم وفرق على أهل الحرمين مالا كثيراً وصدق الله الرؤيا وتولى الخلافة في السنة التي بعدها وفيها ولد له الامين كانت ولادة الرشيد بالرى في أواخر ذي الحجة سنة خمس واربعين ومائة وكان مولد الفضل بن يحيى البرمكي قبله بسبعة أيام فأرضعت أم ابن يحيى الرشيد وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد . وكان أبوه المهدي في تلك الايام وما بعدها أميراً على الرى وخراسان من قبل المنصور كما قدمنا في ترجمتهما

هذا هو الخليفة الذي مثل معنى الخلافة ومقامها في عدلها وحلمها وانصافها
واقامة عماد دولتها واظهار شأنها وحماية ناموسها وحاطها بانواع الاسباب
التي تدفع عنها المكاره . هو الذي مثل البذخ والترف والمجد والشرف والابهة
والعز والعظمة والسودو والنعيم المقيم الذي جمع دواعي اللذائذ الدنيوية والفوائد
الاخروية وهو الذي اجتمع له في خلافته مالم يجتمع لغيره وزراؤه البرامكة
وقاضيه أبو يوسف وشاعره مروان بن أبي حفصة ونديمه العباس بن محمد
عم أبيه وحاجبه الفضل ابنه الناس وأفطنهم وأعظمهم فهو كما قيل

ان المكارم والمعروف أودية أحله الله منها حيث تجتمع
كان أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا وكان كثير الغزو والحج يغزو
سنة ويحج سنة فاذا حج حج معه مائة من الفقهاء وابنائهم واذا لم يحج
أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الطاهرة . قال الشاعر :

فمن يطلب لقاءك أو يرده في الحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمر وفي البلد المحرم فوق كور
كان مفرداً في تعظيم حرمان الاسلام والمبالغة في احترام العلماء
والوعاظ محباً للعلم واهله مبغضاً الرياء في الدين والمعارضة في النص

كان الرشيد ابيض طويلاً جميلاً مليحاً فصيحاً له النظر النافذ في العلم
والادب كثير الصلاة يصلي كل يوم مائة ركعة لا يتركها الا لعله وله صدقات
من صلب ماله تزيد عن الف درهم في كل يوم . وكان له تواضع في شرفه
أشرف من الشرف . فمن أحسنه (وما أحسن شيء كله حسن) ما حدث به
أبو معاوية الضرير . قال أكلت مع الرشيد ثم صب على يدي الماء رجل
لا أعرفه . فقال الرشيد : تدري من صب عليك ؟ قلت : لا . قال : أنا

اجلالاً للعلم ورعاية لاهله . وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله عند الكلام على رحلة السلطان صلاح الدين لطلب العلم (ما أعلم ان الملك رحلة قط في طلب العلم الا الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطاء على سيدنا مالك رحمه الله ثم رحل لسماعه أيضاً مقتدياً به هذا السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى الاسكندرية فسمعه على بن طاهر بن عوف ولا يعلم غيرهما أحد) وكان أصل الموطاء بسماع الرشيد في (خزائن المصريين) كان مولعاً باحترام العلماء فمن فضائله فيه انه لما بلغه موت ابن المبارك جالس للجزاء فيه عن أهله وأمر الاعيان والامراء أن يعزوه

كان بكاء على نفسه يشفق من إسرافه وذنوبه سيما اذا وعظ . ولم ير أغزر دمعاً منه عند الذكر . ولم يذكر له النبي إلا قال : صلى الله على سيدي دخل عليه ابن السماك يوماً وكان يعظه فاستسقى الرشيد فأتى له بماء فقال له ابن السماك على رسلك يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم تشربها ! قال بنصف ملكي قال اشرب هناك الله بها . فلما شربها قال أسالك لو منعت خروجها بماذا كنت تشترى خروجها قال بملكي قال ان ملكاً قيمته (كذا) و (كذا) لجدير أن لا ينافس فيه فبكي الرشيد . وقال يوماً لشيبان عظمي : قال لئن تصحب من يخوفك حتى يدركك الامن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف . فقال الرشيد : فسر لي هذا قال : من يقول لك انك مسؤول عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول انتم اهل بيت مغفور لکم وأنتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وسلم كان كأنه جده المنصور هيبه وصلابة في الملك وجبروتاً وشدة مع الحق كثير الكراهة للباطل متتبعا للزنادقة طالباً لهم وكان القول بخلق

القرآن شأنا في عهده فما يظفر بأحد من أهل هذه الآراء حتى يقتص منه أشد القصاص

كان شديد الاقتفاء لاعمال جده متطلباً للعمل بآثاره ومحاكاة في اعماله وصيانة سرير ملكه وحفظ أبهته وزيه فلم يختلف عنه في شيء الا في البذل والنوال لانه لم ير خليفة بذل ما بذله الرشيد في العطايا من مال وخلع فكانت صلته تصل ما بين الانسان وبين الغنى وتقطع ما بينه وبين الفقر والاحتياج .

ولى الخلافة بعد ما تنقل في مهام أمورها فقد استعمله أبوه المهدي في الاعمال ورضيه عليها فجهزه مراراً للغزو بالصائفة والايغال في بلاد الروم وفي سنة ثلاث وستين ومائة ولاة المغرب كله وأزريجان وأرمينية وجعل كاتبه ثابت بن موسى وعلى رسائله يحيى بن خالد فنشأ خير نشأ وظهر بخير مظهر كان في غرضه أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم مما يلي الفرما (أى أن يفتح ترعة السويس) فشاوره وزيره يحيى وفكر اطوبلا فانكشف لهما تفول الروم نخافا من دخولهم بحر اكبهم في القلزم وقربهم من الاراضى المقدسة فنزعا عن هذا الفكر

هذه نتائج خواطر وزراء الخير الذين يدركون قوة حكمومتهم فلا يتورطون في أمور لا قبل لهم بها ولا يغررون بأنفسهم لانهم يعلمون معنى المسؤولية التى تحيط بحر كرمهم فلا يقدمون على شيء الا ولهم منه مخرج ولو كان للناس وزير كيحيى خفف من هذا البلاء النازل أو حده أو تلطف فلطف من قضائه المبرم وعاق امتداد الايدى الاجنبية عن العبث في هذه النواحي بدعوى الاستعمار الذى جاز حده البحار والقفار

ازدهى عصره بين الاعصار بوجود كثير من العلماء الاعلام فيه
 كالامام سيدنا مالك بن أنس . والليث بن سعد . والكسائي وأسد الكوفي
 ومحمد بن الحسن من كبار أصحاب أبي حنيفة وصعصعة بن سلام عالم الاندلس
 وغيرهم ، وهذا أيضا من سعة رزق خلافته وارادة الله سبحانه وتعالى له
 الخير ببطانة الخير والفلاح والنجاح الذين يتأنى بهم في كل صلاح
 نقل شيئا كثيرا من عوائد الفرس منها السكرة والصولجان وري
 النشاب في البرجاس والشطرنج ، وجعل لكل شىء قاعدة ومرتبة حتى
 المغنين فانه أول من جعل لهم مراتب وطبقات يعرفون بها
 كانت بغداد في عصره نادرة الدنيا ونكتة المدائن ، فريدة في حضارتها
 وعمارتها ترقى فيها أسباب المدنية لدرجة لم ير مثلها كما قدمنا ذلك (في النبذة
 التاريخية) فأيامها أعياد ، ولياليها أعراس ، وسلطانها الممتد سياجه عليها قد
 عظم من قدرها ونبه من ذكرها وهو بما أسبغنه عليها من ظله الظليل وما
 منحها من العدل والمساواة . دعا الناس بلسان الامن والامان الى المبادرة اليها
 بالتاجر والعروض فتناهاوا في الطلب والاقدام على العمل بعلو الهمة وجلس
 للناس في منصة عدله وعمهم برحمته فشمل القوى والضعيف والعاجز والعليل
 وذوى الحاجات ومن لا وسيلة لهم فأزاح عن جميعهم العلل وأبطل الاهواء
 وحجز بتدبيره عنهم كل آفة تؤدى للتقاعس والتقاعد والدمار والخراب
 أما غزوه وفتحته ، وحجه ، وفديته ، فكثير ، منه انه في سنة واحد
 وسبعين ومائة حارب الصحصح الخارجى بالجزيرة وقتله ، وفي سنة ثلاث
 وسبعين ومائة غزا الصائفة وحج بالناس وأحرم من بغداد . وفي سنة اربع
 وسبعين حج بالناس وقسم مالا كثيرا ، وفي سنة ست وسبعين ومائة عقد لابنه

محمد ولاية العهد ولقبه (الامين) وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين . ثم فتح في سنة ست وسبعين ومائة (مدينة دلسه) على يد الامير عبد الرحمن ابن عبد الملك بن صالح العباسي وفي سنة واحد وثمانين ومائة غزا الرشيد أرض الروم فاقتتح حصن الصفصاف وغزا عبد الملك بن صالح أرض الروم وبلغ انقره

ثم دخلت سنة اثنين وثمانين ومائة وفيها زلقت قدم الرشيد بيد القضاء والقدر وباع لعبد الله ولده بولاية العهد بعد الامين وولاه خراسان وما يتصل بها ولقبه (المأمون) وسلمه الى جعفر بن يحيى (وهذا العمل منه بعد من أعجب العجب بعد ما جرب عواقبه في نفسه ورأى ما صنعه أبوه وجده بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد وبعد ما صنعه أخوه الهادي معه خلعه من العهد وتولية ابنه جعفر ولولم يعاجله الموت لفعل) ولكن نفذ قدر وضاع حذر

ثم حج الرشيد بالناس بعدها في سنة خمس وثمانين ومائة وسار الى مكة من الانبار وبدأ بالمدينة فأعطى فيها ثلاث أعطية . عطاؤه وعطاء الامين وعطاء المأمون . ثم سار الى مكة فأعطى أهلها أيضا . وولى الامين العراق والشام الى آخر المغرب . والمأمون هذان الى آخر المشرق . وباع ابنه (القاسم) بولاية العهد بعد المأمون ولقبه (المؤتمن) وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم وكتب كتابين بالاشهاد وعلقهما في الكعبة فقال الناس قد القى بينهم شرأ وحربا وخافوا العاقبة وكان ماخافوه

وفي سنة سبع وثمانين ومائة نقض ملك الروم الهدنة التي كانت بين المسلمين وبين الملكة (زيني) ملكة الروم فكتب للرشيد كتابا يقول فيه :

« أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من أموالها احمالا لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها والا فالسيف بيني وبينك » فلما قرأ الرشيد كتابه كتب اليه : « قد قرأت كتابك والجواب ما تري لا ما تسمع » وسار ليومه ولم يزل حتى نازله وفتح مدينة هرقل بالغزوة المشهورة ولم يتزحزح حتى بلغ مراده منه

وفي هذه السنة كانت تمت للبرامكة مشاركتهم للرشيد في سلطانه وعظم في نظر الناس ما لهم من الآثار وبعد الصيد وكثر ما اختصوا به وعمره من مراتب الدولة وخططها وما احتازوه عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابه . وسيف وقلم . واقتصرت عليهم الآمال وتخطت اليهم من أقصى التخوم والممالك هدايا الملوك وتحف الامراء واستجار بهم العاني والمعدم والمذنب فأجاروه فأجابوا بذلك كامن الغيرة وسلطوا عليهم بأس الانتقام ومكنوا منهم جماعة الحساد (والدهر حرب « للمقام » العالى) ونموذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال

وقعت لهم النكبة المشهورة التي لهم فيها بمن قبلهم اسوة ولمن بعدهم عبرة . كانت دليلا جديدا على ان الدنيا دول والمال عارية . نكبة أمسكت لسان المادح وقطعت لسان الحاسد . وبكها الولي والمولى والعدو والجاحد . نكبة استراحت بعدها الورد من قطع الفدافد سعيًا . وأقسم الجود أن لا يحيى بعد يحيى ، « ان في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

ثم فادى الرشيد في سنة تسع وثمانين ومائة ملك الروم حتى لم يبق في

الأسر مسلم وهو أول فداء كان لبني العباس وفي سنة تسعين ومائة فتح «هرقلة» وبث جيوشه بأرض الروم وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة . وافتتح يزيد بن مخلد (قلفونية) وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة سار الرشيد نحو خراسان للغزو فوصل طوس فتمرض بها ومات في ثالث جمادي الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة (رحمه الله) وصلى عليه ابن صالح . مات على أشرف حال يرتجيه القائم على أمة شهيد الغربة شهيد الجهاد فارفعت روحه الشريفة في مراتب الشهداء تسبح في ملكوت الله في أعلى عليين . ثم أخذ رجاء الخادم البرد والقضيب واختم وسار على البريد في اثني عشر يوماً من « مرو » حتى قدم بغداد في نصف جمادى الآخرة ودفع ذلك للأمين

وقد انقضت تلك السنون وأهلها فساكنها وكانهم أحلام
هذه سيرة هذا الخليفة الخامس من بني العباس طالت ولم نستوف
شطراً من فضائله . والقصاص ومن لا بصيرة لهم من الكتاب ينسبون
إليه أشياء في اللهو واللذات المحظورة الله يعلم أنه بريء منها . وأنى ذلك
وهو من العلم والسذاجة واجتناب المذمومات في دينه ودنياه والتخلق
بالحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب بمرتبة تشبه مراتب السلف
وحاله في اجتناب الخمر معلومة لجميع بطائنه وأهل مائده وكفى بتغيره
على طبيبه بختيشوع دليلاً على ذلك

وكيف يعقل أن الرشيد يوافق محرماً وقرناً وجلساً مثل الفضيل
ابن عياض وابن السماك والعمري . ومكانته سفيان الثوري وبكاؤه من
مواعظهم ودعاؤه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على

أوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها

ان الرشيد رحمه الله اجل من أن يرتكب السرف والترف في ملبسه وزينته وسائر متناولاته لقربه من خشونة البداوة وسذاجة الدين فالله يقتص له وللمكذوب عليهم من أمثاله من القصاص الذين دونوا مادونوا عنهم فرية وكذبا وزوراً وبهتاناً ارضاء لجماعة المعجزة الذين لا شغل لهم الا أحاديث النميمة والغيبة وأكل لحم اخوانهم كأنهم أعداء للعلم والدين والسلطان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم



﴿ المأمون ﴾

هو عبد الله أبو العباس ابن الرشيد بويغ له وهو ابن ثمان وعشرين سنة ومات سنة ثمانى عشرة ومائتين وعمره ٤٩ سنة واستقل بالامر بعد قتل أخيه الامين سنة ١٩٨ وهو بخراسان واكتنى بأبى جعفر . قال الصولى وكانوا يحبون هذه الكنية لانها كنية المنصور وكان لها في نفوسهم جلالة وتفاؤل بطول عمر من كنى بها كالمنصور والرشيد

ولما تأتى الملك للمأمون قال : هذا جسيم . لولا انه عديم . وملك . لولا انه هلك . وسرور . لولا انه غرور . ويوم . لو كان يوثق بما بعده . سمع الحديث من أبيه وعباد بن العوام وأبى معاوية الضرير وغيرهم وأدبه اليزيدي وجمع من الفقهاء والادباء حتى برع في الفقه والعربية وأيام الناس وعني بالفلسفة وعلوم الاوائل وهو الذى استخرج كتاب اقليدس وأمر بترجمته وتفصيله وهو الذى عقدت في زمانه مجالس المناظرة . خصص لها يوم الثلاثاء من كل اسبوع وترقت العلوم في عهده ونقشت بين العرب . وهو أول من قاس الدرجة الارضية وعرف مقدارها وأخضع كل العلوم بقسط وضرب فيها بهم

وأخرج محمد بن عباد انه لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء الا عثمان بن عفان والمأمون (ولكن في هذا نظر)

اشتغل بالحديث حتى قالوا ان الرشيد لما حج معه طلب المحدثين فبعث اليهم بالامين والمأمون فحدثوهما مائة حديث ثم قال المأمون أيؤذن لي ان أعيدها من حفظي ؟ قيل نعم فأعادها . وهو أول من استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرص وهو الذى قال «لازهره في الدنيا

الذ من النظر في عقول الرجال»

كان المأمول أفضل رجال بني العباس حزماً . وعزماً . وحلماً . وعِلماً . ورأياً . ودهاء . وهيبه وشجاعة . وسودداً . وسماحة . وله فضائل وسيرة طويلة كلها محاسن

كان أماراً بالعدل فقيه النفس معدوداً من كبار العلماء اجتهد في رَأْب الصدوق وسد الفتوق واصلاح ما تشعث من بنيان الدولة . ولكن الخلاف بينه وبين الامين أخيه اشتعلت نيرانه وأذكت تنوره بأيدي بطانة السوء بالسعي والاغراء وزيادة الوحشة ابقاء على انفسهم وحياتهم الشخصية كالفضل ابن الربيع وعيسى بن ماهان والسندي وغيرهم . أفسدوا دم الاخوة حتى رضى الامين بخلع أخيه المأمون وتغيظ المأمون حتى استحل قتل أخيه الامين وكل هذا سببه هذه البطانة التي مازالت تصغر للامين من أمر أخيه وتزين له خلعها حتى رجع الى رأيهم وهم يكذبونه ويغشونه ولا يصدقونه وهكذا بطانة السوء في كل وقت وزمان ليس لها شغل الا فساد ذات البين وتغيير قلب التابع والمتبوع خدمة لمصالحهم الشخصية

استدعت هذه المبادئ التي زرعت بذورها بيد الاعداء ان لا تصفو الايام للمأمون كما يحب ويختار لكثرة الخارجين عليه كابن طباطبا العلوى بالكوفة الذي سالت الدماء في فتنته أنهاراً . وابراهيم بن موسى باليمن . وثوار بغداد الذين اشتد أذى فسادهم على الناس حتى قطعوا الطريق وأخذوا النساء والصبيان علانية كان الامين فتح للناس باب الخلاف ونقض العهد وكان المؤمنون جرأ الناس على خلعها بخلع أخيه وقتله وعلمهم نكث العهد والبيعة فكان ذلك سبباً لكثرة خروج الثوار عليه . كان لله في ذلك حكمة

عجيبة وسراً في خليقته من يظلم يظلم . حتى لا ينتقض متبوع على تابع ولا تابع على متبوع حفظاً للعهد ورعاية للبيعة واستكمالاً لاسلوب نظام الحكومة التي منزلة القائم بها (خليفة الله في أرضه)

رأى المأمون كثرة الثوار عليه وخروج الكثير بدعوي الخلافة وهم من آل البيت فعمد الى علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر وجعل فيه ولاية عن المسلمين فكان كما قال الشاعر (كلما داويت جرحاً سال جرح) . نبض في بني العباس عرق الخلاف فصعب عليهم الامر وخلصوا المأمون ولولا اتفاق موت علي بن موسى الرضى لازدادت هذه الفتن واشتد أمرها وكل هذا نتيجة وجود الدخلاء من غير الملة والامة الذين لا يعينهم الاشؤونهم الشخصية في كل وقت

يعجب الانسان من شأن الخلافة العباسية وبدء انحطاطها في عهد أعظم خلفائها (المأمون) الذي كان في طاقته وقدرته لعامة وسعة اطلاعه ان يجمع كلمة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ويمنع حبلهم من الاضطراب وأطرافهم من الانتقاض وان يتغلب بحزمه وعزمه على كل هرج وقتنة وتنازع ولكنها آية من آيات الله سبحانه وتعالى ينذر الناس بها ليعلموا قوة الدخلاء في الفساد وفي تقويض أمر المسلمين ومنع الساسة من تأييد سلطانهم من شدة الفتنة التي يدخلونها عليهم

كان المأمون لعلو همته يحب الوقوف على أحوال رعاياه بنفسه فكان كثير التنقل من اقليم الى آخر فجال في بلاد الشام وتفرج على آثارها ودخل مصر ورأى عجائب مبانيها (وهو الذي فتح الفتحة الموجودة الآن بالهرم الاكبر)

انتقل المأمون الى بغداد فانقطعت بقدمه الفتن وفر أصحاب الفساد
وشرع المأمون في فعل ما يؤثر عنه من جميل الفعال والعناية بالعلوم والمعارف
ومعاشرة العلماء ، الادباء ثم أخذ في غزو بلاد الروم والثغور وغنم فيها وفتحها
سار سنة اثنتى عشرة ومائتين أسد بن الفرات قاضى القروان وهو من
أصحاب مالك وهو مصنف (الاسدية) في مذهبه بجيش في البحر قاصدا
جزيرة (صقلية) فلما وصلوها ملكوا كثيرا من سواحلها واستولوا على
مدينة (سرقوسة) وافتتحوا عمرانها كثيرة حولها وفي هذه الحادثة ظهرت
شدة المسلمين وقوتهم . فانه في أثناء ذلك وصل أسطول من القسطنطينية
فيه جمع كثير وقد حل بالمسلمين وباء شديد ومات اميرهم فأرأوا أن يسيروا
بمراكبهم فوقف لهم الروم على باب المرسى فلما تضايقوا جمعوا أمرهم وأحرقوا
المراكب وعادوا للبلاد فحاصروها واستاموا حصنها وحصنها آخر اسمه
(جرجنت) ومدينة (قصر يانه) ثم استمرت الغزوات ووصلت مراكب
كثيرة من افريقيا فيها المدد للمسلمين وساروا الى ثغر (باليرم) ثم ساروا
الى جبل النار والحصون التي في تلك الناحية وهم في كل ذلك غانمون

وحجج المأمون بالناس سنين عديدة

ثم دخلت سنة خمسة عشر ومائتين فسار المأمون الى بلاد الروم
من طريق انطاكية وافتتح حصن (قرة) عنوة ونحوا من ثلاثين حصنا
أخرى

وكان المأمون كريما ينفق انفاق من لا يخاف الفقر وحسبك انه لما
ابتنى (بوران) كانت عطياته رقاعا فيها أسماء ضياع فكل من سقطت في
يده ورقة أخذ الضيعة المكتوب اسمها فيها

كان غاية في كل علم : أخرج محمد بن أبي حفص الانماطى قال تغدينا
مع المأمون مرة فوضع على المائدة أكثر من ثلاثمائة لون وكما وضع لون قال
هذا نافع لكذا ضار لكذا من كان منكم صاحب دم فليجتنب هذا ومن
كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا وهكذا حتى أتى على فوائد جميع
أنواع الطعام ومضارها بالنسبة لأصحاب الامزجة على اختلاف أنواعها
ومن أغرب ما يؤثر عنه في الذكاء المفرط أن امرأة شكت إليه
فقال يا أمير المؤمنين مات أخي خلف ستمائة دينار فحكم لى القاضي بدينار
واحد . فقال لها المأمون هذا نصيبك . قالت وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟
قال الرجل خلف ابنتين ووالدة وزوجة واثني عشر أخا قالت نعم قال فللبنتين
الثلاثان . أربعمئة . وللوالدة السدس مائة وللزوجة الثمن . خمسة وسبعون
ولكل أخ ديناران ولك دينار

كان مع جالينوس في معرفة النجوم ومع هرmez في الحساب . ومع
على بن أبي طالب في الفقه . فكان يفضل الناس بعقله وكماله ويسود عليهم
بأدبه وحسن مجاملته . أخرج الخطيب عن يحيى بن أكرم قال بت عند
المأمون ليلة فأخذه سعال فأخذ يسد فاه بكم قيصه حتى لا أنتبه .
وكان فيه رفق بخدمه وخاصته . قال عبد السلام بن صالح بت عند المأمون
ليلة فنام القيم الذى يصلح السراج فطفئ فقام المأمون وأصلحه . وقال
الصولى كنفاني السفر مع المأمون فكان يتفقدا في الليل ويغطينا
ومن كلامه : ما أقبح الاجابة بالسلطان والضعف من القضاة والسخافة بالفقهاء
والبخل بالاغنياء والمزاح بالشيوخ . والكسل بالشباب . والجهن بالمقاتل
وكان يحب لعب الشطرنج ويقول انه يشحذ الذهن

وكان يقول ما فتق على في الخلافة فتق إلا وجدت سببه جور العمال
(ولقد صدق المأمون فان المال أيدى الملك وآذانه الذين بهم تدار الامور
في الجهات القاصية البعيدة وتسمع بهم الشكوى فان لم يكونوا متفقين
على تقوى الله عاملين بأحسن السير غير غافلين عن أمر الرعية شيئاً نزلت
بساحتهم المفسد وتجردت عليهم الاعداء وذهبوا وذهبت الجهات العاملين
عليها من قبضة الحكومة وتولى أمرها غيرهم وفي السودان المصرى عبرة
لمعتبر فضلاء الجزر والاماكن والنواحي والبلاد التي كانت للاسلام وصناعات
بهذا السبب)

ومن حكمه قوله : الناس ثلاثة : غداء لا بد منه ودواء يحتاج اليه
في حال المرض . وداء مكروه على كل حال

وله الخطب البليغة والفقر الغريبة ومن ذلك : أعييت الحيلة في الامر
اذا أقبل ان يدبر واذا أدبر ان يقبل . وكان يقول : معاوية بعمره وعبد الملك
ابن مروان بجحجاحه وأنا بنفسى . وكان كما قال عنه الرشيد : فيه حزم المنصور
ونسك المهدي وعزة الهادي

ثم دخلت سنة ثمانية عشر ومائتين فرض فيها المأمون ثلاث عشرة
خلت من جمادى الآخرة بعلة الحمى فأمر أن يكتب الى البلاد بالوصية
والبيعة لآخيه المعتصم ثم أوصاه وصية لم يفلت منها شيئاً من وجوه الخير
فمن بعض ما جاء فيها : « يا أبا اسحق » كنية المعتصم « ادن منى واتعظ بما
ترى وخذ بسيرة أخيك واعمل في الخلافة إذ طوقكها الله عمل المرید له
الخائف من عقابه وعذابه » ومما « خذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل
عليهم في شئ » وانصف بعضهم من بعض وتأن بهم ولا تعجل » ومنها « يا أبا

السحق عهد الله وميثاقه وذمة رسوله لتقوم من بحق الله في عبادته ولتؤثر ن طاعته على معصيته : اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » وهي طويلة ثم مات بالبزدون من أرض الروم ونقل الى طرسوس فدفن بها قال الثعالبي ولا يعرف أب وابن من الخلفاء أبعد قبراً من الرشيد والمأمون ذاك (بطوس) ^(١) وهذا (بطرسوس) ^(٢)

راعى المأمون مصلحة السلطان مراعاة من يريد أن يستقيم له الملك مع الاستطالة ونظر للمصالح العامة نظر السائس الذى يريد أن يحمل كل رعيته على الاجتماع على الرضى بأحكامه من مسلم وكافر حسبما تقتضيه الشريعة الاسلامية : ويجعل المعاند لها مقراً ومعتزفاً بأن قوانينها مجتمعة من الاحكام الشرعية والآداب الخلقية والقوانين الاجتماعية الطبيعية بعراعاة ما يلزم من أصول الشوكة والسلطان الملازمين لاحكام الشرع الشريف ففى أرقى من حكم الحكماء وأدب الادباء ووصفيات من فاق ممن فات من أصحاب القوانين والداستائر ولذلك كان من أكبر همه انتقاء الرجال الذين استنابهم عنه فى أعماله كلها

حاشا لله أن تترك خبر هذه الخصلة الشريفة يمر على الاسماع من غير حكاية مفيدة . وشاردة مثبوتة . تنبىء عن فضيلة الوالى والمولى عليه بعد أن يسر الله لنا الكتاب الذى كتبه طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصرفانه كتاب جمع الوصية بجميع ما يحتاج اليه العامل فى عمله بل السلطان فى دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية

(١) طوس بلدة باقليم خراسان

(٢) طرسوس بلدة فى آسيا الصغرى

والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما
لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة . وهذا نص الكتاب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته
عز وجل ومزايلة سخطه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما ألبسك
الله من العافية بالذكر لمعادك وما انت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول
عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة
من عقابه وأليم عذابه

فان الله سبحانه قد أحسن اليك وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك
أمرع من عبادته والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب
عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبهم والحقن لدمائهم والامن لسرهم وادخال
الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وسائلك عنه
ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا
يشغلك عنه شاغل وانه رأس أمرك وملاك شأنك

وأول ما يوقفك الله عليه وليكن اول ما تلزم به نفسك . وتنسب
اليه فعلك : المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس
والجماعة عليها بالناس قبلك وتوابعها على سننها من اسباغ الوضوء لها وافتتاح
ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك
وتشهدك ولتصرف فيه رأيك ونيتك واحضض عليه جماعة ممن معك
وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر
ثم أتبع ذلك بالآخذ بمنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على

خلافة واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده

وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه
وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه
واهتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق
لله عز وجل ولا تميلن عن العدل فيما أحبت أو كرهت لقريب من الناس
أو لبعيد .

وأثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فإن
أفضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما
يتقرب به إلى الله عز وجل فإنه الدليل على الخير كله والقائد إليه والآمر به
والناهي عن المعاصي والموبات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء
معرفة واجلالاً له ودركاً للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس
من التوفيق لأمرك والهيبة لسلطانك والآنسة بك والثقة بعد لك

وعليك بالاعتصام في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعاً ولا أخص
امناً ولا أجمع فضلاً منه والقصد داعية إلى الرشd والرشd دليل على التوفيق
والتوفيق قائد إلى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتصام وكذا
في دنياك كلها

ولا تقصر في طلب الآخرة والاجر والأعمال الصالحة والسنن بلعروفة
ومعالم الرشd والاعانة والاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به
وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة أولياء الله في دار كرامته . أما تعلم أن
القصد في شأن الدنيا يورث العز ويمحص من الذنوب وإنك لن تحوط نفسك
من قائل ولا تنصالح أمورك بأفضل منه فإنه واهتد به تم أمورك وتزيد

مقدرتك ويصلح عامتك وخاصتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك
 رعيتك والناس الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك
 ولا تهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره
 فان ايقاع النهم بالبرآء والظنون السيئة بهم آثم ثم . فاجعل من شأنك
 حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعينك
 ذلك على استطاعتهم ورياضتهم ولا تتخذن عدو الله الشيطان في أمرك
 معمداً فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن
 بهم ما ينغص لذاذة عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي
 به ما أحبت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة
 في الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرافة برعيتك أن
 تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لامور الاولياء وحيطة
 الرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك
 فانه أقوم للدين وأحيا للسنة

وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه
 مسئول عما صنع ومجزي بما أحسن ومؤاخذ بما أساء فان الله عز وجل جعل
 الدنيا حرزاً وعزاً ورفع من اتبعه وعززه

واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الاهدى وأقم حدود
 الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل
 ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك
 ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة
 وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتم لك مروءتك .

وإذا عاهدت عهداً فأوف به وإذا وعدت الخير فأتجزه وأقبل الحسنة
وادفع بها واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك واشدد لسانك عن
قول الكذب والزور وابغض أهل النيمة فإن أول فساد أمورك في عاجلها
وآجلها تقرب الكذب والجرأة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم
والزور والنيمة خاتمها لأن النيمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب
ولا يستقيم له أمر .

واحجب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء
وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزازه أمره والتمس فيه ثوابه
والدار الآخرة

واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك وأظهر براءتك
من ذلك لرعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي
تنتهي بك الى سبيل الهدي

واملك نفسك عند الغضب وآثر الحلم والوقار وإياك والحدة والطيش
والغرور فيما أنت بسبيله

وإياك أن تقول أنا مسلم أفعل ماأشاء فإن ذلك سريع الى نفص الرأي
وقلة اليقين لله عز وجل واخلص لله وحده النية فيه واليقين

واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء
ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة الى أحد أسرع منه الى جهلة النعمة من
أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفروا نعم الله واحسانه
واستطالوا بما أعطاهم الله عز وجل من فضله

ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتسكنز

البر والتقوي واستصلاح الرعية وعمارمة بلادهم والتفقد لأموالهم والحفظ
لدمائهم والاغاثة للمهوفهم

واعلم أن الاموال اذا اكتنزت وادخرت في الخزائن لا تنمو واذا
كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم نمت وزكت
وصلحت به العامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز
والمنفعة فليكن كنز خزانك تفريق الاموال في عمارمة الاسلام وأهله
ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم
وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك واستوجبت
المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية أموال رعيتك وخراجك أقدر
وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أساس لطاعتك

وطب نفساً بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا
الباب وليعظم حَقُّك فيه وانما يبقى من المال ما أنفق في سبيل الله وفي سبيل
حقه واعرف للشاكرين حقهم وأثبهم عليه وإياك أن تنسيك الدنيا
وغرورها هول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط
والتفريط يورث البوار

وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد
أسبغ عليك فضله .

واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً واحساناً فان الله عز
وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين . ولا تحقرن ذنباً
ولا تمالئن حاسداً ولا ترجمن فاجراً ولا تصلن كفوفاً ولا تداهنن عدواً
ولا تصدنن غامماً ولا تأمنن عدواً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاويماً ولا

تحمدن مرأيتا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيراً ولا تحسنن باطلا
ولا تلاحظن مضحكا ولا تخالفن وعداً ولا تذهبن خيراً ولا تظهرن غضبا
ولا تباينن رجاء ولا تمشين مرحا ولا تذكين سفها ولا تفرطن في طلب
الآخرة ولا ترفع للنمام عينا ولا تغمض عن ظالم رهبة منه أو محابة ولا
تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا

واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب
وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والبخل
ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من نفعهم

وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح
واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت
كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف
عن أموالهم وترك الجور عليهم

ووال من صفالك من أوليائك بالانصال اليهم وحسن العطية لهم
واجتنب الشح واعلم انه أول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة
الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
فسهل طريق الجود بالحق

واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظا ونصيبا وأيقن ان الجود أفضل
أعمال العباد فأعده لنفسك خلقاً وارض به عملا ومذهباً وتفقد الجند في
دواوينهم ومكاتبهم وادر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب
الله عز وجل بذلك فاقهم فيقوى لك أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك
وأمرك خلوصا وانسراحا

وحسب ذى السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في
عدله وعطيته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فذلك مكروه أحد
البايين باستشعار فضله الباب الآخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى
به نجاحا وصلاحا وفلاحا

واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس له به شيء من الامور
لانه ميزان الله الذي يعدل عليه أحوال الناس في الارض وباقامة العدل في
القضاء والعمل تصالح أحوال الرعية وتأمين السبل وينتصف المظلوم
وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله
العافية والسلامة ويقيم الدين ويجرى السنن والشرائع في مجاريها

واشتد في أمر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة الحدود
واقبل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك
وانتبه في صحتك واسدد في منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة
وابلغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيته محابة ولا مجاملة ولا لومة
لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك
وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء
فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتها كالحا بغير حقها

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام
عزاً ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه كبتاً وغيظاً ولاهل الكفر من
معاديهم ذلاً وصغاراً فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعزم
ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا عن كاتب لك
ولا لاحد من خاصتك ولا حاشيك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا

تكلف أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك أجمع
لألفتهم والزم ارضاء العامة

واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي أهل عملك
رعيتك لانك راعيتهم وقيمهم فخذ منهم ما أعطوك من عفوفهم ونفذه في
قوام أمرهم وصلاحتهم وتقويم أودعهم واستعمل عليهم أولى الراى والتدبير
والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق
فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك فلا يشغلك عنه
شاغل ولا صرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقت فيه بالواجب استدعيت
به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة في عملك واستجرت به المحبة
من رعيتك وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت المارة
بناحياتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت أموالك
وقويت بذلك على ارتباط جنحك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من
نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت
في أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيئا
تحمد عاقبة أمرك ان شاء الله تعالى

واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك خبر عمالك ويكتب اليك
بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاينا لا موره كلها واذا
أردت ان تأمرهم بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت
السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والافتوقف
عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في
أمره وقا أتاه على ما يهوى فاغواه ذلك وأعجبه فان لم ينظر في عواقبه

أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد
عون الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وافرغ
من عمل يومك ولا تؤخره وأكثر مباشرة بنفسك فإن لغد أموراً وحوادث
تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت

واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه فإذا أخرت عمله اجتمع عليك
عمل يومين فيشغلك ذلك حتى ترضى منه وإذا أمضيت لكل يوم عمله
أرحت بدنك ونفسك وتستيقن أمر سلطانك وانظر أحرار الناس
وذوى الفضل منهم ممن بلوت صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك
ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد
أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل مؤنتهم واصلح حالهم
حتى لا يجردوا خلتهم مسافراً وافر نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين
ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه
فسل عنه أخفى مسئلة وكل بأمثاله أهل الصلاح في رعيته ومرم برفع
حوادثهم وخلاتهم لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء
ويتامم وأراملهم واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداء بأمر المؤمنين
أعزاه الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشتهم
ويرزقك به بركة وزيادة واجر للأمراء من بيت المال وقدم حملة القرآن
منهم والحافظين لاكثره في الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين
دوراً تأويهم وقواماً يرفقون بهم وأطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم
بشهوراتهم مالم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال

واعلم أن الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانتهم لم تبرمهم وربما

تبرم المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره
منها ما ينال به مؤونة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن
أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستقرى ما يقربه الى الله
تعالى ويلتمس رحمته . واكثر الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسكن
حراسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك ولن لهم في المسئلة
والنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب
نفس والتماس للصيغة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على
ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان
والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة . ثم اعتصم في أحوالك كلها بالله
سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وباقامة دينه
وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله عز وجل واعرف
ما تجمع عمالك من الاموال ما ينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق
اسرافا واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع
السنن واقامتها واشار مكارم الاخلاق ومقاتلتها وليكن أكرم دخلائك
وخاصتك عليك من اذا رأى عيباً لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في
ستر واعلامك بما فيه من النقص فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك
لك وانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابك فوقك لكل رجل منهم
في كل يوم وقتا يدخل فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك
وأموال الدولة ورعيتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك
وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبير له فا كان موافقا للحق والخزم

فامضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه الى المسئلة
عنه والتثبت ولا تمن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل
من أحد الا الوفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين ولا تضعن المعروف
الا على ذلك . وتفهم كتابي اليك . وامعن النظر فيه والعمل به واستمعن
بالله على جميع أمورك واستخره فان الله عز وجل مع الصالح وأهله وليكن
أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضا ولدينه نظاماً ولاهله
عزاً وتمكيناً وللملة والذمة عدلاً وصلاًحاً وأنا أسئلكم الله عز وجل أن يحسن
عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك والسلام »

إذا افتخرت بالابناء الآباء وازدهت المنابر بالخلفاء فالأماون سيد
النجباء ورئيس الحكماء وزين العلم والعلماء ولكن انشقت العائلة الحاكمة على
نفسها وتولت هذا الشقاق يد الأعداء فالبثت هذه الحالة ان استعصى علاجها
على الحكماء والأمراء والقادة وفتح باب للشر كان مغلقاً وكل هذه الحوادث
ضربها الله مثلاً للعظة والاعتبار ليأخذ كل قائم منها بنصيب ويضرب فيها
بسهم ويتقى الله في نفسه وفي رعيته ويحمل هذه الحوادث بمنزلة المدارس
والواعظ له ليقول الانسان عنها على سبيل التعزية : « ان كانت أساءت
قوماً فلقد انتفع بها قوم آخرون ، خال الكثير من هذه الحال قريب
والعاقل من اعتبر بغيره وقاس يومه على ماضيه . ونظر الى الدنيا وقرأ
عظات الدهر في صفحات أيامه فانها الجريدة الباقية على ممر الأزمان التي
لا تحو سطورها يد الحدثان ولا يبليلها مر الجديان

المعتصم بالله

هو أبو اسحق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمان وسبعين . كان ذا شجاعة وقوة وهمة وكان يقال له (المثنى) لانه ثامن الخلفاء من بني العباس . ثامن ولد للعباس . ثامن أولاد الرشيد . وملك سنة ثمان عشرة . واستمر في ملكه ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانياً وأربعين سنة . وفتح ثمانية فتوح . وأسر ثمانية ملوك وخلف ثمانية أولاد وثمانية أناث كانت قلوب الجنود أشربت الخلاف بما شهدوه من الوقائع بين الامين والمأمون أزمان كانوا يساقون للعصيان لقضاء وطر النفوس الشريرة الخارجة على القائم بالخلافة فتأصلت في النفوس حاجات وفي الطباع خصال لا ينبغي أن تلامس قلب الجنود المطلوب منهم الطاعة والانقياد لا ميرهم بويح للمعتصم فتشعب الجند عليه ونادوا باسم العباس بن المأمون وأخذوا يطرقون الباب الذي دلم عليه أسراؤهم من قبل فأرسل المعتصم الى العباس وأحضره فبايعه ثم خرج العباس الى الجند وقال لهم قد بايعت عمي فسكتوا وانصرف المعتصم الى بغداد ومعه العباس بن المأمون قال ابن المقفع : « ان الذي يصول على أعدائه بجيش لا يعلم دواخل صدورهم يكون مثله كمثل راكب الاسد : الناس تراه فتوجل منه وراكب الاسد أشد وجلا » لذلك اضطر المعتصم أن يستخدم نحواً من خمسين ألفاً من التركمان مخافة أن توقع به الجنود واتخذ منهم لنفسه حراساً وولاهم محافظاة الثغور والحدود فكانوا يزدادون يوماً عن يوم حتى كانت القوة بأيديهم في عهد الخلفاء من بعده كما ستقف عليه ان شاء الله

من أجل هذا حكم جماعة من المؤرخين بأن الخلافة العباسية انتهت بالمعتصم
إذا كان حكم المؤرخين على الدولة العباسية بالانتهاء كان مجرد استخذامها
جنداً غير العرب فيماذا حكمهم على أمة من المسلمين رضخت لغيرهم وتمثلت بهم
وهم يخالفونها في كل مذهب وزادت بها السماجة حتى أصبحت تعتقد أن التشبه
بهم فلاح (ان في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

كان المعتصم طيب الأخلاق سديد الرأي قويا ذا نبذة وهمة . يروى
عنه انه بلغه أن نيو فيل ملك الروم خرج وأغار على بلاد الاسلام وان امرأة
هاشمية صاحت وهي في أيدي جنده : « وامعتصماه ! » فأجابها وهو جالس
على سرير ملكه « لبيك لبيك !! » وقام من ساعته ناهضاً وجمع من وقته
جيشاً لم يماثله فيه أحد عددا وعدداً

وأوقف ما يملكه من الضياع ثلثاً لولده وثلثاً لله تعالى وثلثاً لمواليه
وقصد مدينة (عمورية) وهي أشرف لدى الروم من القسطنطينية ولم
يتعرض لها أحد منذ كان الاسلام فوصلها وجري بين المسلمين والروم
عليها قتال شديد

استولى المسلمون على المدينة المذكورة ومنحهم الله النصر العظيم
وأراد المعتصم المسير بعد هذا النصر الى القسطنطينية والنزول على خليجها
والحيلة في فتحها براً وبحراً فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه وذلك
أن العباس بن المأمون اجتمع عليه بعض أناس وأغروه وباعوه وانه كاتب
طاغية الروم فأعجل المعتصم في مسيره حتى يدفع عنه هذه الفتنة الداخلية
وهكذا أهل السوء تنهز مثل هذه الاوقات التي يتفرغ فيها القائم لعمل
عظيم وتقف أمامه بالفتن والمفاسد وتسد طريق سعادتها الدنيوية والاخرية

فتتخالف في موضع الاتفاق وتتقاتل في ساعة التناصروتناهب في أوقات المناصفة. وتدعوها خلال السوء لان تستمد للوثبة عند عدم الحاجة اليها. وهذه الطائفة حائل مانع دون كل الفوائد والرغبات تجنى على نفسهاودينها وملتها جنابة لا يغفرها لها رب الدين وخالق العالمين

استكثر من الجند حتى ضاقت بهم بغداد فخذد بناء مدينة (سر من رأى) وتحول اليها وخرجت في زمنه جماعة من الثوار وأصحاب الاقوال والمدعيات فكسبه الله من رقابهم ولم يجتمع خليفة ما اجتمع للمعتصم من الظفر والنصر أسر ملك أذربيجان . وملك طبارستان . وملك استسيان . وملك اشباصح . وملك فرغان . وملك تخارستان . وملك الصفه . وملك كابل . وبلغ ما أراد وزاد عليه بحيث لو كانت هذه الهمة صادفت صفاء من الوقت وحفاظا من النظام وروحا من الطاعة وولعا وعشقا من الامة في تأييد الخلافة ولم تكن الامور معرضة للخطر واستنباط ضروب الخروج على القائم لقضاء حاجة في النفس لكانت هذه المدة من أكبر وسائل السعادة للامة الاسلامية

وقد أسهب جماعة المؤرخين في وصفه وسعة أخلاقه وكريم عشيرته وانه لم يكن أسمح منه بالنفقة في وقت الحرب . وروى عنه أنه تصدق بمائة مليون درهم . ومن مكارم أخلاقه ان انقطعت عنه أصحابه في يوم مطير فبينما هو يسير إذ رأي شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد زلق الحمار وسقط والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيعينه فنزل المعتصم عن دابته وخلص الحمار عن الوحل ورفع عليه حمله وانتظرا أصحابه ووكل منهم به من يسير معه قال اسحق ابن ابراهيم : سألت المعتصم فقال نظرت الى أخي المأمون

وقد اصطنع أربعة فأفلحوا واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم فقلت أجيـب
على أمان من غضبك . قال نعم . قلت له يا أمير المؤمنين نظر أخوك الى
الاصول فاستعملها فانجبت واستعمل أمير المؤمنين فروعا فلم تنجب إذ
لأصول لها فقال يا اسحق : لمقاساة ما مربى طول هذه المدة أيسر على
من هذا الجواب

(ان عدم التخير في انتقاء حاشية الخلافة التي تشرف على عموم الامة
يتقلب بها الحال في كل وقت الى أشأم ما يكون لانهم لقربهم من الملك
يحلون بجملهم القطيعة محل التراحم والتخاصم مكان التعاون والحرب موضع
السلام ويصبح الاجتماع البشري بسببهم معرضاً للهلكة لان هذه الطائفة
أقرب الناس الى الملك وهي التي تمثل طباعه وأغراضه ولا ينبغي ان يكون
في طباعهم تقصير عن الكمال الواجب لهم)

كان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها أموراً محمودة . فأولها عمران
الارض التي تحيا بها العلم وعليها يزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش
الانعام وتزدهن الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش . ولذلك كان
يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة
دراهم جاء بعد سنة بأحد عشر درهما فلا تؤامرني فيه . ولذلك كثر في أيامه
العمران واختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأفرد
أهل كل صنعة بسوق وبنى الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور
وسائر ما ينتفع به الناس

ثم اختاره الله سبحانه وتعالى للدار الآخرة فقصي في قصره المعروف
بالخاقاني يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وعشرين

ومائتين . وقال عند ما احتضر « ذهبت الحيلة فليس لى حيلة »
وكان للمعتصم كلمات فصيحة وشعر لا بأس به وسيرته هذه اذ لوحظ
فيها ما طرأ على مصالح البشر من الفساد وما قذفت به الامة الاسلامية
نفسها في مهاوي الشر من الطيش والنقص تكون خير نذير لما فيها من
المنفعة وإشعار القلوب بلزوم الارتباط والاتحاد والتغلب على الشهوات
التي تذهب حرمتها وتهدم بناءها وتفقد ما قصد بوضعها

اللهم فناشر زغات الاهواء وانزع من نفوسنا حب الغلبة على ما
حولنا وصرف ارادتنا فيما فيه نجاح البلاد والعباد وألهمنا معرفة العارفين
وارادة المختارين لتستشعر نفوسنا بالخير الذي هي مسوقة اليه آمين
﴿ المتوكل على الله جعفر ﴾

هو المتوكل على الله جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد . بويج له
في ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

كان المتوكل ذكى الفكرة ذكى الفطرة ظهيراً للسنة يميل لعمل أهلها
ونصرتهم والمدافع عنهم فأخذ منذ ملك قياد الامر في رفع المحنة التي وقعت
والبلية التي عظمت وهي محنة القول بخلق القرآن التي استمرت من عهد
المأمون الى عهد المتوكل . وانقضت السنين الطويلة والامة لا تعان على
صرف بليتها عنها مع انها على غير طائل وقد أصاب جماعة المسامين منها ضرر
وأى ضرر . وأمر بترك النظر والمباحثة والجدال والترك لما كان عليه الناس
أيام المعتصم والوائق وأمر بالتسليم والتقليد

كتب المتوكل الى الآفاق في سنة أربع وثلاثين بترك هذه البدعة
واستقدم المحدثين الى سامرا (سر من رأى) للتحديث وإظهار السنة والجماعة

وأجزل عطايهم وأكرمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية وأجلس أبا بكر بن شيبه في جامع الرصافة فاجتمع اليه نحو من ثلاثين ألف نفس . وأجلس أخاه عثمان في جامع المنصور فاجتمع اليه أيضا نحو من ثلاثين ألف نفس وتهلل الناس فرحا وانطلقت الالسنه بالدعاء للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه ووافق ذلك اصابة ابن أبي دؤاد (محدث هذه البدعة ومبتدعها) بفالج صيره حجرا ملقى فأزاح الله هذه البلية ورفعها عن امة نبيه صلى الله عليه وسلم واستراح الناس

أخذت جماعة المؤمنين في الثناء على المتوكل وتعظيمه حتى قال قائلهم «الخلفاء ثلاثة» (أبو بكر) رضى الله عنه في قتل أهل الردة (وعمر بن عبد العزيز) في رد المظالم (والمتوكل) في احياء السنة وإمارة التجهم

اللهم لاسيطرة على خلفاء الاسلام ولكن الانسان يستخذى من نفسه اذا وجد أن عهداً طويلاً وزماناً مديداً استوعب خلافة أربعة من الخلفاء ينقضى في أمر بدعة كان يسع فيها جماعة المسلمين ماوسع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والانصراف الى فتح الفتوح والتوجه لما فيه المنفعة استجلاباً لحسن السيرة والنظر في الضوابط السلطانية والامور الحربية بالجمع والتفريق والتبعيد والتقريب والتشيت والتأليف واستعمال المجربين الذين أمنت خيانتهم وتحققت أمانتهم حتى ينقلوا طبع الامة من الميل الى الاعتدال ويعرفوها صفات الخير والصالح

ينبغي للامة الاسلامية أن تتمعظ بمثل هذه الحوادث فتتجنب كل ما يؤديها للتفرقة ويجرها للتباغض ويجعل سهمها بينها فان شر الافتراق قد جر عليها ما جرهم من الويل والشبور وأصبحت وقد ضرب بينها بسور

من التخاصم والتباغض ولا حول ولا قوة الا بالله

وفي سنة ثمان وثلاثين حدثت حوادث جوية عظيمة منها خروج رياح بالعراق شديدة السموم أحرقت الزرع ومنعت الناس المعاش. وزلازل في جهة انطاكية خرت منها الجبال وتقطعت. ووقع من السماء برد في حجم الحجارة. وغارت عيون الماء بمكة فأرسل المتوكل لاهل البلاد التي دهمتها هذه الحوادث بما تعطف به من الاحسان

وبعث الى بلد الله الحرام بمائة ألف دينار لاجراء الماء من عرفات ليها. انتهب المتوكل من أيام الخلافة التي كانت ممنوعة بالمشاكل أياما شغل فيها بالفتوحات ففي خلافته فتح العباس بن الفضل أمير صقلية بهالفتوحات العظيمة واستولى على قصر يانة

ولما استولى المسلمون على جزيرة صقلية وافتتح جالية الاندلس اقريطش اغتاز الروم وجهزوا نحو ثلاثمائة مركب عليها ثلاثة أمراء فاخذت بالجلولان في عرض البحر الأبيض المتوسط تنهز الفرص للايقاع بالمسلمين من ذلك انهم انتهوا الى مدينة دمياط بمائة مركب وخرجوا على غرة من أهلها وكانت فارغة من الجند فاحرقوا وسبوا وتقدموا حتى وصلوا مصر ثم رجعوا ويقال انه لم يتعرض لهم أحد في طريقهم

وفي خلافته افتتح (بغا) قائد جنوده مدينة (تفليس) ^(١) وغزا المسلمون الروم عدة مرات فغنموا وفتحوا وغز الفضل بن خاقان بالاساطيل فافتتح حصن انطاكية وفي خلافته أغار (البجاة) ^(٢) وامتنعوا من أداء

(١) تفليس قاعدة الحكومة المحلية في بلاد القوقاز التابعة لدولة روسيا الآن

(٢) وهم البشارية الساكنون بالجهة الشرقية من النوبة بين البحر الاحمر والنيل

الجنس على مصر حتى ولى محمد بن عبد الله القمي اسوان وقفط والاقصر
واسنا وأرمنت وأمر بحربهم فزحف عليهم فانهزموا واستأمنوا على أداء
الخراج كما كان

كانت أيام المتوكل أحسن الأيام وأنضرها لحبه في استقامة الملك
وشمول الناس بالامن ورخص السعر وبث العدل وكونه وسطا في كل
شيء : في جوده وإمساكه ومضاحكه وهزله ومجونه وطربه . وكان ولما
بالادب محبا للشعر والشعراء وهو الذى يقول فيه بعضهم

فامسك ندى كفيك عني ولا تزد فقد خفت أن أطنى وأن أتجبرا
وظهرت في مدته ثياب لباس الملحم وهي في نهاية الحسن والصنيع
وجودة الصنع وعرفت بالثياب المتوكلية . وحدث في أيامه بناء لم يكن
الناس يعرفونه وهو المعروف بالخيرى والكمين والاروقة نسبة الى ملوك
الحيرة وهو عبارة عن رواق فيه صدروميمة وميسرة وخزنة للكسوة
وبيت لما يحتاج اليه من شراب وغيره

ولم يعلم بأحد متقدم في صناعته في جد أو هزل الا وقد حظى في
دولته بنصيب وسعد في أيامه فكانت أيامه مزهرة بكل جميل

كان ولما يحب أهل الخير والصلاح عاشقا للعلماء حتى انه لما ظهر في
عهدده في مصر (ذو النون) وتكلم في ترتيب الاحوال ومقامات أهل الولاية
وأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم رئيس مصر وأجل أصحاب ابن
أنس رضى الله عنه في زمانه وقال بأنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف
ورماه بالزندقة وبلغ الامر المتوكل أمر باحضاره فاستدناه وسمع كلامه

ويوجد الآن من ذرايعهم هناك وفي اسوان ولهم عمل في حوادث السودان

فولع به وأحبه وأدرك منزلته وإكرامه وكان يقول : « إذا ذكر الصالحون فجهلا بذى النون » . وكان متمذهباً بمذهب الشافعي رضي الله عنه . وهو أول خليفة اتخذ مذهباً وكان يقول : « أيها الناس إن محمد بن إدريس المطالي قد صار إلى رحمة الله وخلف فيكم عملاً حسناً فاتبعوه تهتدوا » اللهم أرحم محمد بن إدريس رحمة واسعة وسهل على حفظ مذهبه وانفعني به » وكان لا يأنف من الموعظة : من ذلك أنه جمع في داره مجلساً من العلماء وكان فيهم أحمد بن المعدل وغيره فخرج عليهم فقام الناس غير أحمد بن المعدل فقال المتوكل لعبيد الله : « ما باله » قال : إن في بصره سوء . فسمعها أحمد ابن المعدل فقال : يا أمير المؤمنين ما في بصرى سوء ولكن نزعتك من عذاب الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن تتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » فسر به المتوكل وجلس إلى جانبه ومن كلامه مع يزيد المهلبى : « إن الخلفاء كانت تصعب على الرعية لتطيعها وأنا أئبى لهم ليحبوني ويطيعوني »

كان مدركا خطارة مركز الخلافة والمسؤولية التي تحيط به فكان يذوق منها مرارة العواقب كما يسيغ حلاوة المآرب وكان في أغلب أوقاته مطرقاً مفكراً

دخل عليه مرة وزيره الفتح بزخاقان وهو على هذه الحالة فقال له : ما هذا الفكر فوالله ما على ظهر الأرض أطيب منك عيشاً . قال : « يا فتاح أطيب مني عيشاً رجل له دار واسعة وزوجة صالحة ومعيشة حاضرة لا يعرفنا فنؤذيه ولا يحتاج إلينا فنزدريه »

كان المتوكل يروى الحديث عن أبيه وجده ومات في عهد خلافته

الكثير من خيار الناس والعديد العديد من شرارهم فمن خيار الامة الاعلام
ذو النون المصري . وأبو ثور والامام أحمد بن حنبل ودفن بباب حرب في
الجانب الغربي بمدينة السلام . وعبد الملك بن حبيب امام المالكية . وسخنون
صاحب التأليف . واسحق بن راهويه . ومن أصحاب الفتن ابن دؤاد صاحب
فتنة القول بخلق القرآن . وأبو بكر الهذلي العلاف شيخ الاعتزال . وجعفر
ابن حرب من كبار المعتزلة فأزال الله بموتهم عن الامة ما كان محيطا بها من
الخبال وما اكتنفها من سوء الحال

وأخرج أحمد بن حنبل قال : سهرت في ليلة ثم نمت فرأيت في نومي
كأن رجلا يرج به الى السماء وقائلا يقول :

مالك يقاد الى ملك عادل متفضل بالعفو ليس بجائر

ثم أصبح الصبح فجاء نعي المتوكل من « سر من رأى » الى بغداد
وكان له تعلق شديد بالفتح بن خاقان وزيره . ومن أغرب ما وقع ان
المتوكل قال للبحترى « قل في وفي الفتح شعراً فاني أحب أن يحيا معي ولا
افقده فيذهب عيشي » . فقال في هذا المعنى :

كيف أخلفت يا حبيبي وعدي وتشاقلت عن وفاء بعدي
لا أرني الايام فقدك يا « فة » ولا عرفتكم ما عشت فقدى
أعظم الرزء أن تقدم قبلي ومن الرزء أن تؤخر بعدي
حذراً أن تكون إلفاً لغيري إذ تفردت بالهوى فيك وحدي
فقتلا معاً

وأغرب من ذلك ما حدث به البحتري قال : اجتمعنا ذات يوم في
مجلس المتوكل فتذاكرنا السيوف . فقال بعض من حضر : وقع لرجل

من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير . فامر المتوكل بكتابة كتاب الى عامل البصرة بشرائه مائة مائة . فنفذت الكتب . قال البحترى وبيننا نحن عند المتوكل في ليلة أخرى إذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه فسر المتوكل به وانتضاه واستحسنه وجعله تحت ثني فراشه فلما كان الغداة طلب من الفتح ابن خاقان غلاما يثق بنجدته وشجاعته فجاءه بياغر التركي فدفع اليه السيف وزاد له الرزق ولم تمض الايام حتى قتل المتوكل بذلك السيف من يد باغر المذكور قياماً بغرض المنتصر

كان السبب في قتل المتوكل ذلك الخطأ الشديد وسوء التصرف في أمر ولاية العهد ولم يعتبر بما كان من أمر الرشيد في الامين والمأمون فبايع المتوكل بولاية العهد لابنه المنتصر ثم المعتز ثم المريد وولى كل واحد منهم قسماً من المملكة

ثم بدله أن يقدم المعتز لمحبه لأمه فسأل المنتصر أن ينزل عن ولاية العهد فأبى فكان يحضره مجلس العام ويحيط من منزله ويتهدده ويشتمه ويوعده . فإزال المنتصر يرتقب الفرص حتى تحقق أن الجيش التركي الذي اتخذ المتوكل انحراف عنه لا موفاتفق معهم على قتل أبيه فدخلوا عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس أنسه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة سبع وأربعين ومائتين

وفي ذلك يقول البحترى من قصيدة له

أكان ولي العهد أضمر غدره فن عجب أن ولي العهد غادره
فلا ملك الباقي تراث الذي مضى ولا حلت ذاك الداء منابر
ألا انما المطمئن للعالم مغرور للدهر جاهل فبهى دار لا يدوم

نعيمها ولا يتم سرورها ولا يؤمن محذورها قرنت السراء بالضراء والشدة
بالرخاء والنعيم بالبلوي وجعلت خاتمة كل نعيم فيها زواله . عزيزها ذليل
وقويها مهين وغنيها محروب وعظيمها مسلوب وليس أبقى على صفحات
أيامها من عمل مقصود به الخير والبر والاحسان فهي التي تعجز عن أن تأكله
بأنياب فنائها ولا يزال يذكر به فاعله وهو على جدة لا يبلى فآله سبحانه
وتعالى يوفقنا للعمل النافع الدائم الذي لا تبليه الايام ولا تفنيه الاعوان آمين
﴿ نبذة تاريخية ﴾

قد أتينا فيما سبق من رسائل (حمة الاسلام) بما شاء الله ان نكتب
من تراجم خلفاء الدولة العباسية واتصل بنا الكلام لحد توجة (الخليفة
المتوكل) نخالفنا بذلك أكثر فلاسفة المؤرخين لاعتبارهم تلاشي واضمحلال
الدولة العباسية من قبل ذلك أي (بخلافة المعتصم) لانه انحرف عما وجبه
عليه حق الجماعة فجعل كبار قواده وعمال جبايته وحاشية خلافته وجنديته
من غير اللب الخالص من صميم العنصر العربي

ولكن لما كان من العدل اظهار الفضل وكان (للمتوكل) رحمه الله
حسنات كثيرة من أجلها وقوفه امام فتنة القول بخلق القرآن التي هدت
الخلافة العباسية وصرفت عن كثير من وجوه الخير حتى أبطلها . ثم
تصديه لاحياء السنن الشريفة المعطلة وامانة البدع السيئة المنتشرة حتى سمي
« أبا بكر الثاني » ختمنا به تراجم تلك الخلافة ليكون خاتمة خيرها ولكي
لا تغيب عن الذكر أفعاله وفضائله هذه

اضمحلت الخلافة العباسية بالاسباب التي اضمحلت بها الخلافة
الاموية من جهة الخروج عن جادة العلم والعدل وزادت عليها عوارض

أخرى أصابتها متتالية فكانت أشد بلاء من تلك الاسباب المتقدمة :منها كثرة المذاهب واضطهاد الائمة والتفرق في الاعتقاد وظهور أصحاب الدعوات الباطلة كالباطنية والفاطمية والشيعة والمعتزلة والرواندية وغيرهم ومنها كثرة وجود خلاء الاعاجم الذين فعلوا في الدولة العباسية ما لا يفعله العدو الفاتك بعده

ان المستقرى للحوادث المتتبع لما جريات الاحوال يحكم بأن دخول طائفة الديلم والاعاجم في خدمة الخلفاء مقصود منه اضمحلال هذه الخلافة بأيديهم ادخلت هذه الطائفة نفسها في خدمة الخلافة بقصد الانتقام والاخذ بشار الفتوحات الاسلامية التي قامت بها العرب في بلادها من أول فتح المدائن الى عهد الفتوحات العباسية « والخلفاء غفلت عن ذلك » وهو ما تؤيده الاعمال الوحشية التي وقعت من عامة الجند والاقوال الصريحة التي سمعت من كبار قواده

أظهر هذا وهذا ان في النفوس حزازات قديمة وفي الصدور صفائن كامنة وان كل أعمالهم أعمال المنتقم لنفسه المضرر التشقى بالعدوان اماتوا المنتصر مسموماً والمستعين بالله مذبحاً . والمعتز بالله معذبا عطشان . والمقتدى بالله مقتولا . والمنتقى بالله مسمولا . (١) وهكذا لكل خليفة عندهم قود ودام هذا التجرد والعدوان متواصلا منهم على مقام الخلافة وهم يتفننون في ايصال المكروه اليه وايقاع الاذى به كالخلع والتمثيل والتقتير والتعطيش حتى نمت فيهم القوة وخافتهم الناس اتقاء شرهم وظهر كامن الغيظ من رؤسائهم (والظلم كمين في النفس القدرة تظهره والضعف يخفيه)

نسمع من (مرداويج) مقدم الديلم باصفهان الذي مات في خلافة الرازي سنة عشرين ومائتين يقول «سأرد دولة المعجم وأحق دولة العرب» (رواه السيوطي في تاريخه المعروف بتاريخ الخلفاء) وقد أعينوا على ذلك بقدر من الله وقضاء سابق فجلوها عن بغداد وفعلوا بآثارها ما لا يفعله السوس بالصوف

الدخلاء في كل ملة ودولة موضع تنازع مستمر وظلم من الآخر حالكة وكثيراً ما هدموا قصور السلاطين والأمراء من كل أمة . وشر هذه الطبقة لا يقف عند حد . وأقرب مذكور منهم من استخدمتهم الدولة العلية «صانها الله» في خاصة خداماتها من الأرمن والبلغاريين وغيرهم من أهل البوسنة والهرسك . ثم ما أحاط بالامة المصرية حتى نزل بها في هاوية الهلاك كانت ولا تزال يد الأغراض من كل دولة تدير حركة هؤلاء الأجانب من وراء الحجاب فيتحركون وفق إرادتهم (كاشباح اللاعب) فينشئون سحجاً من الأوهام والباطيل يقدفون بها في عقول الخاصة فضلاً عن العامة حتى يتم لهم من الفتنة ما يريدون

وصلوا بسوء أفعالهم في الدولة العباسية إلى أن قتل الأخ أخاه ووقعت بين الناس حالة من الوحشة حتى ظنوا بأنفسهم سوءاً وخافوا كيدهم بعضهم بعضاً وانها لموعظة تبقى بقاء الدهر تزعج الغافل وترجع بلب الذاهل وتحمل للمعتبر بها من أهل الساطن على رعايتها ليستقيم إليه أمر الناس تخللت الخلافة العباسية شؤون وأمور ذات بال بعضها يذكر للبركة ونيل الأجر بإذاعة الفضل وبعضها يذكر حتى يتعظ به المهتدي ولا بد لنا من أن نأتي عليها قبل الانتقال إلى ذكر (حماة الاسلام) في الدول الإسلامية

الآخري لانها لهذه الخلافة تبع: منها تراجم الاربعة الائمة رضوان الله عليهم
وما خصهم من الفضل وابتلاهم به من الحن كأبي حنيفة ومالك بن أنس
والشافعي وابن حنبل رضى الله عنهم لموافقة أزمانهم لصدر الخلافة العباسية
ولانهم زينة تراجم (حماة الاسلام) إذ هم بهجة مفاخر الانام . ومنها ما حدث
في مصر من التحالف مع سدة الخلافة العباسية في عهد المعتضد ونزوعها
للاستقلال جرياً وراء أغراض (أحمد بن طولون) والشقاء الذى نجم عنه في
الدولة العباسية والويل الذى جر هذا العمل على أهل مصر لاتباعهم هواه
وسيرهم على وفق خطرات أفكاره بلا ترو ولا تفكر حتى انجلى الامر
بصرف وجوه المصريين عن باب الخلافة وأصبحوا مالمعة دولة الاخشيدية
وخلافة الفاطميين التى سنت لهم سنناً تعدت ضروب المحال . ومنها دخول
القائد جوهر بجيش المعز لدين الله مصر والاسباب التى تقدمت هذا الفتح
وسهلتها والاحوال التى استكسفتها المعز لدين الله فى الامة المصرية قبل أن
يدخلها قائده بجيشه فاتحاً بما فى ذلك كله من موعظة لمتعظ وعبرة لمعتبر
وزجر لمزدجر ثم نأخذ بعد ذلك فى سرد تراجم ساداتنا خلفاء الخلافة
الاموية فى الاندلس التى ابتدأت بالخليفة عبدالرحمن حفيد هشام الاموى
فجمعت أشتات الفضائل ورفعت للعلوم والفنون أعظم منار وكانت زينة
الاسلام ونخره وعزه وشرفه والله الموفق

﴿ أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه ﴾

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت السكوفي . اختلفوا في تاريخ ميلاده .
 اختلافا كثيراً بين سنة احدى وستين وسنة ثمانين
 هو أول من حفظ الشريعة بالتلقين وكان على يده انتشار السنة وتعام
 حاجة العالم الانسانى بها . وهو المفزع لكل ملهوف . والغياث لكل
 مهموم والمنار الذى به يهتدي المتحير . ويسلك الناس على نوره وضح الطريق
 هو أحد أركان العلماء وأحد الائمة الاربعة أصحاب المذاهب المتبعة .
 أدرك عصر الصحابة ورأى أنس بن مالك وأطبق العلماء على علمه ودينه
 وورعه وزهده . ووفقه الله تعالى حتى اجتمع ما يقرب من شطر الاسلام
 على تقريره والاخذ بقوله . عصمه الله عن القول بخلاق القرآن والقول
 بالقدر والقول بالارجاء مع ان هذه الاقوال وغيرها كانت من مقتضى
 السير الطبيعى للزمان الذى كان فيه وكانت سبب المودة والقربى للخلفاء
 والامراء ولكن أبى الله ان تسطو على روحانيته نفس انسانية
 كان حسن الوجه . ربة ذاشهامة عظيمة من أحسن الناس منطقاً
 واحلام نعمة وأنبيهم حالة . حسن الهيئة . جميل الثياب والبزة . كثير
 العطر يعرف بطيب الريح قبل أن يقبل . شديد الكرم . حسن المجلس
 كثير المواساة لآخوانه . وصفه صاحبه أبو يوسف للرشيد إذ سأله عنه
 فقال : « قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وهو عند لسان
 كل قائل . كان والله أبو حنيفة شديد الذب عن محارم الله مجاناً أهل الدنيا
 فى دنياه طويل الصمت دائم الفكر لم يكن مهذاراً ولا ثنائراً . ان سئل
 عن مسألة وكان عنده علم فيها أجاب على ما سمع وبما ثبت عنده ما علمت

يا أمير المؤمنين رجلاً كثيراً منه اشتغالا بدينه عن نفسه وعن الناس لا يذكر أحداً إلا بخير » فقال هرون : هذه أخلاق الصالحين ، وقال الشافعي رضي الله عنه : « ما قامت النساء عن رجل أعقل من أبي حنيفة » وقال جعفر بن الربيع « أقت عند أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه إذا ترك ولا أشد سيلاناً منه إذا سئل »

كان لا يفتر لسانه في خلوته عن تلاوة القرآن وربما أتم في بياض نهاره ختمته وفي سواد ليلته أخرى و كثيراً ما صلى الفجر والعشاء بوضوء واحد ولم يسمع حالفاً في عرض حديثه

يروى عنه انه لما أراد طلب العلم جعل يتخير ويسأل عن عواقب العلوم ونتائجها فلم يجد علماً يسأل فيه صاحبه ويفتي الناس بما يفنيهم به غير الفقه فلزمه وترك علم الكلام الذي كان مشتغلاً به وأتى أبا اسماعيل حماد ابن أبي سليمان وهو شيخ وقور حلیم لم يرافقه منه في زمانه وله مناقب كثيرة فلازمه ووجد عنده كلما طلب وما زال حتى كان يجلس في الحلقة بحذاءه واستنابه وأمره أن يجلس مكانه أزمان تغيبه بالبصرة ولم يفارقه حتى مات فكانت صحبتيهما ثمان عشرة سنة

أخذ حماد بن سليمان رضي الله عنه العلم عن ابراهيم النخعي وهو أخذه عن علقمة والاسود وهما أخذه عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فلما مات ابراهيم النخعي رضي الله عنه وكان مفتي الكوفة جلس أبو حنيفة رضي الله عنه للافتاء بعده باجماع من جماعة المسلمين والتابعين واختلف اليه الناس وكان أكثرهم اختلافاً اليه صاحبه أبا يوسف ولم يزل كذلك حتى استحكم أمره واحتاج اليه الامراء

وذكره الخلفاء . جلس للافتاء لينتفع به الناس ويسهل عليهم معرفة حدود
الله سبحانه وتعالى ويردهم الى أوامره ويحظر عليهم المحرمات

وذكر في مسنده ما يقرب من مائتي شيخ أخذ عنهم العلم وروى عنهم
الحديث وفيهم من التابعين حتى ان بعضهم رتب أسماءهم على حروف
الهجاء فلم يخل حرف واحد منها

حدث أبو الحسن بن علي الخطيب عن علي بن بدر القاضي قال حدثنا
هلال بن بدر أبي العلاء عن أبي حنيفة قال لقيت سبعة من الصحابة وسمعت
من كل واحد منهم خبراً

كان غاية في الفراسة والفطنة حتى كاد أن يدركها المغيب ونوادره في
ذلك كثيرة جداً

وهو أول من اخترع معرفة عد اللبن والآجر بالتقصيب . فمل ذلك
في عد آجر سور بغداد لما كلفه المنصور بذلك

ومن مكارم أخلاقه انه كان له جار يعمل نهاره أجمع فاذا جن الليل
رجع الى منزله وقد حمل لحماً فطبخه أو سمكة فشواها ثم لا يزال يشرب
ويغرد بصوته

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد نغر
حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع كل يوم جلسته . ثم فقدته ليلة وعلم أن
العسس أخذه فركب واستأذن على الأمير وسأله تخلّيته فقال له الأمير :
وكل من أخذ في تلك الليلة . فلما خرج الفتى قال له أبو حنيفة رضي الله
عنه (أأضعناك ؟) وناولته مايستعين به على نقصان دخله في أيام حبسه
فكشف الله بهذا الفعل الغمة عن عقل الفتى حتى تاب واختلف الى أبي

حنيفة حتى تفقه

كان مع اشتغاله بالفقه يبعث بالبضائع الى بغداد للتجارة ويجريها
مجرى الفضل على اخوانه فيشتري ما يحتاجه شيوخه من المحدثين والفقهاء
ويعطيه لهم محتسباً ربحه من اثمانها ويقول هذا رزقكم أجراه الله على يدي
مثل ذلك ان فقيها احتاج مرة لثوب خز فقال : مالونه ؟ قال كذا . فقال
اصبر . ثم استدعاه بعد أيام وقال هذه حاجتك وثنمها درهم . فقال له الفقيه
هزأ بي قال لا والله اشتريت ثوبين بعشرين ديناراً ودرهم بعث احدهما
بعشرين ديناراً وبقي هذا بدرهم وما كنت لاربح على صديق . فأخذه وشكره
لقد دفع أبو حنيفة رضى الله عنه لمقامات من الحكم تتنافس عليها
الناس وتتصنع لها فامتنع عنها طلباً للسلامة في دينه ومنح العطايا فلم يقبلها
ومنعه عفاف النفس وطهارة الذيل

أراد يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراق أن يدخله في
(الطراز) أى صدقات بيت المال فأبى . وطلب منه أبو جعفر أن يلى قضاء
الكوفة فلم يقبل فغربه بالسياط وسجنه وقيده بأثقل الحديد فلم يقبل وجاءته
أمه وقالت له يا نعمان ان علما ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن
تنفر عنه . فقال يا أمه لو أردت الدنيا ما ضربت ولكن أردت وجه الله
وصيانة العلم ولم أعرضه للهلكة

صدق القائل : « الرجال سواء حتى تقع المحن » تحتاج الوقفة التي
وقفها أبو حنيفة رضى الله عنه أمام أبى جعفر لعقل كبير يرشده وعزم
شديد يؤيده وهداية عظيمة تنبئه حالف عليه أن يلى القضاء فخاف أبو حنيفة أن
لا يفعل . فكرر الخليفة اليميني فتنهاها أبو حنيفة فقال له الربيع أمير المؤمنين

يحلف وأنت تحلف . فقال ان أمير المؤمنين أقدر مني على كفارة إيمانه .
فامر بحبسه وما زال فيه حتى مات سنة خمسين ومائة وعمره سبعون سنة
وقيل انه توفي في اليوم الذي ولد فيه الشافعي رضي الله عنه . وتولى غسله
الحسن ابن عماره فلما غسله قال رحمك الله يا من لم تفطر ولم تتوسد يمينك
بالليل منذ ثلاثين سنة والله لقد أتعبت من بعدك

كثرت الاقوال في كيفية حبسه وتعذيبه حتى قيل انه كان يخرج
في كل يوم ويضرب فلما تتابع عليه الضرب مرض ومات وقيل انهم ضيقوا
عليه الامر حتى في طعامه وشرابه . ومهما يكن في هذه الاخبار من المبالغة
فان الحبس متفق عليه لتواتر خبره وكفى به عذابا لمثل هذا الامام العظيم
« أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل

هذا الشعور الذي يهوى النفوس لارتقاء درجات السكامل والوصول
لاطراف المراتب والغايات فقدته كثير من علماء الاسلام فأصبحوا يشترون
رضاء الناس بغضب الله تعالى حتى أدى ذلك للسكوت عن النهي وأوجب
هذا حدوث البدع والفوضى الدينية وانصرف كل واحد من الناس الى
هواه فأنحطت رتبة العلم

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظموا
نعم لو حدثوا الناس عن جلاله وشرحوا للعقول ما خفي من شؤونه
وينبأوا مداخل السعادة الدنيوية والاخرية فيه وجاؤا للناس معبرين بما
تحتمله طاقة العقول ولا يبعد عن متناول الافهام لقومت نفوس وكبحت
شهوات . ولكن هذا ما أراده الله ولا حول ولا قوة الا به

هذه بعض كلمات من ترجمة هذا الامام وما كان لنا ولا لغيرنا أن

تحصيتها وندونها في مثل هذا القليل ولكن هذه القطرة تدل على مكان ذلك البحر. والغرض التشوف لمثل هذا الكمال ونهوض الهمم لقطع سلاسل التقليد واصلاح النفوس التي غفلت ولهت عن أصول مكارمها التي كان ينبغي أن تفاخر بها الاجيال وتسمو بها فوق كل كمال

﴿ القاضي أبو يوسف رضى الله عنه ﴾

هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الانصارى أحد الصحابة رضى الله عنهم . ولد في سنة ثلاث عشرة ومائة وكان جده ممن أبلى البلاء الحسن في الوقائع النبوية ومشهد الخندق فرآه النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل قتالا شديداً على حداثة سنه فمسح بيده الشريفة على رأسه خبيثت في الذراري بركتها

مات أبوه وهو صغير فقير لم يكن له ما يطعمه الخبز ويسقيه الماء فأسلمته أمه الى قصار فكان يفر منه ويمر على حلقة درس أبي حنيفة النعمان رضى الله عنه فلما طال ذلك عليها جاءت الى الامام وقالت له ان ولدى هذا صبي يتيم فقير وقد أفسدته على فقال لها «دعيه فسيأكل الفالوذج في طباق الفير وزج» وناولها مائة درهم وقال اذا فرغت فاعلمينى وكان يتماهدا بعد ذلك كأنما يخبر بنفاذ ما عندها ولم يزل أبو يوسف حتى صار رأس الحلقة وانتهت اليه الرئاسة الدينية والدينية والامامة في الفقه والحديث وحفظ التفاسير والسير وأيام العرب

كانت تهتم بأبي يوسف نفسه الى رقى وكمال وسعادة حال وتسمو به

الى مقام رشد باغه طريق الهدى الالهى الداخلى تحت قوله تعالى (انا هديناه السبيل) فقد ربهذا السلوك على تمزيق الحجب وأصبحت روحانيته تتلذذ بالحديث ونفسه البارة تتنقل فى رياض المعرفة كأنما ذلك من بركة تلك المسحة

نذكره بعد أبى حنيفة رضى الله عنهم لانه فى مقام حسن اختتام لبراعة استهلال ترجمة الامام. اذ المذهب الحنفى أخذ عن أبى حنيفة بالتقليد وحفظ عن أبى يوسف بالتدوين. وكما ملأ الامام به الصدور حلى به القاضى السطور فنقله من ضيق النفوس الى سعة الطروس فهو اكليل التاج ومفتاح ذلك الرناج الذى كمل نمو نبات العلم بتمهده وتكامل علو بنائه الشامخ على يده فهو أول من وضع الكتب فى أصول الفقه وأملى المسائل ودونها وبث علم أبى حنيفة رضى الله عنه فى اقطار الارض ولم يكن فى زمنه بين أصحابه ثقة أحفظ لسنة النبى وأوعى لكتاب الله منه

تولى القضاء ببغداد لثلاثة من الخلفاء . المهدي . والهادي . والرشيد على كراهة منه لرقى مقام القضاء . وكان يقول ليتنى لم ادخل فى القضية على ان زين دست القضاء كان محبوباً لخلفاء وقته وزمانه . وكان عند الرشيد حظياً مكيناً . وهو أول من دعى قاضى القضاة لأن الخليفة كان يستنبيه فى سائر الاقاليم التى كان يحكم عليها . وهو أول من غير لباس العلماء بهذا الزي . وما كان لاحد أن يطمع فى رئاسة بلدة فيها أبو يوسف

جمع شروط القضاء وآدابه واحكامه . من صدق اللهجة وعفاف الطعمة وحسن الصمت وكثرة الوقار وعظام الاناة وعزة النفس وكرامة الخلق وقلة الخرج ولطف الطبع ورقة الحجاب وسعة الصدر والصلابة فى الحق

والتواضع لله والثقة في ذاته والايثار في اقامة الحدود والمساواة بين الخصوم
والتثبت في سماع الحجة فلم يعتمد جوراً ولم يحجب خصماً وكل احكامه كانت
بما يوافق الكتاب والسنة

كان سريع الجواب (ونعم السلاح الناصر الجواب الحاضر) حجج مع
الرشيده معادلا له فلما دخل مكة صلى «هرون» بالناس الظهر ركعتين فلما سلم
قام ابو يوسف وقال يا اهل مكة (اتموا صلاتكم فانا قوم سفر) فقال رجل
من فقهاء مكة نحن افقه من أن نعلم فقال له ابو يوسف (لو كنت فقيها ما
تكلمت في صلاتك) فطرب لها «هرون» والحاضرون

ومن اغرب ما سمع عن محفوظه وسعة اطلاعه انه لم يجر على لسانه في
حديثه مع الرشيد اثناء مصاحبته في سفره هذا شيئا معادا فلم يكرر له خبراً
ذكره ولم يعد له حكاية رواها ولا وصل الى مكان الا واخبر الرشيد باسمه
ونعته له واستشهد عليه بشيء ان كان ثم ذلك . وناهيك بأمام تخرج على ابي
حنيفة رضى الله عنه وسمع من ابي اسحاق الشيباني . ويحيى بن سعيد
الانصارى وتلك الطبقة . وكان افقه اهل عصره لم يتقدمه في زمانه أحد
يحفظ من المنسوخ عشرين ألفاً فما ظنك بالناسخ

«كل ذي نعمة محسود» وما أدراك بنعمة اشتملت على الرئاسة
والجلالة والقدرة والسعة في سطوة الدين والدنيا والارتقاء على دست
القضاء ومقام الفتوى المثل كل منهما للامانة والديانة والفضيلة والداعي
للقرب من مقام الخلافة ونفوذ الحكامة وشدة السطوة

أراد الاعداء الحط من هذا المقام العالى فما وجدوا اليه سبيلاً فجاءوا
لبعض أبواب وصاغوا منها مسائل مجبولة في الفقه والفتوى خر جوها على

غير وجهها وتوسعوا فيها بأكثر من حدودها وافتروها عليه وتصنعوا في روايتها عنه كما هم يستدلون بها على سعة علمه وسمو قوته وقدرته وكانهم من أشد المطربين له المعجبين برأيه فيها وهم في الحقيقة من ألد أعدائه الذين يسرون له العداوة والبغضاء نشروا ذلك بيد بعض المساميين الذين تدخل عليهم الحيل ولا تتكشف لهم أوجه المسائل ثم عدوها عليه بعد انتشارها من أشد العيوب وهو برىء منها فما أجدره بقول العربي « زنوه وحدوه »

كانما كان أبو يوسف (استغفر الله) ألة لتوجيه الإيمان بعدتوكيدها في كل شيء وكانما كانت الخلفاء في وقته على غير رأى

ذكر واله أشياء كثيرة في مسائل طلاق وزواج وعتق وغيره (تجنبناها) ورووا عنه لطائف تحيرنا منها بعض الشيء : فمن ذلك ما يحكى أن الرشيد خاصم زبيدة في شيء فأغضبها وأغضبته خلف عليها بالطلاق أن لا تبنت ليلتها في ولايته ومملكته ثم ندم على ذلك لشدة حبه وفرط غرامه بها فسأل الفقهاء عن وجه الحيلة فعجزوا ثم استدعى القاضي أبا يوسف وسأله هل من حيلة قال نعم قال وما هي قال قل لها يا أمير المؤمنين تبنت في المسجد لانه لا ولاية لك عليه فان الله تعالى يقول (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) فسر الرشيد بذلك كثيرا

ومما يذكر في معرض لطائفه أيضا أن الرشيد رأى في ليلة من الليالي خنفساء تدب على بساطه فأمر بتمذيب الخادم فقال له أبو يوسف يا أمير المؤمنين إن الحيوان بجملته يألف الاضواء والخادم قد تعهد البساط ونحاه عنها ولاكنها كلما نحيت تعود فأمر الرشيد أن تحمل وتنحى بعيدا ففعل فعادت ثم أمر أن تحمل وتبعد أكثر من الاول ففعل فعادت فعفا

الرشيـد عن الخادم بفضل القاضي

ومن لطائفه أنه كان يحادث من يختلفون اليه في حاقة درسه فجلس اليه مرة رجل وأطال الصمت فقال له ألا تتكلم ؟ فقال له : متى يفطر الصائم ؟ فقال اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الى نصف الليل ؟ فضحك أبو يوسف وقال قد أصبت في صمتك وأخطأنا في استدعاء نطقك .

ففي الصمت ستر للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلم
توفي في سنة اثنين وثمانين ومائة (فعزى الاسلام بعضه بعضا بموته) .
ومشى الرشيـد في جنازته وصلى عليه ودفنه في مقبرة أهله في مقابر قریش
بكرخ بغداد بقرب زبيدة ومحمد الامين

وقد أوصى قبل موته بكثير من ماله لاهل العلم بمكة . والمدينة .
والكوفة . وبغداد واستمرت موارد خيراته وما آثره جارية ما شاء الله
أعواما وقرونا

ومما يحسن ايراده زيادة في شرف الامام أبي حنيفة النعمان رضى الله
عنه أن الرشيـد دعا أبا يوسف ليلة من الليالي ليسأله في شيء دق على فهمه
دركه فأجابه فيه أحسن جواب راشدة سرور الرشيـد بذلك ناوله قطعة
من الفالودج كانت في صحن من الفيروزج من خاصة متاع الخلفاء فبكى
أبو يوسف وانتحب فلما أفاق سأله الرشيـد . فأخبر الخبر الذي قدمناه
حكاية عن أبي حنيفة رضى الله عنه لام أبي يوسف حين كانت تنهاه عن
الحضور في حلقة وقوله لها (سياً كل الفالودج في طباق الفيروزج)
فبكى الرشيـد

يصح أن يقال عن أبي يوسف انه أول من حفظ علم الفقه عن أبي حنيفة

رضى الله عنهما ورواه فأدى الامانة حقها والسعادة كل السعادة في اختيار العلم المؤدى للخير الابدى والحياة الطيبة المرضية وهو علم الدين المرتبط به كل علم ينبغى أن تكون سيرته هذه مثالا يحتذى أهل العلم يتلقونه من أساتذتهم بالكرامة ويؤدونه عنهم بالامانة ويؤثرون لذة المحمدة به والثناء عليهم بسببه عن كل لذة فهناك تجتمع لهم الهداية مع العلم وتصح النية فتقام الفرائض وتحيا السنة وينصرف الناس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الغش الى النصيحة ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع

مثل هذه الاخلاق الشريفة لا يضيع صاحبها ولا يفتقر كاسبها ولا يخيب طالبها ولا تنحط مراتبها ويصبح المتحلى بها بمنزلة العلم المنصوب على الطريق المسلك يهتدى الناس الى سواء السبيل

اني لتأب أصحاب هذه الاخلاق حتى يذهب عنا ببركتها هذا الطيش والاهمال والاعفال واللجاج في مالا فائدة فيه والعناد في كل شئ،

أى حرية ومدنية تلتبس بأجل وأعظم من الحرية والمدنية الحقبة التي تضمنها أدب الدين الذي دعا الناس لعرفان أنفسهم وأنهم مميزون بالعقل والفكر ومشرفون بحرية الارادة في ما يرشدان اليه

حجبت العقول بغرور النظر الى هذا الظاهر فاللهم خالصنا من كل تقليد استعبدنا واقترب قيدنا وافتح لنا أبواب فضلك التي لم تغلق دون طالب ولا ضاقت أبوابها على راغب واكشف عن عقولنا غمة الوهم وأنعم على أفكارنا بنعمة الفهم وعرفنا مقادير النعمة التي نحن فيها حتى نتعلق بها ونقوم بالشكر عليها

﴿ سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه ﴾

هو الامام مالك بن أنس رضي الله عنه امام دار الهجرة في زمانه و فقيها وأحد الائمة الاربعة الاعلام . اختلفوا في مولده بين سني ثلاث وأربع وخمس وتسعين من الهجرة وهو من الطبقة السادسة من أهل المدينة كان أشقر شديد البياض . ربة من الرجال كبير الرأس أصلع . وكان لا يخضب شيبه لما صح عنده من ان عليا كان لا يخضب . حسن الهيئة والبرزة يكره الثياب الخلقة ويعد ذلك مثلة . وكان نقش خاتمه « حسبنا الله ونعم الوكيل » فسئل في ذلك فقال سمعت الله تعالى يقول عقيب هذه الآية « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل » . وكان مجلسه مجلس وقار وحلم يحوط فيه المستفهم عن الشيء هيبة شديدة

كان لا يحدث الا وهو متوضئ ولا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه احتراماً لبلد فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لا ينقطع عن المسجد وتشجيع الجنائز وعيادة المرضى وقضاء الحقوق . فلما كبر انقطع عن ذلك كله واحتمل له الناس ذلك

كان كامل النفس لا يزداد مع الخلفاء عن الادب الذي يوجب عليه الدين قدم المهدي المدينة فبعث اليه بألفي دينار فقبلها ثم وجه اليه الربيع يطلب منه ملازمته الى مدينة السلام فقال له قل لامير المؤمنين المال عندي على حاله . وكان يدخل على أبي جعفر . وكانت وجوه بني هاشم تقبل يده ورزقه الله العافية من ذلك

وكان شديد الحرص أميناً على العلم . قال جرير ان أبا جعفر المنصور عزم على ان يحمل الناس على « موطئه » فقال له لا تفعل يا أمير المؤمنين

فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق لهم وعملوا به ودانوا وقد أصبح ردهم عما اعتقدوه شديداً فدفع الناس وما هم عليه

(لو أن فقيها من فقهاء هذه الازمنة أقبل عليه أحد أعوان أولى الأمر وأشار عليه بحمل الناس على ما قاله لعدّ ذلك خفراً وعزاً وسطاً على عموم الناس بهذا القول . وذلك لانه يرى مصالحة نفسه لا مصلحة الدين ويقدم منفعته على جميع أنواع المنافع)

روى عن غير واحد من التابعين وأخذ القراءة عرضاً عن نافع وهو أثبت أصحابه . وروى عنه وحدث خلق كثير من الأئمة منهم سفيان الثوري . وسفيان بن عيينة . وعبد الله بن المبارك . والاوزاعي . وابن مهدي . وابن جرير . والليث بن سعد . والشافعي . والزهرى . ويحيى ابن سعيد الانصارى وغيرهم . وكان يقول : « العلم دين فانظروا عن من تأخذون دينكم » وكان يقول لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يتجاوز الحد وصاحب هوى يدعو الى بدعته . وكذاب يهون عليه تبديل حديث الناس وشيخ لا يعرف ما يحمل وكان يقول : ما أفيتت حتى شهد لي سبعون ولونهونى لانهيت . ومن قوله : ليس العلم بكثرة الرواية ولكن نور يضعه الله تعالى فى القاب

قال يحيى بن معين : كان مالك من حجج الله تعالى على خلقه اماماً لا يبلغ الحديث الا صحيحاً ولا يحدث الا عن ثقة الناس . وعن الشافعي رضى الله عنه « اذا جاءك الحديث عن مالك فشد به يدك » ولا غرابة فى ذلك فقد قال عبد الله بن وهب « لولا انى أدركت مالكا والليث بن سعد

لضللت » وهو أحد الائمة الاربعة في الامصار الاربعة : سفيان الثوري
 بالكوفة . ومالك بالحجاز . والاوزاعي بالشام وحماد بن زيد بالبصرة
 ومن فضائله ما رواه الترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن
 جرير عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنهم : « يوشك
 أن تضرب الناس ا كباد الابل فلا يجدون احدا اعلم من عالم المدينة »
 كان شديد الكراهة للغيبة . ومن قوله فيها : « كان عندنا بالمدينة
 قرم لاعيوب لهم فتكلموا في عيوب الناس فصارت لهم عيوب وكان
 عندنا قوم لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم »
 جاء مستقبل الزمان مصدقا للخبر الصحيح النبوى الذى لا ينطق عن
 الهوى فكان سيدنا الامام مالك رضى الله عنه امام زمانه
 ارتقت امانة العلم عنده لدرجة لا تقوى عليها نفوس الكافة فنزل منزلا
 لم يخرج عنه حتى خرج من الدنيا . جاءه رجل ليستفتيه في مسألة فقال له
 « لا أحسنها » فقال له « قد ضربت اليك من كذا وكذا لاسألك عن هذا
 وتقول لى لا أحسنها . ماذا أقول لاهلى قال له قل لهم « سألت مالكا
 فقال لى لا أحسنها »

امتحنه الله سبحانه وتعالى على مقدار مبلغ استطاعته ومكانته وأمانته
 فاستدعاه الخليفة واستفتاه فى أمر فافتاه بما لم يوافق هواه وغرضه فأمر
 بضربه فضرب ومدت يده حتى خلع كتفه
 ما زال الله سبحانه وتعالى يعلى من قدر مالك رضى الله عنه بعد ذلك
 الضرب حتى أصبح فى رفعة لا يسمو عليها مقام وتجلى عليه مولاه بظهر
 العزة حتى كأن تلك السياط حليا تحلى بها وأفضلية سما قدره بها

توفي رضي الله عنه في المدينة في شهر ربيع سنة تسع وسبعين ومائة
ودفن بالبقيع وكان واليها من قبل الرشيد عبد الله بن زينب

ان الناظر في أمر الدين الاسلامي بعين الحقيقة يجد انه كلما اتسع
صاحبه في وسائله وتفرغ لحكمه وسبر حقائقه اتسع في حرية الفكر وأصبح
متدرعا بدرع الصدق والوفاء والامانة وقبض على زمام الملكات الفاضلة
وأصبح وليس له هم الا احترام الحقوق على اختلاف أنواعها ولا يستطيع
أن يبيع منها الا ما يحل تناوله فقط ولو أن جميع أهل العلم حاسنوا
بعضهم بهذه الخصال ونافسوا معاصريهم بهذه الكمالات وجذبوا الناس
الى مذاهبهم وعرفوهم شرف اندراجهم في هذا النوع وكشفوا لهم عن
وجوه الحقائق وطالبوهم باصلاح سرهم كما طالبوهم برعاية اجسادهم وعرفوهم
طهارة الباطن كما فرضوا عليهم نظافة الظاهر لقامت كلمة الدين خير قيام
وأعتقوا عبيد الغايات والعادات وخلصوا أسراء التقليد وأصبح الناس
على نور من ربهم عظيم

لم يخالف الامام في فتواه مقام الخلافة الا وهو متحقق ان هذا العمل
في رضا الله سبحانه وتعالى (وان لاطاعة للخلق في معصية الخالق) فلو ان
كل مسئول امتنع ولم يوافق السائل على هواه لرجع جميع المقترفين لهذا العمل
عن عملهم هذا . ولكن عظمة السلطان وصولته انست الناس امر دينهم
فأصبحوا يخالفون الشرائع ليؤلفوا قلوبهم ويدخلوا السرور عليهم بتحسين
فعلهم فجر هذا الامر الى امور فظيعة سيئة حتى أصبح الدين ملعبة عند بعض
الملوك واهانوا الشرائع المرعية والفضائل المحمية وهذا امر قد علم الكثير
من المسلمين حاله وقدره فكم جلبت الفتاوى من البلايا والرزايا

سواء كان في المسائل السياسية او المدنية مما لا حاجة لذكر تفصيله حتي ان احد
سلاطين آل عثمان اوصى بدفن الفتاوى التي اصدرتها له علماء وقته تخلصاً
من عواقب ما فيها يوم القيامة نوم لا تغنى نفس عن نفس شيئاً والامر
يومئذ لله

﴿ محمد بن ادريس الشافعى ﴾

هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن
عبيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي
ولد بالشام سنة خمسين ومائة ثم وصل الى مكة فسكنها وأخذ يتردد
بين الحجاز والعراق ثم استوطن مصر واتخذها دار إقامة حتى توفي بها عند
بنى الحكم

روى عن الامام مالك بن انس ومسلم بن خالد الزنجي وابن عيينة
وابراهيم بن سعد وفضيل بن عياض وعن عمه محمد بن شافع وجماعة غيرهم
وروى عنه ابن حنبل والحميدى وابو الطاهر بن البويطى والمزنى ومحمد
بن عبد الحكم وجماعة غيرهم

كان حافظاً حفظ الموطأ في ليال وأخذ العربية من صميم العرب ولزم
هذيلاً وبقي فيهم مدة يرحل برحلتهم وينزل بنزلهم ثم رجع الى مكة وجعل
ينشد الاشعار ويذكر الآداب ويروى الاخبار وأيام العرب فربه رجل من
الزيديين فقال له «يا أبا عبد الله عزى على ان لا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء
فقه لتسود اهل زمانك به». فقال ومن بقى حتى يقصد فقال له مالك سيد
المسلمين . فوقع في قلبه ذلك وعمد الى الموطأ فحفظه ورحل الى مالك فأخذ
عنه الفقه

كان مالك، يثني على فهمه وحفظه ووصله بهدية لما رحل عنه وكان الشافعي يقول : مالك معلمي واستاذي منه تعلمنا وما أحدنا من على من مالك وقد جعلت مالكاً حجة بيني وبين الله سبحانه وتعالى »

ظهر مذهبه رضي الله عنه في مصر وكثير مقلديه فيها . ثم انتشر بالعراق وخراسان والداغستان وما وراء النهر والبلاد القاصية لا يعرفون حجة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى غير الشافعي . قاسموا الحنفية في الفتوي والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بهم ثم أدى ذلك لظهور كتب الخلافات ووصل الامر الى رجال من أصحاب المظاهر في المذهبين فكان ماكان من الحرب العوان التي قامت بين أهل المذهبين وعقلاء الامة الاسلامية تتلافى للآن أمرها ولا تعان عليه ولا حول ولا قوة الا بالله

نزل الامام على بني عبد الحكم بمصر فأخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة (الفاطميين) وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشي من سواهم الى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب فرجع اليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام وعاد الى أحسن ما كان ونفق سوقه واشتهر منهم محي الدين النووي وابن الرفعة وتقي الدين بن دقيق العيد وتقي الدين بن السبكي والسراج البلقيني أكبر علماء عصره وغيرهم من أجلة العلماء وأكابر الفضلاء .

﴿ ذكر ثناء العلماء عليه بسبقه في العلم والفضل ﴾

قل محمد بن عبد الحكم لزم الشافعي فما رأيت أبصر منه بأصول العلم والفقه . كان صاحب سنة وأثر وفضل مع لسان فصيح وعقل رصين صحيح

قال ابن عيينة انه كان أفضل فتیان زمانه وكان اذا جاء ابن عيينة أمر من التفسير والفتيا قال سلوا عنه هذا أي الشافعي . وكان يقول له مسلم بن خالد الزنجي شيخه وهو شاب في مقتبل عمره . قد آن لك أن تفتي يا أبا عبد الله . وقال يحيى بن سعيد القطان اني لادعو في صلاتي للشافعي لما أظهر من القول بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أحمد ابن حنبل ما أحد يحمل محبة من أصحاب الحديث الا وللشافعي عليه منة . وقال ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسته وكان أفقه الناس في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان الشافعي كالشمس للدين والعافية للناس وليس منه عوض . وقال ابن معين لصالح بن أحمد بن حنبل . ما يستحي أبوكم يمشي وقد أخذ بركاب الشافعي قال صالح : فقلت ذلك لابي فقال : قل له ان أردت ان تتفقه خذ بركابه الآخر

كان حجة في اللغة وآية في الانساب والاخبار : قال ابن هشام ذاكرته مرة وهو بمصر في انساب الرجال فقال له الشافعي بعد ساعة : دع هذا فانه لا يذهب حفظه عنا ولا عنك ولكن خذ في انساب النساء فلما أخذ في ذلك بقي ابن هشام ساكتا . وكان يقول ما ظننت ان الله عز وجل خلق خلقاً مثل هذا الانسان

وقال النسائي كان مفرداً في ثقته وأمانته وقد ألف الخطيب أبو بكر
ابن ثابت البغدادى كتاب الحجة بالشافعى واثبتته في الصحيح وروى أبو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللهم اهد قريشاً فإن عالمها يملأ أطباق
الارض علماً اللهم كما أذقتهم عذاباً فاذا بهم نوالاً فكان وجوده رضى الله عنه
مصدق قوله صلى الله عليه وسلم
واتصل به أيام محنته القول بخالق القرآن ومن كلامه : كلام الله ليس
بمخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر.

﴿ ذكر بعض حكمه رحمه الله تعالى ﴾

من ولى القضاء ولم يفتقر فهو سارق . من حفظ القرآن نبى قدره
ومن تفقه عظم قيمته ومن حفظ الحديث قويت حجته ومن حفظ
العربية والشعر رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه العلم . قيل للشافعى
كيف أصبحت فقال كيف أصبح من يطلبه ثمان ! الله تعالى بالقرآن والنبي
صلى الله عليه وسلم بالسنة والحفظة بما ينطق والشيطان بالمعاصى والدهر
بصروفه والنفس بشهواتها والعيال بالقوت وملك الموت بقبض روحه
توفى الشافعى في خلافة المأمون رضى الله عنهما بمصر عند عبد الله بن
عبد الحكم واليه أوصى . وذلك ليلة الخميس منساخ رجب سنة أربع
ومائتين ودفنه بنو عبد الحكم في قبورهم وصلى عليه السرى أمير مصر
كان رحمه الله خفيف العارضين أسمر اللون وقد ألف كتاب « الام »
وهو من أجل الكتب في أصول الفقه جمع بين صمة المأخذ وبين متانة
العبارة فهو الام الولود حقيقة لكل حقيقة في علم الفقه ومعرفة الاحكام
قل الربيع كنا جالوساً في حلقة الشافعى بعد موته ييسير فوقف علينا

اعرابي فسلم ثم قال أين قر هذه الحلقة وشمسها؟ قلنا توفي . قال رحمه الله وبكى بكاء شديدا ثم قال رحمه الله وغفر له ما كان كاذبا والله يفتح بيانه منغلق الحجة . ويسد من خصمه واضح الحججة . ويفسل من العار وجوها مسودة . ويوسع بالرأى أبوابا منسدة . ثم انصرف

وهو ثالث الاربعة الائمة الذين تفتخر بهم جماعة المسلمين بممارستهم للكتاب الكريم وتمكن الاستنباط وكمال الفقه وحسن الصناعة وتمام العلم المتفردين بمعرفة احكام الله سبحانه وتعالى في المكلفين هداى الله لخدمته العلم وبهم يهتدى الله من يشاء الى الصراط المستقيم

﴿ الامام احمد بن حنبل بن هلال الشيباني رضى الله عنه ﴾

هو الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل المروزي الاصل . خرجت أمه من مرو حاملا فولدته رحمه الله تعالى سنة أربع وستين ومائة في ربيع الاول ببغداد ولم يربه أبوه لانه تركه طفلا نشأ ببغداد في طلب العلم وخدمته وسافر في طلب الحديث من شيوخه ورحل الى البلاد وروى عن كثير من كبار العلماء والمحدثين فدخل مكة والمدينة والشام واليمن والكوفة والبصرة والجزيرة وسمع من سفيان بن عيينة وإبراهيم بن سعد ويحيى القطان وغيرهم . نشأ عفا مستقيما يخاف الله ويخشاه فلا يتعدى محارمه أبداً روى أبو عبد الله قال : كان أحمد بن حنبل معنا في الكتاب وكان الخليفة بالرقعة ومعه خاصته فيكتبون الكتب الى منازلهم فتبعث النساء الى المعلم ان ابعث لنا بابن حنبل ليكتب جواب كتبهم فكان اذا دخل البيوت لا

يرفع طرفه أبداً حتى كان الناس تعجب من حسن طريقته وأدبه عند ذكره
بدأ في طلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة ورحل فكتب عن
علماء كل بلد وأول من كتب عنه الامام أبو يوسف وكان يقول «أنا أطلب
العلم الى أن أدخل القبر» واجتهد كثيراً في نقل الاحاديث الصحيحة وبلغ
ما نقله منها مقداراً عظيماً جداً فاق جد التصور وأعجب به معاصروه

كان متأدباً غاية الادب متواضعاً غاية التواضع يرى ذلك عليه من غير
تصنع ولا محاباة فكان من فرط اجلاله لمشايخه لا يتكلم في مجالسهم بشيء
ويحجب من يسأله في ذلك بأن الانسان له لسان واحد وأذنان ليسمع أكثر
مما يتكلم

كان وحيداً في عصره في الاشتغال بالعلم والحفظ . كان يصلي العصر
ثم يستند قائماً الى أصل منارة مسجده فتحتاط به الناس يسألونه الحديث
وهو يحجبهم ويحدثهم عن ظهر قلبه والكل قيام على أرجلهم الى أن تجب
صلاة المغرب لا يفرغ ولا ينتهون

لم يتزوج الا بعد الاربعين حتى لا يتشاغل عن العلم بكسب ولا ينكح
فبلغ من العلم ما أراد وكان يقول كتبنا الحديث من ست وجوه وسبع وجوه
ولم نضبطه . كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد

كأن علم الدنيا كان بين عينيه جمع له علم الاولين والآخرين من كل
صنف يقول ماشاء ويمسك ماشاء

ومن لطائفه انه سئل عن رجل حلف بالطلاق انه لا بد أن يطاء امرأته
الليلة فذهب اليها فوجدها حائضاً فقال طلاق امرأته ولا يطؤها لان الله
قد أباح الطلاق وحرم وطء الحائض

وكان لا يرى وضع الكتب لمسائله وكلامه . ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة ولدونت في أسفار ومع ذلك فله المسند صنفه سنة ١٨٠ وهو مائة وعشرون ألف حديث تكلم فيه على الناسخ والمنسوخ والتاريخ والمقدم والمؤخر وفسر جوابات القرآن والمناسك الكبير والصغير حتى قل أن تقع مسألة الاولة فيها نص في الفروع والاصول وربما عدمت في تلك المسئلة نصوص الفقهاء الذين صنفوا وجمعوا

روى عنه جماعة كثيرة منهم البغوى ومسلم والبخارى وابن ابى الدنيا واحمد بن أبى الحوارى وغيرهم . وقد ذكر المؤلفون له مناقب كثيرة جدا تدخل في باب السعى في طلب العلم والزهد في المال وذكر محنته وشماله كان امام المحدثين في عصره وكان من أصحاب الامام الشافعى ولم يزل مصاحباً له الى أن ارتحل الشافعى الى مصر : وقال الشافعى خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا أفاقه من ابن حنبل

دعى رحمه الله الى القول بخلق القرآن (تلك الفتنة التي أيقظها أحمد بن أبى دؤاد فعمت خيرة الخلق وأصابتهم بيلابها) فلم يجب عنها بشيء فضرب ضرباً مبرحاً ثم حبس وعذب بأنواع العذاب وهو مصر على الامتناع وكان ذلك في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين

كان حسن الوجه ربعة ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع توفي ببغداد سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن في مقبرة باب حرب وحضر جنازته من الخلق مالا يحصى واليه ينسب أحد المذاهب الاربعة الاسلامية وتعرف أتباعه بالحنابلة

ومقلدوه قليل لبعده مذهبه عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية

والاخبار بعضها لبعض وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم
أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث الشريف
وكان كثيراً ما يتمثل بقول الصديق رضي الله عنه إذا مدحه ماح :
« اللهم أنت أعلم مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيراً مما
يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون »

﴿ نبذة تاريخية ﴾

(ماذا كانت مصر في هذه الايام أزمان انتقال الدولة من الامويين
للعباسيين وأزمان اضمحلال الدولة العباسية)

كانت على غير انتظام في حالها ولا ثبات في أمرها لانها كانت تقوم
وتقعده تبعاً لاهواء الولاة والعمال لعدم وجود التربية القومية فيها وضعف
الرأى العام بين بنيتها . وكونها في الوجود في منزلة غريبة مق السداجة التي
تلقتها عن الاسلاف . منزلة تبعد عن منازع البداوة بعدها عن مقاصد
الديانة . فهي لأمة تحمي ذمارها بالسيف ولا حضرية تعيش تحت ظل
الشريعة أو القانون . وانما العامل الوحيد فيها مقاصد الحكم وهي عندها
أعظم من كل ارادة لانها كانت لا تطيق مقاومتها أبداً

كان المصطنعون يتفانون في تنفيذ ارادة الحكم مهما كانت حتى
تذبذبت الامة وانطمس منها مكان نور التفكير والتدبير وأصبحت مسخرة
ترضى بالخضوع للمتغلبين عليها من الولاة الذين لا يزرعون فيها الامانة
اليه طبائعهم . ولا يوصلون اليها من جاه الخلافة وعزها وأدبها وارتقائها

الابمقدار رقة مستشفهم . ولذلك لم يصبها من الخيرات في عهد الدولة
الاموية ولا من المنافع العمومية في أزمان الدولة العباسية بمقدار ما كان
ينتظر ويظن من خلافة خلافة الوليد بن عبد الملك المرواني الذي وضع
يسراه على الغرب ويمناه على الشرق أو خلافة خلافة أبي عبد الله المأمون
العباسي الذي أحيا معالم العلوم

كانما هي في جو آخر مخالفة للناس في العوائد والاحوال مع ما طبعت
عليه من السكون والدعة قانعة بما فيها من الثمرات مؤثرة الراحة على المتاعب
لا تعتمد مبالغ قوتها وعوائد من قبلها

دخلت عليها سنة ٢٥٦ وفيها أحمد بن طولون عاملا للخلافة العباسية
فوسوس له شيطانه حتى نادى بالاستقلال وسطا على الخلافة بسيفها
وحارب الخلافة بجيوشه التي جمعها من أهالي مصر وغيرها واستماتوا في
هذه الحرب حتى عجز المعتضد عنه ووقع الصالح بينهما

وقد تسامع الناس بالذي جرى من بعض أهل مصر ومن عاملها
فكانت هذه الحادثة من أشأم الحوادث وأقبحها أثراً وموقماً في أمر الدين
وجماعة المسلمين مزقت الخلافة العباسية كل ممزق وفتحت عليها باب
التجزى والتبديد وحذا خذوه العمال فاستقلت جهات بخارى وصارت تدعى
(المملكة الشرقية) وجهات افغانستان وعم نحو من ستة ملايين أو ثمانية
من سكان الجبال والبوادي جلاد شداد وصارت (المملكة الغزنوية) ثم
صارت (الدولة الساجوقية) وتبعهم (سيف الدولة بن حمدان) بالموصل هذا
في أسيا واستقل في أفريقية بنو الاغاب وهم الذين كان ملكهم من حدود
مصر الى حدود الغرب الأقصى واتبعوا مسالك ابن طولون حذوك القذة

بالقذة (١) فأصبحت الخلافة العباسية مشذبة الاطراف مقطوعة الاوصال مفتوح عليها باب لا يسد وكان هذا من ام انحطاطها واكبر الدواعي التي اطعمت اخصامها فيها

تنزع في بعض الاحايين نفوس بعض الولاة او العمال الشريرة لمثل هذا العمل (الاستقلال) دون أن تكون الامة والبلاد مستعدة لما عساه أن يطرقها من الشدائد من بعده ولا قائمة بما ينبغي لها ان تقوم به من العوائد التي تحفظ كيائها بعد هذا التفرد

الاستقلال هو عبارة عن قيام دولة فان وقع على غير طبيعة الملك تهدم وهلك صاحبه لان المستقل يلزمه أن يكون ظاهرا حتى على ذات الشوكة التي يريد أن يفصم عنها وينادى باستقلاله دونها لذلك تحاماه الكثير من أرباب الامر وأصحاب الملك والسلطان مخافة أن ينقلب الامر فتقع البلاد والعباد في شر غير منتظر . نذكر منهم الامير عبدالرحمن الداخل والسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب دخل الاول بلاد الاندلس وتناول الملك بقوة شكيمة ومضاء عزم وبعد أن انقاده الامرسمى نفسه بالامير ولم يدع (بأمر المؤمنين) لا هو ولا أحد من بنيه لحد الثامن تأديبا مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى العرب

وملك الثاني مصر فاتحاً وخلع العاضد آخر الخلفاء الفاطميين ثم جدد الدعوة والخطب للعباسيين مع انقطاعها من مصر قرروا وأعواما كان ذلك الاستقلال لحكومة مصر على غير طبيعة الملك فلم يكسبها الرقي والفلاح والنجاح الذي أصاب غيرها منه . كان الامة لم تستعد له بعد

ولم تختبر فيها مادة المعاونة مع صاحب الملك بالرأى والمفاوضة فيه ومعرفة
مهمات القطر العامة والخاصة فتركت البلاد لمباشرة السلطان بغير مشاركة
له في أى صنف من أحوال ملكه شأن الكثير من الممالك الاسلامية.
فلما انصرفت ولاية أحمد بن طولون عنهم تكشفت نفوسهم غير متهينة
لعمل فاستسلموا لمن بعد وهكذا كان أمرهم مع كل طارق ورضخوا لكل
حاكم ولو لم يكن بينه وبين الحكومة معنى مطلقاً كالدولة الاخشيديّة
وكدولة المماليك وأشبه ذلك ثم صاروا ملعبة في يد الفاطميين الذين سنوا
لهم سنناً تعدت ضروب المحال كما هو معلوم

(يضحك الرجل المجرب اذا كان بعد هذا يرى في بعض الاندية أفواها
تتلظ وأنوفا تشمخ بما يقرب من هذا المثال يغترون بالمرأى والظواهر الى
بهرجت بها الاعداء ليقطعوا الوصلة بالاعيب السياسة وأساليب المكر
والدهاء (ومن نكت فأنما ينكت على نفسه) . على أن في التاريخ شواهد
محفوظة وأمثال مضروبة تكفى الناظر لو نظرو علم ما هو فيه من نعمة الارتباط
لو قام بتنميته وسعادة الوحدة والاتلاف لوانه يراها وانها لو تمت لكانت
من أجل النعم واسبغها)

سرى سوء الرأى في تلك الايام في الامة المصرية حتى عجزت في ذلك
الوقت عن اقامة نظامها في خاصة نفسها ونظام عائلاتها في ضرورة معاشها
ومهنها . فما الظن بها في سياسة النوع الانسانى وأنى لها بامضاء الاحكام
واصلاح السابلة وحمل الناس على مصالحهم وما تعوهم به الفائدة في المعاش
والمعاملات . نزلت مصر في الاخلاق منزلة يظن الباحث فيها انها محجوبة
عن الحق لانها وهنت وسهل ابتلاعها لضعفها عن النظر والتخلق بأدب

الدين وأصبحت مركزاً للقلق وتمكير الفكر وتمكنت اغلال الاستعباد في أعناق أهلها حتى قبلوا المذاهب العديدة التي قامت بها أصحابها فيما بينهم وكانت من أكبر أسباب التفريق

انظر لما حكم به عليها ذلك الفاطمي (المعز لدين الله) على الغيب وهو في أقصى المغرب من الضعف بسبب الفجور الذي كانت فيه باستطلاع لطيف وهو مفارقة أدب الدين الذي تتفجر منه ينابيع النخوة وتنشأ عنه القوة العاملة

قال المقرئ رحمه الله في خططه (عند ذكر الخلفاء الفاطميين) ان أم الامراء (والمراد بها أم الخلفاء الفاطميين يعني والدة المعز) وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر مع وكيلها) وكان ذلك كان على سبيل التجسس لمعرفة أخلاق البلاد والعباد) فعرضها بألف دينار فخرت اليه في بعض الايام شابة على حمار وساومته الصبية بستمائة دينار (فاذا هي ابنة الاخشيد سلطان مصر) بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفتها حباً فاشتريتها التستمتع بها فعاد الوكيل الى المعز وأخبره بما وقع فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيد مع الصبية الى آخره فقال المعز انهضوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شيء فان القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك تخرج بنفسها وتشتري جارية تتمتع بها وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهب غيرتهم . فقالوا السمع والطاعة وانهضوا وكان الفتح . ثم توالى عليها الخلفاء الفاطميون حتى كانت مدة الحيا كم فوقع منه ما لم يكن لاحد في حساب

انظر لهذه الحادثة وسلط عليها قوة الفكر وتناولها بسطوة العقل

واستعمل فيها حذق أصحاب الاستنباط والاختبار تعلم وتحقق انه لا سبب لهذا الاختلال الذي نفث علينا سموم الدسائس وأثار فينا الفتى والوهن ويمكن الاراجيف من العقول وفتح مجال الشر وأقام معترك المطامع وجعل البلاد مهبط البلاء، إلا مفارقة أدب الدين والذهب فى أثر التمدن الوضعى المبني على القواعد الجديدة التى لا رابطة لها ولا وصلة بينها وبين عفة الاديان . وفى هذا ذهب الغيرة وضعف النهضة الشريفة الانسانية فاذا قيس حاضر على ماض فليعلم ان تمكن الاعداء من البلاد وضعف النفوس عن مقاومتهم لم يكن له سبب الا هذا لان الانسان لا يزود غيره عن حوضه بسلاحه الا وهو عالم بشرف ما فى ذلك الحوض من مال ونفس وعرض والخالى من الفضيلة والفضل معذور بالهجوم على ما لا يعلم والفرار من قرار الكمال حتى يحتجب عن الحق لانه لا يدري كيف يكون فى رقى وصلاح حال ولا الى أي طريق يذهب فاللهم اهدنا سواء السبيل ألمعنا فى النبذة السياسية التى مضت الى ما كان من حال مصر وما جرى من دخول جوهر القائد بعسكر المعز لدين الله فيها بسبب الاختلال والفجور الذى ألم بأهلها وما كان من تأسيس الخلافة الفاطمية فى هذا القطر ومهما يكن أمر هذه الخلافة فى نظر كثير من المؤرخين وماتكلموا به من اثبات نسبهم أو نفيه عن أهل البيت كما سيأتى فقد كان خلفائها من الدولة والسلطان ما قاسموه به بنى العباس فى ممالك الاسلام بل كادوا يلحون عليهم مواطنهم ويزالون من أمرهم واستمرت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة فتحوا فيها البلاد واستخدموا العباد واخططوا مثل مدينة القاهرة المدينة الفخيمة التى هي من وضع أول خلفائهم الخليفة (المعز لدين

الله (ولذلك فنحن ذا كروه من بين خلفاء هذه الخلافة الفاطمية لهذه العلة
ولما اتصف، به أيضا من الخلال والخصال الغريبة والحزم والعزم

﴿ المعز لدين الله ﴾

هو المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بالله اسماعيل بن القائم بأمر
الله أبي القاسم محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله العلوي الحسيني ولد بالمهدية
من أفريقيا حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة
تولى المعز لدين الله الخلافة بالمغرب وكان ممن يهتف باسم مصر والاستيلاء
عليها وله رسل تستطلع له خبرها كما قلنا وقد وافق ذلك موت كافور
الاشيدي (صاحب مصر) فاختلفت فيها القلوب ووقع الغلاء وتتابعت
الشدائد وحصل الادبار وعجز رجال الدولة عن إدارة الامور واختل حال
الاقليم المصرية وبلغ له تفصيل هذه الاحوال السيئة وهو بأفريقيا من
تلك العيون التي كان أذكاهما في طلب خفياتها فسير المعز القائد «جوهري»
غلام والده المنصور في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة في جيش كثيف للاستيلاء
عليها فلما بلغ من فيها من عسكر الاشيد أمره واتصل خبر مسيره بهم
هربوا عنها جميعهم قبل وصوله فدخلها واستوطن رحابها آمانا مطمئنا واختط
القاهرة بقصرها واستقدم العزيز بالله من الغرب فقدمها في شعبان وأقيمت
له الدعوة في الجامع العتيق في جمادي الاولى سنة تسع وخمسين وأذن فيه
(بحسب على خير العمل) ^(١) وجهر في الصلاة (ببسم الله الرحمن الرحيم) ^(١)

(١) هما من رسوم الشيعة وشعائر مذهبهم

وهو أول ما أذن كذلك بمصر

ابتدأت هذه الدولة (العلوية) بأفريقيا بدعوة أبي محمد عبيد الله أول
من ولى منهم نحواً من سنة سبع وتسعين ومائتين ودخلت جيوشها (مصر)
سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . وانقرضت فيها سنة سبع وستين وخمسمائة على
يد (صلاح الدين يوسف بن أيوب) فمدة ملكهم مصر مائتا سنة وتسع
سنين وقد اتسعت أكناف مملكة هذه الخلافة وأقيمت الدعوة لصاحبها
بالمغرب . ومصر والشام . وبعض أعمال العراق وطالت وتطاوت حتى
اتصلت بالمواطن المطهرة فلكوا مقام إبراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن
الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة
كان المعز عالماً فاضلاً جواداً حسن السيرة منصفاً للرعية منصتاً لطلباتها
قلما قدم مصر ساس الأمور ودبر الأحوال ولم يأل جهداً في الإصلاح فصالح
حال مصر عما كانت عليه وزهت بالقاهرة وأزينت بقصره فيها وتجملت بما
ترب فيها من الدواوين والمصالح ومواضع السكنى اللائفة بالخلافة وعظمتها
اتسع نطاق العمارة في أيامه فالقاهرة مقره برجاله وعسكره وعليها
سياج من جلال . والفسطاط بعظمته محل تصدير وشحن الارزاق والبضائع
الصادرة والواردة ومحل سكنى الأعيان وأرباب الثروة ورجال العلوم والصنائع
وكما يلزم ويليق بحال هذه الحضارة والعمران

دخل بلاد مصر سائح عظيم من الفرس يعرف بالناصرى خسرو والف
في سفره رحلة سماها (سفر نامه) يقول فيها انه لوصف ما في مصر من
آثار السعادة والثروة لكذب الفرس وكيف يصف مدينة قل أن يوجد
لها في عهدا شبيه لها خمسة أبواب كل باب آية في ضخامته ونخامته وهندامه

يمعز الحاسب في تقويم نظامه . وأغلب البيوت والمنازل شاهقة متقنة الصنعة تشبه القلاع يتوهم الناظر اليها من حسن نظامها انها مبنية بأحجار ثمينة والمساجد والوكائل والحمامات والدكاكين مما يعد بالالوف المؤلفة اه
والذى يرى بعينه الآثار الباقية يصدق تلك الاخبار الماضية والواقف على تنظيم قصر المعز وما كان فيه من الخزائن للجواهر والسلاح والكتب يعلم مقدار ثروة الدولة وقوة هذه الخلافة ونفوذ بصر المعز وشدة ادراكه كان هذا القصر كعبة فضل يحج اليها القصاد والمعز فيه يأمر وينهى بين مظاهر قوة السيف برجاله وأمرائه ومعالم الفضل بشيوخه وعلمائه
يطول بنا الكلام لو أردنا استقصاء رسوم الملك وأبهة الخلافة ولوازم القصر وماحقاقه من الحلى والزينة والامتعة والفرش والثياب والذخائر واحتياجات العسكر البرية والبحرية من سلاح وبنود وخيام وما يتجمل به الخليفة وخواصه وسائر رجاله واتباعه وما ينعم به من النفائس الجليلة والمهمات العظيمة البالغة فى العظم والكثرة جداً لا تبلغه العبارة وخزانة الكتب التى اشتملت بحكايات كثير من المؤرخين (تحاكي قوة الاجماع) على ألف ألف وستمائة ألف كتاب وفيها من غرائب الدهر وعجائب الزمان ما لا يحصى . قال المقرئ : دخل هذه المكتبة أحد السواح فرأى فيها مقطعا من الحرير الازرق غريب الصنعة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها (أشبه بجغرافيا) وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وأنهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة والحرير فقال يكفينى من عجائبك هذا ومن جنس هذه العجوبة الخيمة التى فاقت جميع المضارب والخيام المسماة (بالمدورة)

كانت تضرب في المحافل والرسميات تقام على فرد عمود ودائرتها خمسمائة ذراع وخرقها وحبائها وعدتها تحمل على مائة جمل وقد صور في رفرها صورة كل حيوان في الارض . فالقاريء يجرى الغائب من هذه النفائس على ما عرف و يقيسها على ما شهد فيتعرف ما كان عليه القوم من الرفاه كان هؤلاء الخلفاء ولعين بعمارة المساجد وحسبك الازهر الازهر والمقام الانور والمصلى الاطهر الذى جعله الله مجتلى العلم والتعليم . وخصه بلطفه وكرمه أن يكون موضع الارشاد لسنة نبيه الكريم ودينه القويم هذا المسجد أول مسجد أسس بالقاهرة (لو كان ما اشتمل عليه من المنافع والمرافق حصل لنا بالسماع وهو غير واقع تحت نظر كل واحد منا بالفعل لعددناه أعجوبة الزمان) مأوى العلم والعلماء وموطن الفقه والفقهاء وكل واحد من المشتغلين فيه له ما يكفيه من الرزق الناض على قدره ومقداره والتعليم فيه مباح بأنواعه والاروقة تأوى اليها طلبية العلم الغرباء فلا يلحظه النظر الا وهو معمور بتلاوة القرآن ودراسته وتلقيته والاشتغال بأنواع العلوم كالفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ فالداخل فيه يجد من الانس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره ثم لانزال عماريته تزدد وشهرته تتعظم حتى قصده الناس من الآفاق فترى فيه خلقاً من جميع بلاد الاسلام تقصده لتعلم العلوم الشرعية والعقلية والنقلية من دروسه الدائمة المتصدر لقراءتها جهابذة العلماء والمحدثين ما بين مؤلف ومدرس وفيه الالوف المؤلفة من المجاورين من الطوائف المختلفة كاهل الحجاز واليمن والهند والسند والسودان والجاوه وبغداد والمغرب والشام والترك والاكراذ وغيرهم من أهل مصر من جنوبها وشمالها فهو أشهر

بقعة بعد المساجد الثلاثة وياله من مدرسة كبرى وبقعة نافعة يزول بها
الجهل ويخلد فيها العلم وتتأدب بواسطتها النفوس وتتسع القرائح وتنبه
الفتن وتروق الافكار وتتمين الآداب وتظهر الاسرار ويكتسب الشرف
ويعظم القدر لو كانت تلك الشمس والاقمار التي تشرق في أفقه غير
محبوبة بسحب التقليد القديم خارجة عن مداراتها الاولى متأمة الى
درجة احياء المعارف والعلوم وروبقها في غير هذه البلاد غير ناظرة اليها
نظر المستنكف آخذة من هذا الجديد بما حسن ولطف مما لا يمس عقيدة
ولا يخالف ديناً. اذاً لاصبحت رحابه قبلة لكل طالب وكعبة لكل قاصد
بل يكاد الانسان يحلف غير حاث ان الازهر وحده كاف لحاجة البلاد
بجميع أوجهها فهو مرصعة العلوم وأقرب مورد يمكن أن يستقى بعارفه
القطر ويظهر لكل انسان براعة أهل هذه البلاد ولكن

ما يشاء ربك يفعل قادر	جل عن كل مقال واعتراض
قد تجمعنا على غير هدى	وتفرقنا على غير تراض
وتقارضنا شهادات التقى	ثم صرنا لزوال وانقراض
واستعارت صحة أجسامنا	واستعانت بمودات مراض

(عود) كان للمساجد في أيامهم رسوم وأحباس ولها ديوان مفرد
وقضاة وعلماء تتفقد حالتها وهم أول من أقام الدرس بعلوم. ثم في مدة
العزيم عمل الوزير بن كلس مجلساً في داره يحضره الفقهاء والمتكلمون وأهل
الجدل وكان يقرأ فيه فقه على مذهب الفاطمية

كان لهم التفتات غريب للملاحظة أمر المواسم والاعياد على طول السنة
ولهم فيها من البر والخير والصدقات والاحسان في الايام التي يعينونها

والليالى التى يبينونها ثم تطرق الخلل الى سياستهم وكانما كان ذلك لتعمقهم
 فى الرافضية أو لالحاد بعضهم (كالحاكم) فدفع ذلك فى دعوتهم وجاء الطعن
 فى منتسبهم متما لذلك فتغيرت تلك الاحوال بالحوادث التى توالى فى
 أيامهم الاخيرة نارة بالصلاح ونارة بالفساد الى أن ألحقت الحوادث وتوالى
 المحن فتغيرت تلك الوجوه الحسان وأزالت معالم الحسن والاحسان
 وبدلت رونقها من الجمال واعتاضت عنها بالاطلال والتلال . ومن يتأمل
 مدة كل خليفة منهم وأعماله يرى ان همه أغلبهم كانت متجهة الى اتساع
 دائرة العماره واليسار وبسبب ذلك يصح للمؤرخ ان يعتبر القاهرة فى
 مدتهم مترقية جداً فى التجارة والصنائع والمعارف والعلوم التى لم تكن لها
 من قبل ولا حصلت لها من بعد والمباني الضخمة المشاهدة التى لا تقوم الا
 بالاموال الجمة والتقدم فى صناعات البناء والتصوير كما تراه فيما بقى من ذلك
 من الابواب كزويله . والفتوح . والنصر . ومن المساجد كالحاكم . والانور
 يدل على علو قدرهم ورفعة همهم وسعتهم فى دائرة السخاء والكرم وكذلك
 كانوا فى مراكبهم ومواكبهم واحتفالاتهم فى مواسمهم مما لو أراد الانسان
 معرفته يجده فى مظانه من كتب التاريخ

ثم زالت دولتهم على يد آخر خلفائها العاضد بالحوادث التى وقعت
 وأدت لقدم السلطان صلاح الدين بن أيوب الى هذه البلاد لاطفاء الفتن
 التى دهمتها فأطفأها وما عاد الى البلاد الشامية حتى حاجتها العساكر
 الصليبية فاضطر لقدمه لمحاربتها وكان ذلك ثم وجد فى حال البلاد
 اختلالا لا يسكن الا اذا سهر عليه الانسان بالتدبير المقرون بالاصابة
 وحسن الرأى المعروف بالاجابة وكان البلاد سئمت ما هي فيه من

المصائب المتوالية فلم يلق في نزع يد العاصد من الخلافة واعادة الدعوة للعباسيين أقل معارض وممانعة ففعل وتولى حكم البلاد بنفسه وقد انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام تغيرت بتغير الدولة كل الأحوال حتى في المأكل والمشرب وسبحان من يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

هذه الخلافة طعن فيها أغلب المؤرخين ونكلم الكثير^(١) في نسب القائمين بها وابتعادهم عن آل البيت رضى الله تعالى عنهم وادعوا أنهم معروفين باليهودية (نعوذ بالله من هذه المقالة) حتى عمل في أيام الامام القادر العباسي محضراً يتضمن القدح في هذا النسب وشهد فيه من شهد من اعيان العلويين خوفاً وتقية وغيرهم مجازاة وتزلفاً وزعم الامير عبد العزيز صاحب تاريخ افريقية ان اصحاب هذه الدعوى من بقايا اليهود الذين أسلموا في صدر الاسلام نفاقاً وما زالوا يتربصون الشر لجماعة المسلمين قصاصاً لما وقع لاسلافهم من تسفيه أحلامهم فقامت جماعة منهم في آخر خلافة الامام على رضى الله عنه وأخذوا في وضع الاحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في الدين وآخرون أرادوا استئصال الامر بالقوة ومنهم هؤلاء

والذى عليه أهل التحقيق أن نفى نسبهم عن نسب آل البيت مجعول باحاديث لفتت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً اليهم (كما هي العادة من القدح فيمن ناصبهم تفننا في الشتم بعدوهم) بواسطة علماء السوء لما توفرت شيعتهم وانتشروا في القاصية بدعوتهم وما زالوا كذلك واخلفاء

(١) مثل شيخ النظار أبي بكر الباقلاني

قانعون بهذا السبب حتى قاسموهم الملك وشاطروهم السلطان وهذا مرض غريب وداء عجيب يصيب الكثير من الناس ويقع في الافراد كما يقع في الدول فتراهم يقنعون بتصغير عدوهم وامتهانه وهم في عماء عما يدبره لهم من المكايدهم يزيدهم الحال ويتسع فتراهم يحسنون على الشاتم ويفدقون على الطاعن ويكادون يسجلون هذا البهرج الزائف الذي تربدأرباب الاغراض وسامسة البغي والباطل تروجه لهم وكله فرية وزعم وتبلغ بهم السذاجة الى انهم يشتشفون بهذا الباطل ويسكتون عما يقع في ملكهم من النقص وفي سطوتهم من الابرار

باد الكثير من دول الاسلام وانتقصت اطراف ملك كثيرة بهذا السبب وهو تصغير الاعداء في نظراؤولياء الامور والاستهانة بهم والتهميل الشديد باستعظام شوكة صاحب الدولة والتعظيم له حتى يظن بعض السذج منهم أن وجود عدوه في دار الحياة انما هو استبقاء منه عليه وكرامة وتحسن والاخيانة في قبضة يده ثم لا تمر عليهما الليالي وتداول الايام حتى يصبح والامر ذو بال وعدوه قد أفسد عليه حاله ويتحقق انه كان غارقا في بحار الخديعة وانه أصبح بين أمرين إما خوض المنايا لهذا العدو المنيد أو التجاوز له عن الارض التي ظهر بمصيانها عليها وليته يقنع

بهذا ذهب مذهب من فتوحات الامويين وأملاك العباسيين وبلاد وأراضي الدولة العثمانية من الروملى والاناضول وغيرها وبهذا السبب أيضا ذهب السودان المصري وتجسمت في هذا القطر فتنته الاخيرة سمعت ممن أثق به ان كل تلغراف كان يرد لاولياء الامر من حکام السودان حال الفتنة مبدوءا في أوله بقوله (بنفوس ولى النعم لا يكن

هناك ما يكدر الخاطر وانما الخ) وما زال الحال كذلك حتى جاء تلغراف حصار الخرطوم مبدوءاً بهذه المقالة أيضاً فليت الناس يصرفون بعض الهمم على أمثال هذه الغوغاء في أوائل ظهورها ويتركوا الغش فتكفيهم مؤنة القتال والجدال في أخرياتها خصوصاً في هذا الوقت الذي ينبغي أن يكون للانسان فيه أربع عيون لكثرة الدسائس وازدياد الاعداء الطاعنين على ملة الاسلام الناقين عليها وعلى القائمين بأمورها وليس ببعيد ذلك النقد على من يكون ذا بصيرة نافذة لان أحوال أولئك المنافقين تتبدى ظاهرة للعيون الصادقة .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تحفى على الناس تعلم اه (تنبيه) الى هنا انتهى الكلام على الخلافة في المشرق ما بين الشام وبغداد ومصر وسنبداً بالكلام على الخلافة في المغرب مبتدئين بخلافة عبد الرحمن الداخل



عرف القراء مما كتبناه انه لما نزل بينى أمية ما نزل بالمشرق وغلبهم الدهر على أمرهم مثل غيرهم من ساسة الدول وسلاطين الزمان وقتل آخر خلفائهم مروان بن محمد بن الحكم طلب بنو أمية بطن الارض بعد ظهرها والدهر حسود لمن يسود ولكل هبوب ركود وكان ممن أفلت عبد الرحمن ابن معاوية . خرج من الشام سنة ثنتين وثلاثين ومائة وظل سائراً في افريقيا ينتقل من مكان الى مكان حتى وصل الاندلس بعد ست سنوات ودخلها سنة تسع وثلاثين ومائة وشيد فيها دولة أموية بجده واجتهاده الملازم لهما التوفيق والسعود وأصبح رأس الدولة بعد ما كان فيه من قنوط

الهارب ويأس المطلوب من عدوه القادر وارتقى في المغرب لمقام جدد فيه
ماطمسه الزمان لبني مروان في المشرق من الملك العظيم والسلطان العزيز
وأحيا ما اندرس من معالم الخلافة وجدد مانسى من اسمها
لذلك جعلنا اسمه الكريم مفتتح الخلافة الاموية بالاندلس بعد أن
فرغنا من ذكر من يسر الله ذكر أسمائهم من خلفاء الدولة الاسلامية بيقعداد

﴿ عبد الرحمن بن معاوية ﴾

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (المعروف بالداخل
لقب بذلك لانه أول داخل من ملوك بني مروان الى الاندلس وهورأس
الدولة الاموية الاندلسية كان شجاعا هاما كريما حلما ذا حزم وعزم أصهب
خفيف العارض بوجهه خال طويل القامة نحيف الجسم
كانت عزمات هذا الخليفة تجمل قومه يتحينون فيه ملكا ويرون فيه
علاماته : آية من آيات الله تعالى أن يقطع هذا الخليفة البر والبحر ويقيم
ملكاً أدبر ويركب من الاخطار ما يركب ويقصد الاندلس من أنأى ديار
المشرق من غير عصابة ولا انصار فيغلب أهلها على أمرهم ويتناول الملك
من أيديهم بقوة شكيمة ومضاء عزم وينقاد له الامر ويجرى على اختياره
ثم يورثه عقبه . آية من آيات الله انه مع هذا الملك الضخم الذي أتيح له والدولة
المتسعة التي كان فيها لا يسمي نفسه بأمر المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقر
الاسلام ومنتدى العرب وتبقى هذه التسمية الى الخليفة الثامن من بني
أمية بالاندلس حتى حدث من ضعف خلفاء بني العباس ما حدث ووقعت
غلبة الاعاجم . انظر لهذا الجد والاجتهاد وتأمل لهذا الميل بارتباط كلمة

الدين والرغبة في عدم قطع دعوة آل العباس مما أصبحت فيه جماعة المسلمين من الانقطاع

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

أفلت هذا الخليفة وخلص الى المغرب واجتمع بموالى المروانيين وأشياعهم وبثوا له دعوة ونشروا له ذكراً ووافق قدومه انكشاف يوسف ابن عبد الرحمن الفهرى من عسكره (بسبب ما كان من الاحن بين اليمنية والمصرية) ولم يبق معه من الجيوش ما يلتقى به الامير عبد الرحمن فانهزم في ظاهر قرطبة ثم لجأ الى غرناطة فتيهه الامير وناجزه الحرب ورغب في الصالح فعقد له على أن يسكن قرطبة وكان ذلك . ثم أدرك الامير عبد الرحمن بالاندلس (عبد الملك بن عمر المرواني) وكان بمصر فلما دخلت المسودة أرضها خرج يؤم الاندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة فلما وصلها عقد له الامير عبد الرحمن على اشبيلية

ثم نقض يوسف بن عبد الرحمن عهده الذي عاهد به ونكث وخرج فسير الامير للقائه (عبد الملك بن عمر المرواني) المذكور فلما تناجزا كانت الدائرة على يوسف ثم اغتاله أحد أصحابه وتقدم بقتله الى الامير واستقام الامر واستقر بقرطبة وثبت قدم الامير عبد الرحمن في الملك

أسس هذا الامير بمفرده الدولة التي بقيت زاهية الى ما بعد المائة الرابعة . شاد فيها من معالم الدين والدنيا ما لا يدرك لغيره شاد فيها جامع قرطبة الذي أنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبني مساجد أخرى وصير لبني أمية ملكاً ضخمه من العز السامى العباد ما بلغ غاية الآباد بالجد والاجتهاد وأقام لهم دولة متسعة كانت أنبل دول الاسلام وأنكأها

في العدو وبلغت من العز والنصر مالا مزيد عليه

حارب (الازفونش) والبورتنغال وخاطب فارلو ملك الافرنج وكان صعب المراس فإزال به حتى أوجبه الى المداواة والمواذعة بالسلم وجعل في هذا الثغر القاصي (نغر الاندلس) من حلية الملك ما أرفه به سيف عزه بسلطانه وحنك أهله بالسيرة الملوكية وأخذهم بالآداب السلطانية فأكسبهم المروءة وأقامهم على الطريقة المثلى ثم دون الدواوين وجند الاجناد وفرض الاعطية وعقد الالوية وأقام للملك آلة وللسلطان عدة اعترف بعظمتها أكبر الملوك حتى حذروا جانبه وتحاموا حوزته وما زال يمازج في معاملة الملوك التي تجاوره بالعنف مرة وباللطف أخرى حتى دانت له البلاد واستقل له الامر فيها وظهر له ظاهرها وخافها وأدركت أعداؤه ما هو عليه من عظيم القوة ما لا وحالا وعلمت ان لله رجالا

رفعت الامير عبد الرحمن (قوة الفضيلة . وصدق الحس . وبعد الغور وسعة الاحاطة) حتى ان مناظره الامام أبا جعفر المنصور كان يسميه (صقر قریش) وقد عرف له حقه وعدله بل استرجحه عن نفسه وليس لواصف ان يصفه فينصفه بعد قول هذا الامام فيه . قال جلسائه : « لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسبابه فالشأن في أمر قتي قریش الأخوذى الفذ في جميع شؤونه وعدمه لاهله ونشبه وتسليه عن جميع ذلك ببعده مرقى همته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لجج المهالك لا ابتناء مجده فاقتحم جزيرة شاسعة المحل نائية المطمع عصبية الجند ضرب بين جندها بخصوصية وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته واستمال قلوب رعيته بقضية سياسته حتى انقاد له عصيهم وذل له أيهم فاستولى

فيها على أريكته ملكا على قطيعته قاهراً لأعدائه حامياً لدماره مانعاً لحوزته خالطاً الرغبة اليه بالرغبة منه ان ذلك هو الفتى كل الفتى لا يكذب مادحه « هذا هو السر في قوة الفضائل التي تحلى الانسان بالرجولية والصرامة والاجترأ فتجعله ممدوحاً على كل لسان حتى على لسان أعدائه (والفضل ما شهدت به الاعداء)

أصبحت الخلافة الاسلامية بسببه خلافتين خلافة أموية في الاندلس وعباسية ببغداد وكانت سيرة خلفاء الاندلس أحسن من سيرة غيرهم في الجملة . سار سيرة حسنة لم يلامسها روح الشقاق ولم تنزع فيها النفوس للخروج على السلطان . كان رحمه الله قسطاساً للعدل يقعد للعامة يسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم فيصل بالضعيف الى رفع ظلامته دون مشقة ويردع الظالم عن بغيه وعتوه وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر قصرت عن بلوغ أمانيه التي كان يتمناها . نعم انه غزا فيها بلاد الافرنج (والبشكنس) ومن وراءهم ورجع بالظفر ولكن أين هذا مما كان يريده من اعادة دولة مروان بالشرق كما كانت في أبتها وسطوتها قبل الخلافة العباسية

استقر بقرطبة وهو الذي أدار عليها السور وأقام بها المباني الضخمة فأصبحت موضع العجب بآياتها الباهرة في الصناعة والاعمال العجيبة تحج اليها السواح من كل جانب لا يرفعون نظراً لشيء من عجائبها الا ويرد اليهم طرفهم مبتئساً يعيهم أثرها عن حذو تماثيلها بتمثال ويعجزهم عن ان يتحدوه بتمثال ألا فلتعجب جماعة المسلمين بتمثال هذا الامير وتفتخر به فخراً بعمل من لا يساويه من أهل تلك الملل الاخرى فان في أفعاله جميع الضروب

والاشكال التي تقصد في المنافع كسعادة الامم وترتيبها وإقامة الدول وحفظها من الانحلال . ولو ان رجلا اتصل بدار وهو من غير أهلها وقدر على أن يملكها منهم وأن يستخدمهم لذاته ثم ينظر في وجوه سعادتهم فيدينهم منها ويسهل لهم أبواب الخير حتى يعيش معهم ويعيشون معه في أرغد عيش بعد ذلك عملا عظيما ودهاء كبيراً فكيف بمن يفعل ذلك بأقلهم حشوه قوم جلاد شداد وقد أحاطت به دول في غاية ما يكون من القوة والقدرة . اللهم ان هذا من أعجب العجب

يدهش الانسان سمو هذه الغايات الشريفة التي مهما طوتها الايام وأخذت من زينتها لا تزال محلا للمناظرة وموضعا للمباهاة تبدي زينتها وتباهي بنفسها حتى يدعن لها العدو المعاند والمنكر الجاحد . ثم يندهش الانسان من تلك الحوادث التي طرأت على هذه المدينة العظيمة حتى أحالتها الى همجية بل أبادتها من يد أهلها

كل هذا انما نشأ من عدم رعاية خلفاء الاسلام لحفظ آثار بعضهم وانهم لا ينظرون لها باعتبار أنها من عملهم بل يفرحون بزوالها وحلول الخراب فيها لتنسى الناس بذلك أسماء المشيدين لها كأنما أوائلهم كانوا من أشد أعدائهم أما بغير هذا فحال أن تذهب آثار الاسلام من على وجه الارض وعلى الخصوص ما كان منها في هذه الاقطار مما اتحدت اللسان على أبعته وضخامته وجلالته

الحاكم أبو الامة والكل عياله والعلم سلم الترقى الذي يعرف به الولد حق أبيه ويدفع الوالد لاداء حق ولده وهو طاهر اليد من نعمته التي أنعم الله بها عليه فتمتقوى أركان المملكة ويعظم جسمها وتتناهى في العمران

بعض ثروتها وتوفر أعدادها واتساع بلادها فتسعد بالصلاح والاصلاح
ويغمد بسر العدل والانصاف ذلك السيف الفتاح . فاللهم هيء لنا الخير
وافتح لنا ابوابه وأسبل علينا من فضلك وعنايتك ما ييسر لنا صعب
أمورنا واهدنا وأرشدنا الى خير العمل حتى ندرك المعنى الذى به تتم
الصالحات آمين

﴿ الحكم بن هشام ﴾

هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ثالث من ملك الاندلس من
الامويين . تولى بعهد من أبيه هشام بن عبد الرحمن الداخل
كان هشام والده يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز رضى الله
عنه فحكما انه كان يبعث بقوم من ثقافته الى الكور فيسألون عن سير عماله
وأعمالهم ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه حيف أحدهم أوقع به وأسقطه
وقاصه كان متفقداً أيضاً لحال أبنائه ومن يظن انتهاء أمر المسلمين اليهم
من بعده . وهذه خلة من خلال عبد الرحمن الداخل ورثها أبنائه وعلمهم
توشيحهم وتثقيفهم على الامر وبين لهم مزية السؤال عنهم وعدم اهمال
توبيخهم وتثقيفهم وتدريبهم

لذلك نشأ « الحكم » منشأ حسناً فكان في معاليه صاعداً وفي
مراقبه سامياً واستولى على شرف التأديب . فكم من مطالب لذواهب
المجد والفخر أدركها ومغانم من عوائد الحمد والشكر تخولها
تولى بعد موت أبيه هشام سنة ثمانين ومائة فاستكثر من الماليك
ومن رباط الخيل وأعد ما استطاع من القوة فاستفحل ملكه وسد مكانه

واجتمع من بحضرته من أهل بيته وقواده ومواليه وغلمانہ وجنده على متابعتہ ومشايعته فباشروا معهم الامور ثم حدثت فتنة بينه وبين عميه اغتتمها العدو واعتدها فرصة وقصده برشلونه فامتلأ بها وتآخرت عساكر المسلمين الى مادونها بسبب فتنة الاقارب (وكذلك يفعلون)

ثم بعث الجند الى بلاد الجلالقة وأنحن فيها فخالفهم عدوهم الى المضايق فرجع على التعبية وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا

يقال عن هذا الامير انه كان في صدر ولايته منهمكا في لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالک وأحد رواة الموطأ وطالوت الفقيه وغيرهما وما زالوا به حتى اقتتلوا معه في طاعة الله : العلماء في ناحية والامير في ناحية . ثم انتهى الامر بعد قتل وقتال وتغريب وتشريد

هذه الحادثة شذت عن القياس في محاربة الامير لعين أعيان دولته وخيرة أنصار دعوته . ولكن انظر لحال العلماء ومعاملتهم لامرائهم وتقويم اعوجاجهم بالسيوف تجد أن تلك موعظة يجب النظر اليها بعين الاعتبار وأمثولة تستحق أن تحفظ . اعتدل بعدها حال الامير وازداد تخلقه بالاخلاق الحميدة واستمر على الطرائق الرشيدة واوضح له الله السداد وأثار منهاجه وعرفه يمنه وبركته

دخلت عليه سنة اثنتين وتسعين ومائة فجمع (لذريق بن فارلو) ملك الفرنجة جموعه وأغار بها على بلاد المسلمين وسار الى حصار طرسونه فبعث الحكم بن عبد الرحمن بعسكره فهزمه باذن الله وفتح الله على المسلمين وعاد ظافرا . ثم كثر عيث الافرنج وعيبتهم في ثغور وحصون الاندلس

و« الحكم من طرف ورجاله من طرف آخر يشخنون في القتل والقتال حتى
 ماد الى قرطبة ظافراً »

ثم في سنة ٢٠٠ بعث العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الافرنج فأخذ
 عدة حصون وأقبل عليه (اليط) ملك الجلالقة في جموع عظيمة وتنازلوا
 على نهر واقتتلوا أياماً ونال المسلمون منهم أعظم النيل وقفل المسلمون
 ظافرين ظاهرين

هو أول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان خل بن أمية بالاندلس
 وأشد من إقداما ونجدة . قال بعض المؤرخين انه كان يشبه أبا جعفر المنصور
 من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيده وتمكين الدولة وتشبيدها
 وقع الاعداء وكان يحب الخبز ويعين عليه ويراعى صنعه وينمى غرسه ويسبغ
 نعمته اذا أولاهها ويتم عارفته اذا اسداها من ذلك فعله في المجاعة الشديدة
 التي وقعت سنة سبع وتسعين ومائة التي أكثر فيها من مواسات أهل
 الحاجات والفقراء حتي سارت بخبر خيراته الناس ودوتها الرواة

استمرت مدة ملكه ستا وعشرين سنة . قال غير واحد انه أول من
 جعل للملك بأرض الاندلس أبهة وشأنا وهو أول من جمع الاسلحة والعدد
 واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وأعد رباط الخيل على بابه وكانت
 الجياد التي على شاطئ النهر قبلى قصره التي فرس وكانت له عيون يطالعونه
 بأحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين
 وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالاندلس

ومن أعجب ما يروى عنه أن العباس الشاعر توجه الى الاندلس فلما
 نزل وادي الحجارة سمع امرأة تقول : « واغوثاه بك يا حاكم لقد أهملتنا حتى

كلب العدو علينا فإمتنا وأيتمنا » فسألها عن شأنها فقالت : « كنت مقبلة من البادية في رفقة نخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت ، فصنع في قصيدته التي أراد أن يلقاه بها أبياتاً منها

تململت في وادي الحجارة مستنداً أراعى نجوماً ما يرون تغيراً
اليك أبا العاصي نصيت مطيبي أسير اليكم سارياً ومهجراً
تدارك نساء العالمين بنصرة فانك أخرى أن تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاثة إلى وادي الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض للعدو كانت ؟ فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية وفتح حصونها وخربها وأحضر المرأة وجميع من أسر له أحد في تلك البلاد وقال للعباس سلها هل أغاثها (الحكم) ؟ فقالت : والله وشفي الصدر وانكى العدو وأغاث الملهوف فأغاثه الله وأعز نفره . فارتاح لقولها هذا

مثل هذه النجدة الآن تعجز أوروبا بأجمعها عنها ولقد أعجزتها فعلاً في مسألة البوير فلم تنبس بينت شفة واهج صوت الشيخ الرئيس كروجر فرط النداء والاستصراخ (وما أنت بسمع من في القبور) قبور الشهوات والملاذ التي أنست الناس الفضيلة ومكارم الاخلاق وصبحتهم لا يعرفون شيئاً غير صيانة هياكلهم في حصون الجبن حتى أصبح الصديق تقريباً والنصح والاخلاص تضيقاً وكانك لو نظرت لتاريخ أوروبا والمشرق لا تجد غير ذلك : اندفاع إلى المنفعة والمغانم بغير نظر إلى شرف أو فضيلة
انا لو شئنا سرد الشواهد على أن مدينة أوروبا (بالقول لا بالفعل)

لاحتجنا الى تأليف جديد ولكن الظن بالقراء انهم يكتبون ببعض هذه الشواهد الظاهرة والاغراض السياسية الكاذبة مما لا يوجد في بلاد المسلمين أبداً لانهم يجهلون التلفيق والتمويه في الحقائق وابرازها في اثواب الزور المدبجة بألوان التمدن العصري

﴿عبد الرحمن بن الحكم﴾

هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية ابن هشام الاموى . هو أبو المطرف عبد الرحمن الثانى ملك الاندلس يقال له عبد الرحمن الاوسط لتوسطه بين عبد الرحمن الاول والثالث ولد بطليطلة سنة ١٧٦ وتولى الخلافة سنة (٢٠٩) على أثر وفاة والده وعمره ثلاث وثلاثون سنة وولى الحكم ثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثلاثين ومائتين

كان عبد الرحمن أسمر طويلاً أقنى الانف عظيم اللحية حازماً قوياً شجاعاً جمع الله فيه ما بين لطف الأدباء والشعراء وفضل العلماء وشجاء القواد ومهابة الحكماء فكان نادرة زمانه

هذه أبوه الحكم وعزده على الجلوس على مراتب الملك والسلطان لانه استعان به فى مهمات أموره من الوظائف السلطانية التى تدرج تحت الخلافة ويشتمل عليه منصبها من أحوال الدنيا والدين فانفذه فى عظام المهام وولاه قيادة الجند فى محاربة الافرنج وتذليل البلاد النائرة فأصبح له من النظر بأمور الجند والسلاح والحروب والبصر بسائر أمور الحماية والمطالبة بالحقوق ما يكفي لمثل هذا المقام وحسبك أنه هو الذى أخمد فتنة

طليطلة باليوم المعروف بيوم الحفرة المبسو ط خبره في مواضعه من كتب التاريخ
تولى الملك بعزيمة الصلاح ومساعي النجاح وأولاه الله العز والنصر
وخص أعداءه بالنذل والقهر . فقد خرج عليه عم أبيه (عبد الله البلنسي)
ينازعه الملك فلم يلبث أن مات وخلصت الحكومة له فصرف همه لاختاد
الفتن داخل بلاده ورد غزوات الافرنج عنها ورفع معالم العلم فيها وكان له الفوز
في أكثر حروبه واستولى على برشلونه وغيرها من البلدان وطر دالفر نساويين
من قطالونيا

وقف حائلا بين النوائب وبين مملكته دافعا عنها احدثات الزمان آسيا
الكلومها جابرا لثلومها في عام توليته أخذ فتنة البيره وأوقع بأهلها الوقعة
المعروفة بوقعة بالس . وفي السنة التالية سير جيشا الى بلاد (البسة) مع
عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فحاصرها وأحرق عدة حصون بها وغنم
الغنائم وعاد بعد ان صالح أهلها على مال كثير

وقعت هيئته في قلوب ملوك الافرنج ففاز فوزا عظيما وغزا بلادهم
مرات . ووفق لاختاد الفتنة اليمانية والمضربة ببلاد مرسية ودانت له وافتتح
برشلونه مرة ثانية بعد ما انتقضت عليه وهدم سورها . ثم فتح مدينة باجه
واستولى على مدينة طليطلة ثم كانت له وقائع كثيرة مع الاسبان في أطراف
بلادهم والفرنسويين وكان الفوز له في معظمها مع الغنائم الكثيرة

كانت في أيامه غزوات النور منديين (١) المعروفة في تواريخ العرب
(بغزوات المجوس . أو ظهور المجوس) واختلف القوم في تواريخ حدوثها وفي
تعداد غزواتها ومنهم من جعلها غزوتين والآخر أنها غزوات متتابعة لم تكن

(١) أهالي نور منديا في جنوب فرنسا وأصلهم من السويد

ذات شأن في أول الامر ثم أقبل النور منديون في أوائل عام ٨٤٥ مسيحية
بحيـش جرار في سفنهم وعاثوا في سواحل الاندلس ونهبوا (قادس) وظفروا
بالمسلمين . ثم ساروا الى اشبيلية في السنة التالية فخرج اليهم أهلها وقاتلوا
فقتل الكثير من المسلمين وانهزموا واكثر النور منديون من النهب والسلب
وعاثوا في البلاد وعادوا الى مراكزهم ثم خرجوا منها وحشد عبد الرحمن
جيوشه من كل البلاد وكانت بين الفريقين حرب شديدة فاضطر
النور منديون الى الرحيل عن اشبيلية ولكنهم ظلوا ينتقلون في السواحل
ويعيثون سلباً ونهباً الى أن تمكن عبد الرحمن بعد الجهد الجهد والعناء
الشديد من طردهم عن بلاده

وصلت جيوشه الى مدينة ليون ورموها بالمجانيق فهرب أهلها عنها
وتركوها فغنم منها المسلمون غنائم كثيرة

كانت الخلافة بالاندلس لا تشبه غيرها من خلافت المشرق لما يلزمها
من شدة الحذر وطول السهر وقلة الراحة ودوام اليقظة لان غارة
جيرانها من الامم المباينة لها لا تنقطع ولان المسلمين فيما بينهم (جسم غريب)
وكل فرد من هذه الشعوب ليس له هوى غير الانتقام منهم والتمكن من
اعادة أرضهم وملكتهم اليهم والحوطة عليه وشغلهم ان يبقوا متكالبين على
الطلب ومتبهي آمالهم ان يعيدوها كما كانت لا يغفلون عن ذلك أبداً وليسوا
بصامتين فيحتاجون الى من ينطقهم ولا لاهين فيضطرون الى من
ينبهم بل متعرضين لذلك تعرض المستميت بعزم الواجد لا المتكلف ولا
يزال حكماؤهم ينصحون به الناس على طول الايام والناس فاعلون

هذا حال العدو والمحارب وأشد منه حال الصديق الخادع . والرصيف

المنافق . وهم الذين يصدون مرصدا الكيد للدولة من العمال فقد انتقض عاينه . بعض عماله يدعون للخلفاء العباسيين ببغداد (ولو كانوا ببغداد لدعوا فيها للأمويين بالاندلس) فكان هؤلاء من طرف وحروب الاسبان من جهة أخرى حتى استقلت ولايتا (اراغوان) و (نواره) عنه . ومع هذا فقد ترك ملكا قويا خلفه عليه ابنه (محمد)

بلغ مرتبة تقطعت دونها انفس المنافسين وتضرمت احشاء الحاسدين من الثأى الذى رأبه والشعث الذى لمه والعدو الذى أرغمه فبعث اليه (نوفلس) ملك القسطنطينية بهدية وطلب مواصلته ورغبه فى ملك سلفه بالمشرق^(١) (تأمل لهذا الخدق فى بذر بذور الشقاق وانظر سهام المكيد النافذة) وذكر له المأمون والمعتصم فى كتابه وعبر عنهما (بأسماء امهاتهما) امتحانا فلاقت هذه الحالة من الامير عبد الرحمن رجلا خبيراً حكيماً فدفعها بدهائه وكافأه على هديته وبعث اليه (يحيى الغزال) من كبار أهل الدولة وكان مشهوراً فى الشعر والحكمة فاحكم بينهما وصلة الحب وارتفع لعبد الرحمن عنده ذكر وأى ذكر

كان واسع الرزق فى كل شىء حتى فى ذراريه فقد مات عن ٤٥ ولداً ذكوراً . وكان أديباً شاعراً عالماً بالشريعة وغيرها من علوم الكلام بعيد الهممة . وهو أول من شاد القصور الجميلة والمنتزهات ومهد الطرق وأتى بالماء العذب الى قرطبة من الجبال وبني المدارس وأسس ديار العلم وشاد الجوامع الكثيرة وبنيت فى أيامه الجوامع بكور الاندلس وزاد فى جامع قرطبة ومات قبل أن يتمه فأنتمه ابنه (محمد)

(١) يعنى الخلافة الاموية بالشام التى ابتدئها منهم العباسيون

هو رابع ملوك الامويين بالاندلس ولكنه اول من أقام أبهة الملك
وكان محباً للعلماء . والادباء جمع اليه ذوى الشهرة من شعراء العرب وذوى
الفضل منهم ويعترف الاروباويون انه لم يكن في زمانه دار ملك كدار
ملكه أبهة ومجداً

لعل عبد الرحمن هذا هو الذى نقل هيئة الحكومة الى ما رمز اليه
العلامة ابن خلدون في مقدمته من غير أن ينسبه لاحد (قال فى كلامه على
العمران البدوى : وأما دولة بني أمية بالاندلس فالفوا اسم الوزير فى مدلوله اول
الدولة ثم قسموا خطته أصنافاً وأفردوا لكل صنف وزيراً فجعلوا لحسبان
المال وزيراً . ولترسيل وزيراً . ولتنظر فى حوائج المتظلمين وزيراً . ولتنظر
فى أحوال أهل الثغور وزيراً . وجعل لهم بيت يحلون فيه على فرش منضدة
لهم وينفذون أمر السلطان كل فيما جعل له الخ) وهذا شئ أشبه بنظار
الحكومات الآن (ولعله مبتدعه)

دخلت فى مدته صناعة الغناء من المشرق الى الاندلس بوفود زرياب
المغنى مولى المهدي من العراق اليها وهو تلميذ ابراهيم الموصلى فركب بنفسه
اليه وتلقاه وأكرمه وأقام عنده بخير حال وأورث صناعته أهل المغرب وحلف
أولاداً وخلفه فى صناعته وخطوته كبيرهم عبد الرحمن ثم انقطع هذا الى
أزمان الطوائف

وغير خاف ان هذه الصناعة هى آخر ما يحصل فى العمران من الصنائع
لانها كالمالية فى غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهى أيضاً
اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه أو تبدله (كما هو واقع بمصر
الآن) ولا مشاحة فى ان هذا الفن من أجل الفنون لانه ينفع المرضى كما ينفع

الاصحاء وقد كشفت العلوم الجديدة والتمدن الحديث لزومه لكيان الوجود
والحياة لزوم الماء والشعب وان عليه مدار صحة الامم لان الفراغ واللذة بعد
السكد والعمل لا بد منهما والا فلنبت هالك لا محالة

وهو اول من احدث النقش في الخاتم بمزيد عن الاسم فكان نقش
خاتمه (عبد الرحمن لقضاء الله راض) وكانت ايامه ايام رعد وهناء على ما فيها
من الحروب بل الفتن الداخلية وذلك لانه كان يتلقاها بفكر ورأي وثبات جاش
وحزم فلا تلبث الفتنة أن تزول ولذلك بلغ في ملكه اتساعاً عظيماً وجي
مالاً كثيراً وكان طروباً غوراً بجده وأعماله اللائقة فمن شعره في ذلك

تدارك بي الله دين الهدى فأحييته وأمت الصليبا

ألقى بوجهي سموم الهجير اذا كاد منه الحصى أن يذوبا

فكم قد تخطيت من سبب ولا قيت بعد دروب دروبا

وكان مولعاً بالسماع محباً له وهو أول لذاته شغله عن كثير من المنكرات

التي تعظم عليه بتبعتها والحمد لله

لا شك أن القارئ ينسب كل ما لهذا الخليفة من الاعمال الخيرية

لقوة الدين وشدة العزيمة والبحث عن عواقب الامور وفرط الروية

والتبصر وأساس ذلك كله العلم والعمل اللذان فتح له بابهما أبوه

باشرف عهد أييه الملك فدربه فيه تدريب الحكيم فذوليه لم يتعترف

ذيله الطويل ولم يتحمل أبوه مسؤولية الخلافة حياً وميتاً بل أبرزه للورى

هبرزيا لا يفرى أحد فريه

صرف بصره الى وطنه وعرف ما يجب له عليه . فخدق النظر .

واستطلع الخفايا . واستجلى الدقائق . فتجلت له دعامة وجوده وروح

حياته فرأى أنه بالفضائل يحيا وبالرذائل يموت ويفنى وباختيار الامناء
الا كفاء من الرجال يعز ويغنى وبالذلاء يذل ويشقى
تجلى له هذا المظهر فشمع بأن له شأننا عظيما في الوجود وأحسن بقواه
المقدسة التي أودعها فيه مدبر الكون فاندفع الى طلب الفضيلة الحقيقية
والكمال الصحيح الذي هو له أهل فأصبح من أحسن الناس سيرة
وانما المرء حديث بعده فكأن حديثا حسنا لمن وعى

﴿عبد الرحمن الناصر﴾

هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الاندلس من الامويين
ويعرف بعبد الرحمن الثالث ٠ ولد في سنة ٢٧٧ وتولى الحكومة سنة ٣٠٠
وتوفي سنة ٣٥٠

وجد الاندلس مضطربة بالخالفين مضطربة بنيران المتغلبين بسبب
ان من تولى الاندلس بعد عبد الرحمن الاوسط (محمد) و (المنذر) و (عبد الله)
لم تصافهم جيرانهم ولم تهملهم أيامهم فلم تطل مدتهم في الملك ولم تطل ايديهم على
أعدائهم بالدمار والهلاك فاشتغل في اطفاء تلك النيران واستنزال اهل العصيان
مدة استوعبت ثيفاً وعشرين سنة من أيامه حتى استقامت له الاندلس في
سائر جهاتها بعد استيطان البلاء وفقد الرخاء واشتعال نار النفاق وضيق الافاق
فاذا به بسط العدل المشهور بالسيف المنصور وحقق الدماء المسفوكة وأمن
السبل المخوفة وأحرز الأموال المنتهية وحصن البلاد الخربة وجمع بامامته
الكلمة بعد افتراقها فهو الذي رفض الدعة وهي محبوبة وترك الرأفة وهي

مطلوبة لتلين له الاحوال بعد الشدة وتكسر من شوكتها بعد الحدة والحمد لله
على آلائه

ومن الغريب انه كان في عهد توليته شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون
فتصدى اليها واجتازها دونهم كأن الله هيأه وأعدده لما أراد من الخير على
يديه لهذه البلاد

هو أول من تلقب بالقباب الخلافة وتسمي (بامير المؤمنين) وكانوا من
قبله يخاطبون ويخطب لهم بالامير كما تقدم السكلا وذلك عندما تحقق ان أمر
الخلافة بالمشرق قد ضعف واستبدت على الخلفاء مواليتهم والتاث أمرهم على
جماعة المسلمين وتطاوت أيدي الديلم لقتل الخلفاء (كما وقع للمقتدر من
خادمه مؤنس) فظهر بمظهرها في مجالس الحشد والحفلة ومواطن الانس
والعظمة مستكملا شعارها من الاكبار والاعظام والاجلال والاکرام

مدت اليه أم النصرانية المجاورة لمملكته من وراء الدروب
المستحكمة يد الطاعة والاذعان خوفا على أنفسهم وممالكهم من مطوي
أفكاره ونخبوء تدابير السديدة وآرائه المفيدة فصفا لهم إذ صافوه وأمنهم
اذ سالموه تحرزاً من الوقوع في اشراكه وأوفدوا عليه من رسلهم وهداياهم
من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والتزلف والسلم والاعمال فيما
يعين في مرضاته ووصل الى سدته الملوك المتاخون لبلاد المسلمين بجهات
(فشتاله) و (بنبلون) وما ينسب اليها من الثغور الخوفية فكانوا يقبلون
يده ويلتمسون رضاه ويحتقبون جوائزه ويمتطون مراكبه وكل وفد من
الوفود يحتفل في لقياءه بالعسكر والقواد وأصحاب الشرطة وطبقات أهل
الخدمة كالموالي والحشم بما يناسب هول المقام وأبهة الخلافة ثم تقام لذلك
(٩ م ن)

الاحتفالات الشائقة وتلى فيها الخطب الرائقة بما يدل على نخامة جباه الدولة
وبيان ما يخطبه الغير من مودتها ثم يغدق على أولئك الوفود بالعطايا فيخرجون
من الحضرة ويرحلون عن البلاد وقد اشتد عجبهم وطال تحدّثهم بما رأوه
من قدرة السلطان وعظمة الملك مما هو مبين في مواضعه

سما الى ملك العدو فتناول «سبّته» ونقل «الفرضة» من أيدي أهلها
وأطاعه بنو ادريس أمراء العدو وملوك زنّانة والبربر وفتح طليطلة
وقرموة . واشبيلية . وكثيراً من البلاد العاصية والنواحي المستقلة
كانت أيامه أيام جهد وعناء بما اتى من عنت الخوارج وتمرد العصاة
وطمع ملوك الاطراف من المسلمين وقتال أمراء النصارى في أستوريا
ونواره . وملكى لاون اوردينو الثانى . ورامير الثانى . ومحاربة الفاطميين في
افريقيا بعد ظفرهم بالملوك الادارسة وايفال جنوده في السودان المصرى ومع
ذلك فقد خرج ظافر آمن معظم تلك الحروب ودوخ البلاد واخمد الفتن وظفر
بالمنتقضين عليه

انظر لما شيده من الآثار وأقامه من علائم المجد مع هذه البلايا والمصائب
الداخلية والحن والفتن الخارجية الملتفة حول كرسى خلافته لا يكاد يلتفت الى
واحدة منها إلا وتستصرخه اخرى

يده يبضاء على العلم والصناعة والتجارة فازدادت بذلك شهرته ومكانته
فهو الذي أنشأ المباني العظيمة وشيد المساجد والجوامع والمدارس الفخيمة
ومن أشهر هذه الاعمال الخطيرة (مدرسة الطب) وهى أول مدرسة
نشئت في أوربا بأجامع المؤرخين (والمكتبة الشهيرة) بقرناطة وهى أجل
مكتبة كانت في عهد هاهنا على ظهر الارض أودعها ستمائة ألف مجلد (الاسطول)

البحرى الذى غزا به افريقيا

شيد مدينة (الزهراء) وكانها حاطها بشعار التعظيم والبسهار داء التكريم وناهيك ببلدة استدعى لاقمتها وبناء قصره (دار الروضة) فيها عرفاء البنائين والمهندسين من كل جهة فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية وأقيمت على ٤٣٠٠ عامود من المرمر الخالص وصرف في بنائها ٧٥٠٠٠٠ دينار (١) واستغرق العمل فيها خمس سنين

جلبوا اليها الماء من مستقره في الجبال لسقاية المدينة ولوازم قصره وقصور سافاته وأنعموا له تلك المباني وأعظموها في نظر كل انسان ففانت لعلو درجتها ما تقدمها من الآثار جمعت عجائب البناء وغرائب الاشياء فخدائق القصور التي شيدوها كلها ميدان اعتبار واختبار كانت منزها للانسان ومرعا للحيوان ومسارح للطيور فهي للمالحة والحاجة والفطنة والزاهة ثم أقام دار الصناعة (٢) وجمع فيها من آلات السلاح للحرب ما لا يوصف وأحيوا واسطها ميت الاعمال الصناعية ثم جلب اليها ما قدر عليه من الخارج أيضا كصناعة العاج والابنوس والصفير ومواد التلبيس والترصيع والتطعيم بالفضة والذهب التي لا تزال آثارها باقية للآن في تعاربج أبواب القصر والمدينة مجلبة للحسرات على مواضى هذه الايام

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان
ان البناء اذا تعظم قدره أضحى يدل على عظيم الشأن
ذكرت جماعة المؤرخين سبباً لطيفاً لبناء هذه المدينة (الزهراء) قالوا

(١) قيمة الدينار تساوى نصف ليره انجليزية تقريبا

(٢) حرقت هذه اللفظة حتى صارت (ترسخانة) وهي المعروفة

ان الناصر ماتت له سرية وترك ما لا كثير أفاًمر أن يفك بذلك المال أسرى المسلمين وطلب في بلاد الافرنج أسيراً فلم يجد فشكر الله على ذلك وبنى هذه المدينة (فله من هذا الفكر السامى الذى صبر ماله بين أن يجلب به على الامة الشرف العظيم أو يقيم لها به الاثر الفخيم)

ما كان أحوج هذا الملك العظيم الى السلامة التامة من جميع وجوهها ليكون متساوى الفخار بين سره وجهه وعالنه وباطنه ولكن أين تذهب خيانة الخونة الذين ليس لهم شغل إلا طمس المعالم ودروس المآثر للاغراض الذاتية فيمتكون ما يحق ان يصان من حرمة الملك ويخرقون ما يجب ان يحفظ من هيبة السلطان. فهم الساهرون اذا رقد الناس المستيقظون اذا ناموا اليشعوا أنكر الغارات على الحاكم وقيموا أقبح العثرات في وجه الخليفة ليقعده عما هو فيه من نصرة الدين والمسلمين

كان الخليفة عبد الرحمن كثير الجهاد والغزو بنفسه فيسير الى دار الحرب لينخن في العدو حتى يدعو للطاعة. لا شغل له الا فتح الحصون وامتلاك البلاد والنواحي واقامة ميزان عدله فيها

كبر على الخونة والمردة ان يوطىء عساكر المسلمين من بلاد الافرنج ما لم تطأ قبل من ايام أسلافه. وحدث انه كان للخليفة عبد الرحمن وزيراً اسمه (احمد) نقم عليه أمر او أتهمه بخيانة فقتله. وكان لهذا الوزير أخ يدعى أمين بن اسحق من بنى اسحاق أمراء الاندلس المروانيين (عمال الاندلس في عهد بنى أمية وبنى مروان) فقتل ابن اسحق على الخليفة وعصى في مدينة (شنترين) سنة ٣٢٥ وأحدث بها ثورة عظيمة. ثم التجأ الى (راد مير) ملك الجلائقة ودله على عورات المسلمين وكانت بينهم الواقعة المشهورة بواقعة (الخنديق) ذهب فيها

من عسكر المسلمين خمسون ألفاً أوزيدون بخيانة هذا المارق والاعجب من ذلك أنه استأمن الى الخليفة عبد الرحمن بعد أن تخلص من (رادمير) ووسعه حلمه وكرمه وقبله أحسن قبول

بعد هذا الحادث قعد الخليفة عبد الرحمن عن الغزو بنفسه وصار يردد الصوائف (١) في كل سنة ثم جهز عسكراً مع عدة من قواده الى الجلالة وكان له عدة حروب هلك فيها من الجلالة خلق كثير

أنظر (لولا هذه العثرة) كيف يكون ملك الاندلس مع خليفة مثل هذا جمع أشتات الفضائل حيث أعطى القوتين العامية والحربية ورفع منار العلوم والفنون وأدخل في الاندلس مفاخر كل جهة وزينة كل بلد وانقاد له المغرب الاقصى وحث الناس على الادب الديني فانغمسوا فيه فترقت نفوسهم وسمت الى مراقى الفلاح ونشرت التربية القومية بتعميم العلم والتهديب بغير تقصير من العلماء الذين هم روح الامم وحياتها فبعث الامة في خلق جديد

لطيفة له - (أقصها عليك تعلم منها قدر احترامه للعلماء وقدر إعظام العلماء أنفسهم في أيامه لما ذاقوه من لذة العلم وأحسوا به من شرفه) - اشتاق مرة للفقير الامام أبي ابراهيم فطلبه وكان بالمسجد المنسوب لابي عثمان يسمع طلبته الحديث الشريف فبعث اليه الخليفة خادماً يدعوه اليه فلما جاءه وبلغه رسالة مولاه قال له السمع والطاعة ولا عجلة ارجع الى أمير المؤمنين واذا ذكر له عنى انك وجدتني في بيت من بيوت الله مع طلاب العلم أسمعه حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيدونه عنى وليس

(١) الصوائف جمع صائفة وهي غزوة الروم صيفاً لقلعة الثلج والبرد

يمكننى ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المهود لهم في رضا الله وطاعته فاذا
انقضى مشيت اليه ان شاء الله . فمضى الخادم ولم يك الا ربما أدى جوابه
وعاد يقول أنهيت الى أمير المؤمنين رسالتك فقال جزاك الله خيراً عن
الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين واذا أنت أوعيت فامض اليه
وكان ذلك

فحبذا الحاكم والعالم هؤلاء الرؤساء الصادقون المفلحون الذين زينوا
وجه الدين وانصرفوا عن الفخفة الباطلة الى الصراط المستقيم وعلى فعلهم
هذا بنى القائل قوله

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظموا
فتى علماؤنا لهذا السريفة هؤلاء القليل يتعظون
تهذبت في أيامه الامة فجمع ما يؤثر عن أهل الاندلس من نوادرهم
وحكاياتهم في العدل . والوفاء . وحسن الاعتذار . والقيام بحق الاخاء وعلو
الهمة في العلم والدين . والذكاء . واستنباط العلوم واستخراجها . وحب العلم
واللطف . ورقة الاخلاق . والقوة والشجاعة . والملح وأجوبة الملوك .
والظرف . والبلاغة وعدم احتمال الضيم والذل والانفة . والجود والفضل
وسرعة البديهة والعفو وغير ذلك من الخصال الحميدة التي تدخل تحت
عنوان مكارم الاخلاق جميعها . نما ذلك في مدته فهو اما باذره أو غارسه
أو منميه أو مستثمره رحمه الله

مضت أيام هذا الخليفة على الاندلس وكانما هي خيال حالم أو حديث
نائم تولاها ولم يكن في بيت المال ما يسد شيئاً من نفقات الجند وغيرهاتهم
توفي فترك من الاموال المدخرة شيئاً عظيماً فضلاً عن السلطان الكبير

والمجد الباذخ حتى لقبه الافرنج بالكبير والعظيم
عمر مملكته بالعدل والاحسان فنمت البركة فيها وانفسحت نفوس
الرعايا للسعي والاكتساب وابتعد عن الظلمات المفسدة للعمران من
تكليفهم بالاعمال وتسخيرهم بغير حق أو أخذ ما بأيديهم بأجناس الاثمان
فقامت الدولة وعظم عمرانها لآمان الناس على أموالهم ، وحرمتهم ودمائهم
وأسرارهم وأعراضهم

كانت الاندلس في زمانه زاهية بالمعارف والعلوم زاهرة بالثروة والغنى
يعجب الذى يقابلها بحالها اليوم . فأين كثرة الصناعة والتجارة والمعامل
الحريرية والمصانع الغريبة وورش التطريز والوشى والنسيج . ومع هذا الكمال
الذى لا يفضله الا الكمال الالهى فقد وجدت بعد وفاته ورقة مكتوبة بخط
يده يعدد بها أيام السرور التى صفت له مدة حياته فاذا بها أربعة عشر يوما
نقب الكثير من طلاب الاخبار على هذا الاثر فاعثروا عليه وجال
في فهم الكثير منهم تأويل ذلك أو استنتاجه فذهبوا أيضا مذاهب شتى
والذى يدل على الخبر ان صح ان تلك الايام التى عدها هي أوقات فراغه
من أشغال الملك لان الملك بنى على المشاغل وهى لا تنتهى فاذا تم للملك ما
يريد وأمكنه ان يرصد لنفسه وقتا يرى نفسه فيه خاليا عن حاجات المنصب
الذى أقامه الله فيه فتلك سعادة ما فوقها سعادة وقد قال قوم غير ذلك وكثر
القول حتى ألف بعض الاجانب رسالة فى تلك الايام ذهب فيها مذهب
القصاص و « الرومان » فأضعف هذا التخمين ذلك اليقين والله أعلم

وخير ما فى المسئلة ان ينظر العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها
بكمال الاحوال لاوليائها . هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به

المثل في الارتقاء في الدنيا والصعود ملكها خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام ولم تصف له إلا أربعة عشر يوماً فسبحان ذى العزة القائمة والمملكة الدائمة لا إله الا هو . ثم يستكثر في أعماله من كل خير وبر فما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

لا تغبط الاقوام يوماً على ما أكلوا خضاً وما سربلوا
بذبل غصن العيش حقاً ولو أضحى ومن أوراقه يذبل

الحكم المستنصر بالله

هو الحكم المستنصر بالله ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر وولى عهده من بعده . اعتلى سرير الملك يوم وفاة أبيه يوم الخميس وقام بأعبائه اتم قيام وأنفذ الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه وتنقيف مملكته . وضيبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما أخذ البيعة على أهل القصر ثم على اخوته وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم وجلس وجلست الناس للبيعة طبقة طبقة كما هو مفصل فى مواضعه فلما تمت أذن للناس بالانفضاض ثم أخذ هو وأخوته فى تشييع جنازة الناصر لقصر قرطبة للدفن هناك فى تربة الخلفاء وفدت عليه الوفود للبيعة والتماس المطالب وقدمت من أقاصى البلاد فجرى على رسم أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر رضى الله عنه فى سلوك سبيل القصد واتباع طريق الرشد واحتذاء حسن الأثر حتى قالوا ان الاندلس لم تفقد الاشخصه وضح عليه قول أبى الحسين فى ممدوحه أبى العشائر يا ابن من كلما بدوت بدالى غائب الشخص حاضر الاخلاق

لو تنكرت في المكر عليهم حلفوا انك ابنه بالطلاق
استخلف على عمله أهل الفهم والمعرفة وذوى الدين والورع والدعة
والفقهاء المشهورين بالغناء والكفاية والعلماء الجامعين للرواية والدراية حتى
ظهر في عيون الاعداء والاصدقاء بمظهر الكرامة والاحترام
أهدى للحكم في أوائل ولايته هدية جمعت أخيراً آثار العظيمة والنعم
الزائدة فن ممالكها كانها الاغصان ناشية على ظهور خيول صافنة
كاملو الشكة والاسلحة يشجى بهم حاق العدو المناوى والخصم المنازل
والسيوف والرماح والتراس والقلائس الهندية والدروع واخذوا المختلفة
الاجناس فكان لذلك مفتخر جليل ومحتفل جميل تضاعف به اغتباط قوة
حرمة الملك واستطال به عماده على جميع المملكة

غزا بنفسه لاول وفاة الخليفة الناصر جيوش الجلالقة الذين طمعوا
في الثغور واقتحم بلد (فردلند) وفتح (اشتبتين) عنوة فبادروا الى عقد
السلم معه واتقبضوا عما كانوا فيه ثم أغزى غالباً مولاة بلاد (جليقيه)
وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب لجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم
وأوطأ العساكر بلد (فردلند) وغزا (شانجه بن رادمير) ملك البشكنس
وقد ساعده ملك (الجلالقة) فهزمهما وقصد بلاد برشلونه . وبلاد القومس
وعظمت فتوحاته وظهرت همة قواده ومرابطى ثغوره فى كل ناحية وكان
من أعظمها فتح (قلهرية) و (قطوبيه)

ثم دخلت سنة ٣٥٤ فابتنى حصن (عرماج) وظهرت فى هذه السنة
مراكب المجوس (فى الاطلانطيق) وأفسدوا (اشبونه)^(١) فناشبههم

أهلها القتال فرجعوا الى سراكبهم وأمر الحاكم القواد فخرجوا لحفظ
السواحل وأمر قائد البحر بتمجيد حركة الاسطول ونال منهم من كل
جهة من السواحل

ثم له ما أراد مع ملوك البشكنس وغيرهم وعاهد (لذريق) ووفدت
عليه أمه بهدايا ملوكية عظيمة ووصلته ووصلها وحملها أحسن تحمل
وأجزل عطاها

أوطأ عساكره أرض العدو من المغرب الاقصى والايوسط وتلقى
دعوته ملوك زناتة من مفراوه ومكناسه فبشوها في أعمالهم وخطبوا بها
على منابرهم وزاحوا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه من بني الحرز
وبني العافية فأجزل صلتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل
بني ادريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الريف وجاهلهم الى الاسكندرية
أما خلاله الشخصية فقد كان آية في الفضيلة . سمع من أجلاء وقته
وأجاز له ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير وكان محبا للعلوم مكرما
لأهلها جماعا للآثار الشريفة والاسفار الكريمة والكتب القيمة على اختلاف
أنواعها فسبق من تقدمه وجمع ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله فأقام للعلم
سوقاً وجدد للعلماء شوقاً وظهر بهذا المظهر فجلبت اليه بضائع الفضل
من كل قطر وحسبك بخزانه جمعت من الاسفار ما اقتضى لاستيفاء
فهرستها (أربعة وأربعين جزءاً) . جمع مقداراً ضاقت خزائنه عنه وكان
ذا غرام بها وقد أثر ذلك على كل لذائذ الملك واغراض الملوك فاستوسع
علمه ودق نظره وجمعت استفادته وكان في المعرفة بالرجال والاخبار
والانساب ثقة فيما ينقله . ومن أشد ما يتعجب منه وقد اتفقت على

روايته الرواة انه قلما يوجد كتاب في خزائنه الا وله فيه قراءة في أى فن كان وعليه تخاريج بغرائب لا تكاد توجد الا عنده

أتحمفه أبوه (الخليفة الناصر) بأحسن ما يتحلف به والد ولده فقه به من العلماء وقرب العلماء منه ومكن بينه وبين كل وافد على الاندلس من المشرق من العلماء فكانت نفسه روحانية صرفاً . وفد أبو على القالى صاحب كتاب الامالى على الاندلس من بغداد فأكرم الناصر مثواه وأحسن منزلته وأعلى قدره واختصه بالحكم فأورث أبو على لاندلس علمه وأفاد الحكم بأحسن ما عنده

قويت عند الحكم رحمه الله مادة حب العلم حتى كان يبعث بالتجار الى الاقطار ومعهم الاموال لشراء الكتب واستجلاب المصنفات من الاقاليم والنواحى باذلافها ما أمكن من الاموال مما لا ينفقه غيره حتى جلب للاندلس ما لم يعهده علماءها . هذا كتاب الاغانى بعث فيه لابی الفرج الاصفهاني مصنفه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخته قبل أن يخرجها الى العراق وكذلك فعل مع القاضى أبى بكر الابهري فى شرحه لمختصر بن عبد الحكيم

جمع بداره الخذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والاجادة فى التجليد فأوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده ولم تزل بقصر قرطبة حتى أصابتها مصيبة البربر عند دخولهم اليها عنوة ولا حول ولا قوة الا بالله

يطيش الانسان عندما يجد خليفة مثل هذا استشعر الناس فى زمن خلافته بالمسرة والمعزة والقوة فى الدين وجماعة المسلمين وعلا به كعب أمرائهم وسمت

نفوسهم بواسطة آدابه الى كل عمل شريف وأفاضوا بالتحدث فيه وكانت
للخطباء والشعراء ميادين ومقامات يطول القول في اختيارها. وسيرته مجهولة
عند كثير من الناس وعند ناشئة الشرق بأجمعهم فان سئلوا عن ملك عالم
مثلا فأقرب ما يحدثونك به سيرة (كارلوس الاعظم) أو (لويس الرابع عشر)
نعم انهما كانا في تعصيد العلم وتشديد أركانه آيتين ولكنهما ليسا بمفخر للمسلم
ان أراد الافتخار وأولى به ان يلم بخبر نفسه ودينه وملته وتاريخ مجده وحياة
خلفاء الاسلام ففي ذلك من الخير الكثير ما يربو على ما علم ونزبد على ما حفظ
فلا يكون مصداقا لقول الشاعر

(كتاركة يبيضها بالعراء وملحفة يبيض أخرى جناحا)

يصح ان تكون هذه الخلافة خاتمة خلفاء الاندلس ذات الدولة العظيمة
والثروة الوافرة والمجد الباذخ لانه لما توفي الحكم رحمه الله فأول ما حدث ان
قتل المغيرة أخوه وهو المرشح للحكم وولى بعده ابن الحكم هشام وكان صغيراً
سنه تسع سنين ليتم لابن أبي عامر في الدولة ما يريد كما سيجي تفصيله ان شاء
الله . ثم ولى المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وهو أول خلفاء الفتنة
ثم انتهى الامر بسقوط الدعوة للخلافة الاموية واستبدت ملوك الطوائف
كأسياتى

كانت الدولة الاموية من أعظم الدول مكاناً وأشر فها موقعا ظهرت فيها
منافع كثيرة للحضارة والمدنية عامة والامة العربية خاصة يكاد السامع بها
لا يصدق بزوالها كأنما عليها مسحة من بقاء ودوام زراعة متقنة وصناعة رانجة
والمدارس تخرج حكماء وعلماء وقواداً . وأبطالاً شداداً . وفلاسفة سرشدين
وكتبة وحسبة من أحسن الكتاب المقرين وشعراء مصنفين وصناعاً ماهرة

مبرزين في فنون البناء والتصوير والنقش والتزيين لا تزال آثارهم تدل عليهم
وتشهد بفضلهم وشهادة العدو والمناوى أعدل شاهد

حجت اليه ملوك الارض قاطبة يستشرفون معاليه بأجلال

يصد مطمع من ناواه مبتئسا يعنيه عن حذو تمثال بتمثال

ولكن ما الحيلة في احتدام حروب النفوس الشريرة ونزول بلاء سوء الاخلاق
وانقراض الدول وانحطاطها بيد أهلها. يحق للسائل أن يسأل أين ذهبت هذه
العظمة وكيف وهى هذا الركن العظيم وما هو ذلك الشئ الجسيم الذى أدى
لهذا الاختلال السريع في الخلافة الاسلامية في المغرب والظاهر ان السبب
في ظهور روح الشقاق والخروج على السلطان من الامة والطمع في الخلافة
من كل من له وشيجة رحم بالخلفاء خروج الخلفاء أنفسهم عن المنهج الشرعى
والانتهاج لغيره ولذلك نسب كثير من المحققين اختلال هذه الخلافة لعدول
عبد الرحمن الاول (الداخل) عن البيعة وميله (لولاية العهد) فقد عهد بالخلافة
لمن بعده من ولده وخص بها (هشاما) الاول فكبر ذلك على أخويه الكبارين
سليمان وعبد الله وخرجا عليه وحاولا سلب الخلافة منه فتغلب عليهما وعفى
عنهما ثم خرجا بعده على ولده الحاكم وطلبوا قسمة البلاد معه. ويقولون ان نار
هذه الفتنة كانت مضطربة ولكن قوة الحاكم القائم بالملك أوقفت الناس عند
حدها زمنا وردتهم على أعقابهم عهداً. ثم لما انصرم هذا العصر حدث ما حدث
وانه لو جرى المسلمون كمعادتهم في الاختيار والانتخاب لسلموا من هذا البلاء
فان هذا الحادث أوجب في نفوس العمال طمعاً كبيراً وحدث كل نفسه في
خلوته بما حدث فكانوا يخفون أمرهم في إبان القوة خوفاً على مناصبهم ويظهرون
بكمال الطاعة والانقياد في ظاهر الامر ويستعدون لنوال مقاصدهم سرّاً

و يتر بصون بالخلفاء الدوائر حتى أضرمت القتال في شمال البلاد دولة سراقسطه .
 و طليطلة . وجوسقة . ثم توالى الثورات حتى زلزلت المملكة بزلازلها وأورثتها
 خبالا وبوالها وقويت الامراض حتى أضعفت خراج الدولة (وكذلك الظلم
 كمين في النفس القوة تظهره والضعف يخفيه) وفي الحقيقة ان منهاج الخلافة
 الشرعى - وهو جعل الحل والعقد والنكث والقتل وسائر الشؤون العامة مقيدة
 بالشورى المتبعة يجب للامة معالى الامور وهذه أيام الخلفاء الاربعة وعصرهم
 من أعدل الشواهد على ذلك والعدول عن سير هؤلاء الخلفاء يدفع بالامة الى
 السفساف ويحط من مهابة صاحب السلطان ويخفض من شوكرته ويستفحل في
 عصره أمر الثوار والخارجين عليه لانهم يلحظون من ذلك انه انغمس في النعيم
 المضعف للنفوس عن الحرب والجهاد وأهمل أمر الصانع والزارع وان الامة
 أصبحت في مدته أتباعا لكل ناعق وان التربية القومية مفقودة بالمرّة ويتبع
 هذا عدم تعميم التعليم والتهديب اللذين هما من أهم ما جاء به الدين الحنيف
 الاسلامى فاذا وقع ذلك فليرتقب كل عناء وبلاء

﴿ملوك الطوائف﴾

هذا العنوان يصح ان يطلق على الملوك من أصحاب الاطراف الذين يملكون كل في بلاده على اثر انقراض دولة قوية وهو حال يعرض لكل دولة متى أحطت حكماها وأمرؤها من شأنها وأضعفت من صواتها حتى علم العدو بمكانها من الضعف وأصبح أمر انحطاطها ظاهراً والقائم عليها لا يقدر على جمع النفوس المفترقة وتأليف الالهواء المختلفة وكف الاكف العادية وورد جماع العزائم الفاسدة . يعرض لها بعد أن يفارقها حسن الرأي وجيد القريحة وسديد النظر وصحة اعتبار الاحوال وحسن اختيار الرجال وغير ذلك من المعاني التي تتشعب من هذه الاصول الشريفة وتعلق بهذه الفصول الرفيعة فاذا أصبح القائم غير ناهض بما حمل ولا مستقل بما قلد ولا نافذ الامر فيما هو له أهل من الامر والنهي ولا مؤد ما استودعه الله من أمانة الحكم على عباده فهناك الانقسام وهناك ملوك الطوائف

ظهرت ملوك الطوائف على اثر انقراض (الدولة الرومانية) وقامت كذلك على انقاض (الدولة السكيانية) في بلاد الفرس بعد ان قتل «دارا» آخر ملوكها واستولى «الاسكندر» على مملكته . ونهض بها في المغرب أيضاً أهل السوء الذين لا يميزون طالب الحق من منكره وجاحد الصدق من منتظره . (حال اختلال الدولة الاموية) كانت ملوك الطوائف بالاندلس عقب انتشار عقد الخلافة الاموية وما انتاب هذه الخلافة من الضعف لاخر عهد هارون ما كان من خلع الجند لهشام اخر خلفائها واستبداد الامراء والرؤساء والوزراء وكبار العرب والبربر بالاطراف واقتسامهم خططها وتقلب بعضهم على بعض

واستقلال قوم على قوم واشتداد الفرقة بينهم وبلوغهم في الجهل درجة أدت بهم الى التزلزل لاعدائهم ملوك أسبانيا فيدفعون الجزية لهم (عن يدوهم صاغرون) صونا للملكهم (ساء مايتوهمون) ويأثفون من ارتباطهم مع بعضهم وهم من عنصر واحد ودين واحد وملة واحدة

هدمت الدولة الاموية (بعد ان كانت أرفع الدول عماداً وأعظمها شأنًا وأضخمها سلطاناً وأكثرها جنوداً وأمدّها سلطنة وأعلاها ذكرًا وأبعدها اسماً) بسبب سوء الخلال وفساد الطباع وخصال السوء ودناءة الاخلاق وخبث السرائر والطباع التي خالطت القلوب بتغريير الدخلاء وفساد المفسدين من اعدائهم مازالوا بهم حتي أنسوهم خاصة وعامة مكارم الاخلاق فلأوفاء بعهد ولا امانة فانقلبوا على بعضهم وجعلوا بأسهم بينهم وفشت كراهة الاموى للقرشي وتحول الامر من المضرى الى اليماني

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

تفرق ملوك الطوائف واقتسموا الاندلس فتجزأت بعد ان كانت مجمعة وأصبح بأشبيلية وأعمالها (محمد بن عباد) وببليطوس وأعمالها (محمد بن عبد الله المعروف بالافطس) وببليطة وأعمالها (ابن بعيش) وبسراقسطه وأعمالها (سليمان بن هود الجذامي) وبطارطوسه وأعمالها (لييب العامري) وبيلنسيه وأعمالها (المنصور المغافري) وبالسلة وأعمالها (عبود بن رزين البربري) وبوانييه وأعمالها (الموفق العامري) وبمرسيه وأعمالها (بنو طاهر) وبالمريه وأعمالها (خيران العامري) وبماقه وأعمالها (بنو حمود) وبغرناطة وأعمالها (حبوس الصنهاجي)

بهذه الصفة تفرقت دولة بني أمية وتباهت ملوك الطوائف في أحوال الملك

(كأنها أحسنت صنعا) فاصبحوا طرفا في الترف ونهاية في الحضارة حتى قلدوا الخلفاء في الالقاب والنعوت وجعلوا لهم حجابا يتكلمون عنهم وهم وراء الستر وصح عليهم قول (شارل مارتيل) حينما قزع اليه سكان فرنسا ليستشيروه في ما يفعلونه مع العرب في عهد هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ امهلوا العرب حتى تمتلئ ايديهم من الغنائم ويتخذوا من المساكن ويتنافسوا في الرئاسة ويستعين بعضهم على بعض وتفارقهم هذه الصفات التي تفتى عن كثرة العدد والقلوب التي دونها حصانة الدروع ثم خذوهم ببعضهم)

أخذ ملك الاسلام في الاندلس في التضعضع وملوكه في التفرق وحدث منهم ما أوجب علماء الامة وأمناء الملة ان تفتى بحواز الحرب معهم لانحرافهم عن الاستقامة ومساعدة بعضهم للاسبانيول وظهر في اثناء ذلك أمر يوسف بن تاشفين فكتب اليه المعتمد بن عباد أمير أشبيلية يعلمه بحال الاندلس ويسأله النصر والاعانة ثم طال به العهد لاشتغال يوسف ابن تاشفين بالفتح فذهب اليه والتقى به وكان ما كان من دخوله الاندلس وحربه مع الفونس السادس ملك قشتالة في واقعة من اكبر واشهر وقائع المسلمين بالاندلس ووقفه لامتلاك بعض البلاد ونفوذ الكامة في المغرب ضابطاً لمصالح مملكته مؤثراً لاهل العلم والدين كثير المشورة لهم حتي ان الامام الغزالي رضى الله عنه لما سمع بسيرته عزم على لقائه واسكن الموت حال بينهما

انتقل الملك بعد وفاته لأولاده ولم يكن فيهم من أهل الحوطة والصون ما يكفي لتكثير أعداء الله والدولة طائفة في هوة الهلاك فانقرضوا

في سنة ٤٢٠هـ وقامت دولة بني الاحمر وهي آخر الدول الاسلامية في بلاد
الاندلس ومنها استرجع الاسبانيول ما كان بأيدي المسلمين وبهم انقرضت
الدولة الاسلامية من اسبانيا لا بأس بأن نلم بعض الامام بشئ من
الاسباب الظاهرة التي كانت سبباً لهذا التفرق والانقسام آل الحكم
الى هشام بن الحكم وهو صبي صغير لا يتجاوز عمره تسع سنين مضاعف
عاجز عن القيام بالملك فقام به كافله من وزراء أبيه (أبو عامر) فحجب
الصبي عن الناس واستبد بالملك واستحكمت له صبغة الرئاسة وتحول
الملك اليه وآثر به عشيرته وأبناءه وسما به أمل التغلب فمكر بأهل الدولة
وضرب بين رجالها وقطع بعضهم ببعض وصار كاعظم ما يكون ملكاً
وسلطاناً

هلك والخلفاء من بعده ملعبة لاعب لانه جدد في الازدهان طريقة
الوثوب على مقاماتهم العالية وحمل الخلفاء على القناعة بالابهة واللذات
وانسأمت عهد الرجولية فقامت الناس من بعده فخلعوا هشاماً وقتلوا ابنه
ثم ولوا الحكومة عبد الرحمن المرتضى ثم قتلوه وهكذا المستظهر والمستكفي
ثم خلعوا هشاماً وأمىة بن عبد الرحمن الذي انتهت به الخلفاء في الاندلس
وعندهم ستة عشر خليفة في مائتين وأربع وثمانين سنة

ندمع عين القارىء من شؤم ما جرى في هذه البلاد وسوء ما وقع
بها أكثر مما ضحككت سنه وانشرح صدره سروراً بدخول طارق بن زياد
أولاً وموسى بن نصير ثانياً وما شيدا فيها من دعائم المجد واعلام الهدى
ان حزنا في ساعة الفرقة اضغاف سرور في ساعة الميلاد
قاتل الله الجهل والشقاق : أباد هذه المملكة بعد أن كانت مجتمع أعلام

الانام ومقر سرير الخلافة ومركز الكرماء ومعدن العلماء، فليقس من كان شأنه القياس من الناس حالا بحال وفتحاً بفتح لينكشف له ما حدث وليتحقق ما جرى

قامت دولة بنى الاحمر المنسوبين الى سيدنا سعد بن عبادة سيد الخزرج ونيران الدسائس مشتعلة بيد الاعداء وقد كثر أمر الثوار وما زال الفشل مستمر أبين العدو مرة وبين المسلمين وبعضهم أخرى والقائمون بالامر بعضهم يقتل وبعضهم يخلع والمدن والقرى في فتن وخطوب يطول شرحها والبلاد تنقض من أطرافها بسبب الخذلان الذي أدى اليه الشقاق حتي لم يبق لبنى الاحمر الا غرناطة وأعمالها فأقبل العدو بجيشه المركب من جيوش قشتاله واراغون تمده (أوروبا) فلم يكن منهم الا انهم أفسدوا الزرع وقطعوا الاشجار وهدموا القرى وشددوا الحصار على المسلمين الى أن تمكن فصل الشتاء ونزل الثلج وانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل المطعوم والطاعم واشتد الغلاء وعظم البلاء فلم يكن من أهل العلم والوجاهة الا ملاقة السلطان أبى عبد الله فاجتمع الناس اليه ورأوا ان ارتكاب أخف الضررين بالصلح أولى واتفقوا على شروط عقدت ثم قرئت ووافقوا عليها وكتبت بها البيعة ونزل السلطان من غرناطة عن كرسيه ولا حول ولا قوة الا بالله

اشتملت هذه الشروط على سبعة وستين شرطا منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال . وإقامة الشريعة على ما كانت عليه فلا يحكم على أحد الا بشريعته ولا يولى على المسلمين نصراني ولا يهودي وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره ولا يجبر أحد على ترك دينه ولا يمنع مؤذن ولا

صائم ولا مصل عما هو قائم به الى آخر ما هو مدون بها من بقية الشروط التي وضعت باتفاق الطرفين)

وافق كلهم على هذه الشروط حتى صاحب رومه ووضع خط يده عليها ولكن الاسبانيول لم يراعوها الا ريثما تقدموا في الامر وتمكنت قدمهم وعلموا أن لا ناصر للمسلمين من ظلمهم فعدلوا عن مراعاة تلك الشروط معهم وأذاقوهم أنواع العذاب والاضطهادات خصوصاً لما تشكلت المحكمة المعروفة بمحكمة (التحرى القسيسى) (انكيز سيون) فكان لها من القسوة ما ينجل كل من كان في قلبه ذرة من المروءة والانسانية

أنشئت هذه المحاكم بأمر الباباوات (مصدر الرحمة والاحسان) خدمة للدين في ظاهر الامر ولكنها سياسية باطناً فأتى الاسبانيول أعمالاً بربرية وحشية فأحرقوا الزرع وهدموا الدور وغيروا وبدلوا بالعالم الثابتة والآثار الجميلة ظلماً وعدواناً فاذا آثار المسلمين بتلك الاطراف بائدة لم يبق منها الا ما صرح عليه قول القائل

كاد اللىالى وكادته مجالدة وانكف عاديها من بعد تقتال

ثم انثنت وبها من صبره حرق وان كسته لكيد ثوب أثمال

كلت يد الاعداء عن ابادته كما ضعفت يد الدهر عن فنائه ففيه للآن بقية يندبش منها الانسان تدل على المعارف والفنون التي كانت في تلك البلاد تنشد بلسان الآثار والعمائر والمباني والمدن والساكن وعجائب الرسوم ودقة النقوش واحكام البناء ان أهلها بلغوا النهاية من الارتقاء والغاية من مدارج العلاء وتنذر الناس بأن الجهل معول يقتلع الرواسى الشائخة ويحط الى حضيض الثرى اذا كان العلم يرفعها للثريا

لا يستطيع انسان ان يحدد حسن حال اسبانيا : عصر الدول الاسلامية لان مؤرخى الغرب اتفقوا مع مؤرخى العرب على ان الاندلس كانت في مدة الدول الاسلامية في رواج عظيم وانها اشتهرت في خلافة عبد الرحمن الثالث اشتهارا لم يكن لها من قبل ولا اثنى لها من بعد لاعتنائه بالمعارف وانشائه المدارس وتنشيطه الصنائع وتوسيعه دائرة الصناعة حتى ذاع صيتها وتقاطرت اليها الطلاب من كل البلاد وسادت على العالم . وقد اعتمدنا في نقل هذه العبارة الصغيرة التي يؤخذ منها ما كانت عليه وما صارت اليه من دائرة المعارف في الكلام على نقطة اسبانيا صحيفة ٣٣١ جزء ٣ لاننا متحققين بأنها تستقى وتستمد في نقولها على الغالب من مؤلفات أجنبية قال المؤلف (ان الصناعة في أسبانيا كانت ذات رواج عظيم في القرون الماضية واشتهرت بها في القرون المتوسطة منسوجات الصوف والحرير المصنوعة في اشبيلية وغرناطة وبياسه والاجواخ المصنوعة في مرسلية والاسلحة المصنوعة في طليطلة) غير ان جلاء اليهود والعرب من أسبانيا وحصر حقوق البيع والشراء بمصنوعات معامل الحكومة والرسومات العظيمة التي جعلتها الحكومة على مصنوعات المعامل الخصوصية التي كانت تتضاعف بطمع مأمورى الرسومات سببت سقوط الصناعة في أسبانيا)

كان في اشبيلية في القديم ١٦ ألف محل لصناعة الحرير فعلتها ١٣٠ ألف شخص ولحد سنة ١٦٧٣ لم يبق منها سوى ٤٠٥ محلات . وكان في شقوييه معامل يخرج منها سنويا ٢٥ ألف شقه من الحرير وفي سنة ١٧٨٨ لم يخرج منها الا ٤٠٠ شقه فقط اه

وعلى هذا القدر يقاس . والواقف على تواريخ اسبانيا يعلم ما كان لليهود

فيها من سمو المقام والتقدم في الآداب أزمان العرب والاسلام وان الكثيرين
منهم كانوا يتقنون العلوم العبرانية أى اتقان . ولم يقل أحد بأن العرب
اذا قوم مرارة الجلاء عن بلادهم كما وقع ذلك لهم في عهد الحكومة الاسبانيولية
بل وقع الامر على العكس فان المؤرخين على اجماع بأن أعظم الاسباب التى
سهلت لليهود والنصارى سبل الانضمام والارتباط فى هذه البلاد ضد
العرب هى ان الدول الاسلامية حفظت لهم استقلالهم فلم يمسر عليهم ان
يكونوا مملوكة بعد . ومن هذا أيضا ما فعلته الدولة العلية العثمانية مع
تبعيتها من غير المسلمين فى الروملى وغيره . حفظت لهم كيانتهم فضلا عن
استقلالهم فلما وثبوا للخروج عليها باغراء الدول لم يجدوا ما يعوقهم عن
العمل لغرضهم لانهم مجتمعون متحدون

تم طبع الجزء الثانى من كتاب حماة الاسلام
وذلك فى العشر الاخير من شهر الحجة سنة ١٣٤١ هـ



فهرست

الجزء الثاني من كتاب حماة الاسلام

صحيفة

- | | |
|-----|---|
| ٢ | نبذة تاريخية على انتقال الخلافة للعباسيين |
| ٨ | أبو مسلم الخراساني |
| ١٧ | أبو جعفر المنصور |
| ٢٧ | المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور |
| ٣٤ | هرون الرشيد |
| ٤٣ | المأمون |
| ٦١ | المعتصم بالله |
| ٦٥ | المتوكل على الله جعفر |
| ٧٢ | نبذة تاريخية |
| ٧٦ | الامام أبو حنيفة النعمان |
| ٨١ | القاضي أبو يوسف |
| ٨٧ | الامام مالك |
| ٩١ | الامام محمد بن ادريس الشافعي |
| ٩٥ | الامام أحمد بن حنبل |
| ٩٨ | نبذة تاريخية عن مصر |
| ١٠٤ | المعز لدين الله |

- ١١٣ عبد الرحمن بن معاوية
١١٨ الحكم بن هشام
١٢٢ عبد الرحمن بن الحكم
١٢٨ عبد الرحمن الناصر
١٣٦ الحكم المستنصر بالله
١٤٣ ملوك الطوائف

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY



This book is due two weeks from the last date stamped below, and if not returned at or before that time a fine of five cents a day will be incurred.

[illegible]

893.791

M978

Mustafa Bey Naib

893.791

M978

APR 3 1932



﴿ بيان بعض مطبوعات المكتبة الأزهرية وغيرها ﴾

﴿ يطلب منها هذه الكتب، غير هاتين الكتب العلميتين خصوصاً النادرة الوجود ﴾

الاضداد في اللغة ابن الانباري	مصاحف شريفة اسلام و ليله وغيرها
الدرة السنية في الرد المادي	تفسير الطبري طبع ميري
التدريب لما في التهذيب (منطق)	النسفي
أساس البلاغة للزخشري	تنزيه القرآن عن المطاعين وفي آخره
معاهد التنصيص	مقدمة التفسير للراغب الاصفهاني
الملل والنحل لابن حزم	البخاري الشريف طبع ميري بالشكل
تهذيب التوضيح في النحو والصرف	متن مسلم طبع الاستاذ بالشكل الكامل
كتاب المساكين للرافعي	الف اوى الهندية وبها مشها التناوي
كتاب سيدي به	البرزانية وقاضي خان طبع ميري
تقرير الانباء عن السعد جزء ٢	ديوان الجماسة مشكولا ومشروحا
الرسالة البيانية لميري للانباري	مقامات الحريري
الشريشي على مسائل الحريري ميري	تهج البلاغة
الاحكام الشرعية ومعها التعديلات	مقامات الزخشري
تاريخ ابن الاثير	أطباق الذهب
مقدمة ابن خلدون	أطواق الذهب
تاريخ حجة الاسلام	المعلقات العشر
تاريخ الاخبار الطوال	دستور معالم الحكم لسيدنا علي
أسرار الشريعة الاسلامية	الصناعتين لابي هلال العسكري
غرين الاملاء للشيخ حسين والي	الكامل للبردة
كلمة التوحيد	شرح ابن عقيل
مناقب سيدنا عمر	حديث عيسى
علوم البلاغة للشيخ احمد مصطفى المراغي	نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة
بغية الادباء في فن الاملاء	وبانت سعاد
الادب الكبير لابن المقفع بشرح الموصفي	الحاشيات للسكيت
مطلع الثيرين فيما يتعلق بالقدرتين	رسائل بديع الزمان
كتاب في الفراسة واختلاج الاعضاء	المزهر للسيوطي